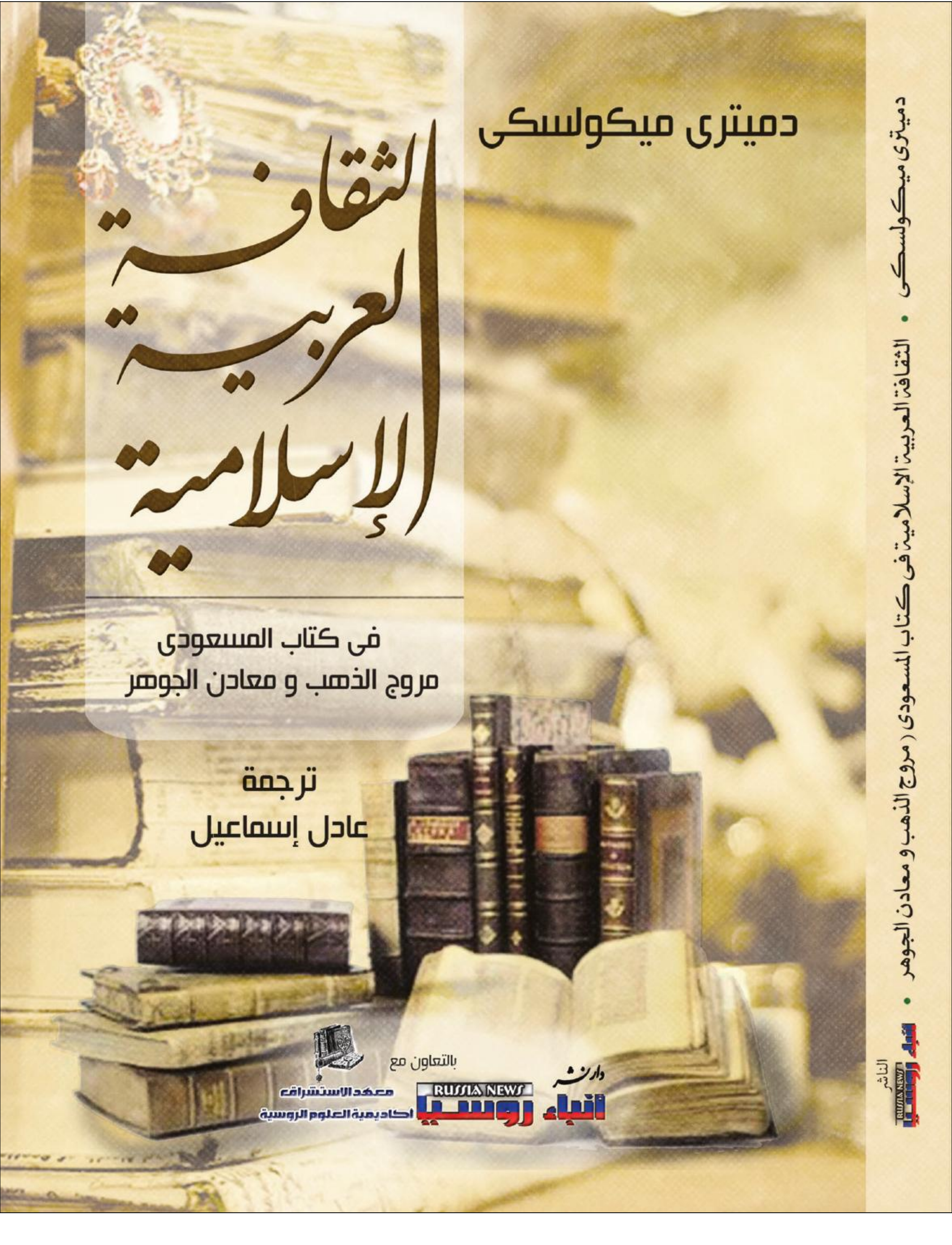
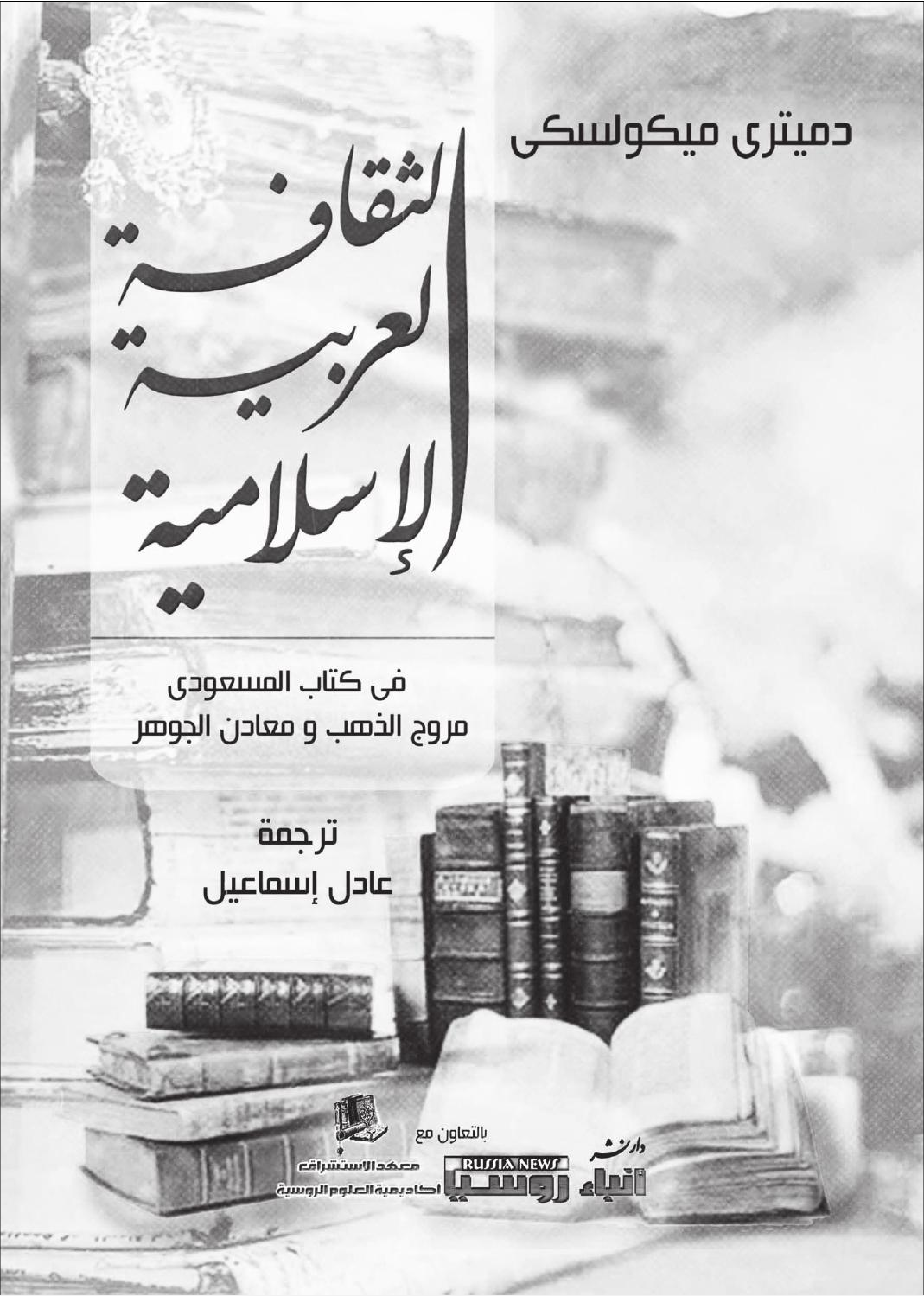

دميترى ميكولسكى
الثقافة العربية الإسلامية
فى كتاب المسعودى
مروج الذهب و معادن الجوهر
ترجمة
عادل إسماعيل
بالتعاون مع
معهد الاستشراق
أكاديمية العلوم الروسية
دار نشر
أنباء روسيا
RUSSIA NEWS
دميترى ميكولسكى • الثقافة العربية الإسلامية فى كتاب المسعودى (مروج الذهب و معادن الجوهر •
الناشر


دميترى ميكولسكى
الثقافة العربية الإسلامية
فى كتاب المسعودى
مروج الذهب و معادن الجوهر
ترجمة
عادل إسماعيل
دار نشر
أنباء روسيا
RUSSIA NEWS
بالتعاون مع
معهد الاستشراق
اكاديمية العلوم الروسية

الناشر




رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير

د. حسين الشافعي

h.elshafie57@mail.ru

المراسلات

القاهرة - مدينة العبور

44971 مكتب بريد جمعية أحمد عرابي

ص. ب. 72

Tel. & Fax: + (202) 24 77 38 70 & 71

E-mail: secertary_ert@yahoo.com

التصحيح والمراجعة

حامد أحمد محمد

الإخراج الفني

مى مجدى

تحرير

شيماء محمد الشافعى

الطباعة

دار الطباعة المتميزة

مدينة العبور - القاهرة

Tel. & Fax: + (202) 4478 96 44 & 46

الطبعة الأولى 2006

إصدار مؤسسة «الآداب الشرقية»

أكاديمية العلوم الروسية

الطبعة الثانية 2014

دار نشر أنباء روسيا

بالإشتراك مع



معهد الاستشراق أكاديمية العلوم الروسية

(تأسس عام 1818)

رقم الإيداع

2014/4308

بالتعاون مع

الجمعية المصرية الروسية للثقافة و العلوم

При содействии
египетско –российской
ассоциации по культуре и науке



تقـــد يم



تقديم د. حسين الشافعى

يرى الكثيرون أن المسعودى هو أحد أعلام التبحر العلمى العربى الإسلامى، بل ويضعونه فى مصاف البيرونى، أما كتابه «مروج الذهب» فهو- بالإجماع - عمل جميل ينم عن ذوق رفيع لواضعه، كما أنه ثرى بقصصه المشوقة.

ويرى « كريمير » أن المسعودى هو بحق « هيرودوت العرب » . كما يوصف بأنه واحد من أهم العلماء العرب الذين أكثر ما يستند إليهم الباحثون فى تاريخ الشرقين الأدنى و الأوسط فى القرون الوسطى.

أعمال المسعودى تناولها العديدين من الباحثين ، ففى « مقدمة فى تاريخ العلوم » لسارتون يأتى ذكر تراث المسعودى ضمن السياق العالمى لتطور المعرفة العلمية، كما نال إهتماماً خاصاً فى الدراسات الروسية منذ القرن التاسع عشر نظراً للإهتمام بدراسة التاريخ العربى – الإسلامى وتاريخ اللغة العربية.

كان جاركافى أول عالم روسي يصدر ترجمة للروسية لمقاطع من مؤلفات المسعودى، كما ترجم عنه ميدنيكوف و كارؤولوف . وقد أعيدت طبعات هذه الترجمات فى إصدارات مختلفة.

مع القرن العشرين إنتشرت دراسات أعمال المسعودى الأساسية كجغرافى ، واحتفل العالم بالذكرى الألفية لوفاة المسعودى فى عام 1958 بمؤتمر خاص .

لقد كان المسعودى فى سياق إضاءته للتاريخ العربى - الإسلامى مهتماً « بوقائع تاريخ الثقافة العام «، وهو بهذا يطرق باباً لم يسكله عداه كثيرين .

هذه دراسة علمية نال مؤلفها - ميكولسكى دميترى - عنها درجة الدكتوراه من معهد الاستشراق - التابع لأكاديمية العلوم الروسية ، والذى تأسس فى عام 1818 م ، وعمل على ترجمتها - مع صعوبة النص ، وحتمية رجوعه إلى مصادر للتوثيق بأصولها العربية ، مترجم حاذق متميز هو الأستاذ عادل إسماعيل .

الناشر

دار نشر أنباء روسيا

يناير 2014

دميتري ميكولسكى

الثقافة العربية الإسلامية في كتاب المسعودي
(مروج الذهب ومعادن الجوهر)

ترجمة

عادل إسماعيل





مقدمة المؤلف للطبعة العربية



شرف، لا يدانيه شرف آخر، أن يرى المستعربُ كتابا وضعه عن الثقافة العربية وقد ترجم إلى لغة هذه الثقافة. هذا يعني أن جهده المتواضع قد حظي بتقدير كبير في أوساط المثقفين العرب . وكاتب هذه السطور ليشعر بسعادة غامرة لأن كتابا عزيزا عليه غدا في متناول القارئ العربي، ألا وهو هذا العمل الذي خصصناه لإلقاء الضوء - من زاوية تحليل مضمون النص - على قضايا الثقافة العربية الإسلامية في كتاب المسعودي «مروج الذهب ومعادن الجوهر» .

المسعودي واحدٌ من كبار رجالات الثقافة العربية الإسلامية .. فهو العالم، والرحالة، والموسوعي الحق، والأديب الرائع. ولذا فإن كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» يحمل بين دفتيه متعة حقيقية للقارئ. وهذا أمر بديهي لأن المسعودي أول مؤرخ عربي يجعل في نسيج مؤلفه قصصا قريبة لتلك التي تشكل أساس التحفة العربية الشهيرة الأخرى ، «كتاب ألف ليلة وليلة» . وفضلا عن ذلك فقد صبَّ المسعودي المؤرخ جلَّ اهتمامه على قضايا الثقافة العربية الإسلامية ، وعمل على جمع وتصنيف قدر كبير من المعلومات المتعلقة بهذا الجانب من الحضارة الإسلامية.

لقد ارتأينا أن نضع كتابا حول هذه المسألة بعد ما قمنا به من لدراسة نص مؤلف المسعودي الرئيس، ونتيجة تحليلنا المراجع العلمية التي تتحدث عن هذا المؤرخ العربي الكبير .

أعددنا الفصول الثلاثة الأولى من كتابنا وفق طريقة البحث التقليدية المتبعة في مجال العلوم الإنسانية. أما الفصل الرابع فقد سعينا فيه جهدنا للقيام بتصنيف منهجي للمادة الغزيرة التي يتضمنها كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، والتي تتعلق بالأدب العربي. وبغية تفحص هذا البحر الزاخر بالوقائع، لجأنا إلى أساليب تحليل المضمون . ولنا الأمل بأن تكون هذه الطريقة قد أثبتت نجاحها بقدر ما . وعلى أية حال فقد بيَّن استخدامُها أن المسعودي كشف بدرجة كبيرة من الدقة بنية الأدب العربي العامة حيث للشعر دور رئيس، وللمعارف اللغوية والتاريخية قسط كبير الأهمية. وفي الوقت نفسه فإن البحث الذي قمنا به أثبت ثانوية النثر الذي لم يكن على درجة كبيرة من التطور في الأدب العربي في القرون الوسطى .

وأنوه إلى أن هذا الكتاب ما كان ليرى النور لولا المشاركة الدؤوبة الخيرة بصفة خاصة من الصديق الدكتور حسين الشافعى - المهندس المعروف بصدق جهوده فى إثراء التواصل الثقافى و التاريخى و العلمى بين مصر و روسيا ، و يتحمل فى هذا المضمار مسئوليات كبيرة ينهض بها على خير وجه ، و عن طيب خاطر ، فلاقت الإهتمام و التقدير من كل المتابعين لجذور ، و واقع العلاقات بين بلدينا . فله بشكل خاص ، و لدار نشر " أنباء روسيا " التى يقود فريقها خالص الشكر ، و جزيل الثناء .

وأخيرا ، نأمل أن يسدي عملنا المتواضع هذا بعض الفائدة للقارئ العربي المعاصر ، وأن يسهم في تعزيز الاهتمام بتراث المسعودي .

دميتري ميكولسكي

موسكو- إبريل 2014



المقدمه

نبذة تاريخية عن الدراسات المتعلقة بـ « مروج الذهب ...»

تتلخص إحدى أهم خاصيات الثقافة العربية – الإسلامية بطابع لغتها المكتوبة، «الفصحى» . ولقد كان لتدوين القرآن الكريم وتفسيره فضل كبير في نشوء الحضارة العربية – الإسلامية ، التي أنتجت بالفعل مؤلفات غزيرة تناولت شتى مناحي الحياة. ومع ذلك ، فإن عددا قليلا وحسب من النصوص العربية – الإسلامية قد يثير اليوم ، كما يبدو لنا، اهتمام القارئ العادي الذي لا ينتمي إلى هذه الثقافة العربية – الإسلامية . ومن هذه الآثار التي اكتسبت صفة العالمية كتاب أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، الذي وصفه المستعرب الإنكليزي البارز أ. ر. غيب بالقول إنه « مؤلف ليس باللغة العربية أروع منه».

ومما لاشك فيه أن الاهتمام بأي كاتب كان، لا يتأتى عن سيرة حياته ، بل عن مؤلفاته . ومع ذلك، سيكون أكثر يسرا على المرء فهم هذا النص أو ذاك من النصوص القيِّمة ثقافيا فيما لو تعرف على ظروف حياة مؤلفه، وألمَّ بالسياق الذي قُدِّرَ له أن يعمل فيه، وخاصة إذا كان النص إياه قد وضع قبل قرون عديدة . ومن دواعي الأسف ، أننا لا نعرف في واقع الأمر شيئا ذا بال عن المسعودي ، ولا عن خصائص شخصيته، ومختلف جوانب حياته. يعزو المستشرق الألماني الكبير ك .

بروكلمان (1) * « سهوَ» كتاب السيرة العرب - المسلمين عن شخص المسعودي إلى أن ما أبدعه يشذ عن تقاليد التبحر العلمي العربي - الإسلامي. ويشير باحث بارز آخر في تراث المسعودي ، هو المستعرب الفرنسي ش. بيللا (2) ، إلى هذا الجانب ، فيلاحظ أن ابن النديم ، وهو الكاتب والمصنف الرصين الدقيق ، ومؤلف أحد أوائل معاجم السيرة ، لم يعتبر المسعودي بغداديا أصيلا ، بل نسبه إلى مواليد شمال إفريقيا (المغرب). ومن الجلي أنه لم يقرأ مؤلفاته .

غير أنَ ما وصلنا من هذه المؤلفات قليلٌ جدا في حقيقة الأمر، فمن بين ستة مباحث جاء على ذكرها المسعودي نفسه (عدد قليل منها وحسب حظي باهتمام كتاب السيرة في القرون الوسطى) ، وصل إلينا كتابان فقط ، هما «مروج الذهب ومعادن الجوهر » و « كتاب التنبيه والإشراف » ،

وكلاهما من لون الأسفار التاريخية الجامعة ، في حين أن غالبية مباحث المسعودي الأخرى تحمل طابعا دينيا - فلسفيا.

سنستعرض بادئ ذي بدء المعالم الرئيسية لسيرة حياة المسعودي .

ولد كاتبنا بين عامي 892 و896 ميلادية في عاصمة الخلافة العربية بغداد ، التي كانت آنذاك من أكبر مدن الشرق، وحاضرة الثقافة والحياة الاجتماعية - السياسية في العالم الإسلامي . وحوالي العام 915 ، انطلق ، وهو شاب في مقتبل العمر ، مرتحلا في أصقاع الدنيا يحدوه طموحٌ نبيلٌ نحو معرفة العالم الذي يحيط به .

* - نلفت عناية القارئ الكريم إلى أننا حاولنا تفادي إثقال النص بالحواشي ، ولذلك أقدمنا في هذه الترجمة على اختصار الملاحظات والإحالات الكثيرة الواردة في النص الروسي لأنها موضوعة للقراء الروس عامة، وللمهتمين منهم بالدراسات الشرقية خاصة. وقد أيَدنا المؤلف في ذلك مشكورا. وسنورد في نهاية كل فصل ثبتا بالمصادر التي رأينا إيرادها في الترجمة قصد التنويه بالمرجعية العلمية التي تتسم أعمال المؤلف بأشد الحرص عليها (المترجم).

شدَّ الرحال أولا إلى إيران ، ثم إلى الهند، وبعدها توجه إلى شرق افريقيا، والجزيرة العربية ، وزار منطقة بحر قزوين ، وسورية، ومصر . وبذلك يكون المسعودي قد جاب الجزء الأعظم من العالم المعروف للعرب – المسلمين آنذاك ، فترك في أعماله التي وصلتنا معلوماتٍ فائقةَ القيمة عن حياة الشعوب في ديار لم تقتصر على البلدان التي زارها ، بل تعدتها إلى الأصقاع المجاورة. وفي أواخر حياته استقر رحالتنا وأديبنا في مصر ، حيث وافته المنية عام 956م (3) .

هذه هي ، في واقع الحال ، كل المعلومات التي وصلتنا عن حياة المسعودي الحقيقية .

كانت الفترة الممتدة من نهاية القرن التاسع وحتى النصف الأول من القرن العاشر، فترة انعطاف في تاريخ العالم العربي – الإسلامي ، ففي أثنائها بالذات عرفتْ الحضارةُ التي نشأت في الشرق الأدنى تحت ظلال الإسلام أوجَ ازدهارها، وسميت بالحضارة العربية – الإسلامية نظرا للعنصر الإثني الرئيس الذي أسهم في عملية تكوُّنِها (4) .

حكم العباسيون (749 – 1258) دولة مترامية الأطراف ، متعددة الأعراق والأصول والانتماءات القبلية، نشأت نتيجة الفتوحات في القرنين السابع والثامن . وكان هؤلاء فرعا من فروع بني هاشم ، عشيرة النبي محمد، وحلوا في حكم الخلافة أواسط القرن الثامن ، كما هو معروف ، محل الأمويين الذين كانوا بدورهم عشيرة معروفة وغنية من عشائر قبيلة قريش المكية ، وحكموا الإمبراطورية الإسلامية في الفترة الممتدة من عام 661 وحتى العام 749 م . استند العباسيون في صراعهم ضد الأمويين إلى ركيزة أساسية هي القبائل العربية التي استقرت في خراسان (إحدى الولايات الرئيسة لدولة الخلافة) في عهد أواخر خلفاء الأسرة الأموية ؛ وكذلك إلى الموالي التابعين لهم من سكان خراسان الأصليين. وقد استمالهم إلى جانب الطامحين بالخلافة دعاة كان أبو مسلم على رأسهم في مرحلة الصراع الحاسمة . وجنبا إلى جنب

مع العباسيين ، حارب ضد الأمويين فرعٌ آخر من الهاشميين ، هم بنو علي الذين التفت حولهم مجموعة من المناصرين أصبحت فيما بعد عصب الشيعة ، الذين شكلوا إلى جانب السنة الاتجاهين الرئيسين في الإسلام. وفي المرحلة التالية، عندما وصل العباسيون إلى السلطة ، راح بنو علي يثيرون في وجه أقربائهم العديد من الانتفاضات التي باءت بالفشل (5) .

كما أن طبقة العلماء الوليدة ساندت الكفاح ضد الأمويين ، إذ أنها رأت في خلفاء هذه السلالة الذين اتبعوا الأنماط الثقافية العربية القديمة والبيزنطية ، غاصبين كفرة . وبمرور الوقت سهَّلَ وصولُ العباسيين إلى سلطة الخلافة عمليةَ انتقال العرب جزئيا إلى الموقع الثاني في جهاز الدولة ، وفي الشؤون العسكرية ، وفي مجال الثقافة ، في حين راح يشتد بالتدريج نفوذ أبناء الشعوب التي فتح العرب بلدانها، وبشكل رئيس نفوذ الإيرانيين الذين كان الكثيرون منهم قد اعتنقوا الإسلام .

وتجلى هذان الاتجاهان خاصة في عهد الخليفة العباسي الثاني المنصور الذي دفع إلى مناصب الدولة موالي بني العباس ومحاسيبهم ، لأنهم كانوا على درجة من التبعية لسلطة الخليفة أكبر بكثير من تبعية أقربائه ، أو العرب الآخرين من ذوي النسب العريق .

استمر النظام السياسي، الذي أرسى المنصورُ قواعده ، حتى بداية حكم المأمون . وتتلخص المسألة في أن هذا الخليفة بعد أن انتصر على أخيه الأمين في صراع دموي ، وصفه المسعودي وصفا بليغا ، أتى معه بنخبة إدارية - سياسية وقوات عسكرية جديدة من مناطق الخلافة الشرقية التي كان حاكما عليها بعد وفاة والده هارون الرشيد. وقد أسفر ذلك عن مزيد من اشتداد نفوذ أبناء الشعوب الناطقة باللغة الإيرانية على الحياة الاجتماعية - السياسية في الخلافة .

مهد عهد المأمون الطريق لنظام سياسي جديد رسخه المعتصم الذي اعتمد

على قوات عسكرية جديدة كليا ، تتألف من العبيد الأتراك، المماليك ، الذي أسكنوا في المدينة الخاصة، سامراء مقر الخلافة . وكان لصيرورة هذا النظام تبعات كبيرة بالغة الأهمية بالنسبة لسلطة العباسيين ، ولمصير الحضارة العربية - الإسلامية كلها.

كان من نتائج هذه التطورات السياسية - الثقافية أن جاهر المسلمون من أصل غير عربي بجدارتهم ، وقدرهم، وعراقتهم، وثراء ثقافتهم . وفي ظل العباسيين تحديدا ، وأساسا ، ولدت بين المسلمين من أصل غير عربي حركة فكرية ضد سيادة العرب في المجتمع العربي - الإسلامي ، عرفت بالشعوبية.

ساعد تمثُل التراث القديم (اليوناني) في العصر العباسي على تطور الفكر الفلسفي عند العرب - المسلمين ، فبدأ تطبيق طرائق الإدراك الفلسفي في المجال اللاهوتي البحت (علوم الدين) . وأخذ بالظهور اللاهوت الإسلامي التأملي . وكان تيار المعتزلة أول تيارات هذا الاتجاه وأبرزها ، فغدا أيديولوجيا الدولة بدءا من عهد المأمون . وكان ، جراء ذلك، أن تعرض الفقهاء الذين رفضوا تعاليم هذا التيار للملاحقة والاضطهاد، الأمر الذي شكلت لأجله محكمة خاصة عرفت بـ "المحنة". ولقد أثار موقف سلطة الخليفة الأيديولوجي استياء شديدا عند رجال الدين التقليديين الذين كان لهم تأثير حاسم على جمهور المسلمين البسطاء. وكان يمكن أن يؤدي استياء التقليديين وعامة الناس إلى تقويض سلطة العباسيين. ولهذا السبب، كما يبدو ، تخلى الخليفة المتوكل عن المعتزلة وانتقل إلى موقع السنية المتشددة.

كما أن اللاهوت الإسلامي التقليدي في العصر العباسي لم يراوح في مكانه، فبحلول العصر الذي عاش فيه المسعودي ، كانت قد تشكلت أربعة مذاهب فقهية - شرعية أساسية في الإسلام ، وظلت الأبرز عند الجزء السني من العالم الإسلامي حتى أيامنا هذه . كما أن بعض المذاهب ، التي لم تحظ بالانتشار الواسع واندثرت فيما بعد ، كانت تعتبر مذاهب سنية هي الأخرى .

تجدر الإشارة أيضا إلى انتشار تعاليم المذهب الثنوي ذات الأصول الإيرانية، أي تلك التعاليم، التي هضمت بعض مبادئ الدين الإسلامي، ومن ثم طرحت نفسها تارة في توليفة متماسكة عجيبة ، وتارة أخرى في شكلها الخالص. وانتشرت هذه التعاليم وسط جماهير الشعب وخاصة في إيران ، وآسيا الوسطى ، وأذربيجان المأهولة آنذاك بسكان ناطقين بالإيرانية . وامتدت كذلك إلى أوساط النخبة العربية - الإسلامية المثقفة، وتمخضت في الحالة الأولى عن حركات شعبية واسعة مناهضة للحكومة (كانت أضخمها انتفاضة 816 - 836 بقيادة بابك)، واستولت في الحالة الثانية على عقول البعض من رجالات الثقافة الذين أطلقت عليهم السلطات تسمية "الهراطقة الثنويين الزنادقة"، وأنزلت بهم عقابا لا يعرف الرحمة .

أسفرت عملية الاندماج عن نتائج هامة جدا في المجال الثقافي أيضا (6) ، فالشعراء الذين عاشوا في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل، وغالبا ما كانوا من أصل إيراني ، ضمَّنوا إبداعاتهم العديد من المواضيع الجديدة. وكان أبو النواس الأكثر شهرة من بين مقرضي الشعر أتباع مذهب المتعة . أما معاصره أبو العتاهية فقد وضع الأساس لتقليد آخر في الشعر هو مذهب الزهد . وفيما بعد ، في النصف الثاني من القرن التاسع ، نرى في ميدان الإبداع الشعري باللغة العربية عودةً إلى المعايير الأدبية لمرحلة ما قبل الإسلام . وهذه العملية ترتبط بالدرجة الأولى باسم كل من أبي تمام والبحتري. وبعد ذلك بوقت قصير ، كان من هؤلاء "المجددين " والكلاسيكيين المبدعين الذين آلفوا بين منجزات أسلافهم ، شعراءٌ رائعون كابن المعتز وابن الرومي . كما أن اللغويين والشعراء الذين اشتغلوا بتصنيف الأدب العربي قبل الإسلام ، اهتموا بجمع الموروث .

وشهد العصر العباسي صيرورة النثر العربي ، فظهر جنس جديد من النتاجات النثرية ، مواضيع الأدب (أي العلم والمعرفة ، " الثقافة العامة ") ، التي تتضمن

مجموعة من المعلومات الأساسية الضرورية للإنسان المتعلم. إن ظهور وتطور مجموعات قواعد الأدب (التأدب) ترتبط باسم كل من عبد الله بن المقفع ، والجاحظ ، وابن قتيبة ، الذين اطلع المسعودي على أعمالهم .

وفي الحين ذاته لم تتوقف مسيرة الوهن الذي اعترى سلطة الخلافة، ففي العام 945 استولت على السلطة في بغداد سلالة البويهيين الشيعية ، وهي سلالة قادة عسكريين من الديلم ذوي نزعة قتالية . وبمرور بعض الوقت أصبح عميد عائلة البويهيين سيدا كاملَ السلطة على كل العراق عمليا، بينما كان حكام آخرون يمسكون بمقاليد السلطة في مناطق أخرى من العالم الإسلامي .

و يختتم المسعودي كتابه " مروج الذهب ..." بوصف هذا الوضع الاجتماعي – السياسي . والمسعودي ، كما سبق وأشرنا ، عاش آخر أيامه في مصر ، ولم يجازف بالعودة إلى موطنه الذي عصفت به رياح الفتنة .

استمر الوضع في الخلافة على ما هو عليه تقريبا حتى العام 1055 عندما ، استولت على السلطة سلالة جديدة من أصل تركي هذه المرة، هي سلالة السلاجقة . وأصبح حكامها يسمون " سلاطين".

استمر وضع الخليفة التابع ، الخاضع، المغلوب على أمره ، حتى النصف الأول من القرن الثاني عشر ، عندما راح الخليفة المكتفي يسترجع السلطة تدريجيا. استمرت نزعة توطيد الخلافة حتى أواسط القرن الثالث عشر ، بيد أن بغداد تعرضت في العام 1258 للخراب على يد المغول ، وقتل المستعصم الخليفة العباسي الأخير. إن الإقدام على قتل ابن السلالة التي حكمت أكثر من 500 عام كان ظاهرة تاريخية فريدة ، حيث أن الخان ، القائد ، المغولي هولاكو تردد مطولا ، فقد تكهن العديد من مستشاريه بحدوث كارثة فظيعة في حال هلاك العباسيين . غير أن الغلبة كانت للاعتبارات التي لا تعرف الشفقة ، والمنطلقة من مقاصد سياسية .

وهكذا انتهى العصر المجيد للخلافة البغدادية ، أو العباسية، الذي تم في زمنها ، وخاصة في المرحلة التي كتب فيها " مروج الذهب .." إرساء أسس الحضارة العربية - الإسلامية التي لم تفقد أهميتها على مر الأيام وصولا إلى زمننا الحاضر.

حظي " مروج الذهب ..." باهتمام كبير من قبل عشاق الكلمة الناطقين بالعربية في القرون الوسطى على الرغم مما سبق وأشرنا إليه من ضعف اهتمام كتاب السيرة القروسطيين بشخصية المسعودي. وبغض النظر عن ضخامة حجمه واختلافه عن غيره من الآثار التاريخية، فقد نُسخ كتاب " مروج الذهب ..." مرارا ، وبقي الكثير من النسخ المخطوطة حتى أيامنا. وثمة مجموعة كاملة من مخطوطات هذا الأثر (خمس لوائح) تحتفظ بها مجموعة المخطوطات في فرع سان بطرسبورج لمعهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية (7) . إن هذه المخطوطات القيمة تم اقتناؤها (إلى جانب مخطوطات أخرى) بفضل مساعي الدبلوماسي الروسي البارز أندريه ياكوفليفيتش ايتالينسكي ، الذي كان سنوات عديدة سفيرا لبلاده وخاصة في اسطنبول (8) .

ومع انتشار طباعة الكتب في العالم الإسلامي صدر " مروج الذهب..." مرات عديدة في مصر. فصدرت طبعته الأولى في حي بولاق عام 1866. واستنادا إلى هذه الطبعات أعد العالم المصري محيي الدين عبد الحميد في ثلاثينات القرن العشرين طبعته لهذا الأثر (أعيد طبعها عدة مرات)، وقد ألمح في الحواشي إلى المواضيع التي يتناولها مؤلف " مروج الذهب ...".

وفي الغرب اطلع القراء أول مرة على مقتطفات من مؤلف المسعودي كملحق بترجمة لمدونات المؤرخ والجغرافي العربي - الإسلامي في القرنين 13 - 14 أبو الفداء إلى اللغة اللاتينية أنجزها مؤسس الاستعراب الألماني إ. ريسكه ، وصدرت بعد وفاته ، في الفترة ما بين عامي 1792 و 1794

م . (9) . وفي الوقت نفسه تقريبا أخذ المستشرق الفرنسي جوزيف دي غين بدراسة تراث المسعودي ، فنشر عام 1792 مقالة غدت أول محاولة لتحليل " مروج الذهب" تحليلا علميا (10) .

وفي العام 1810 نشر المستعرب الفرنسي الشهير سيلفستر دي ساسي مقالة عن المسعودي استعرض فيها أساسا مضمون " كتاب التنبيه والإشراف " الذي لم يكن نشر بعد.

وفي برلين التي كانت تحررت حديثا من سيطرة قوات نابليون، قام عام 1814 الباحث الألماني هنريك يولي فون كلابروت الذي كان عام 1804 مدرسا في قسم اللغات الشرقية وآدابها في أكاديمية العلوم الروسية، والذي انتخب عام 1807 عضوا في الأكاديمية ، وأصبح أستاذا في باريس (غادر روسيا عام 1812) ... قام هذا الباحث بنشر كتاب متوسط الحجم مكرس لوصف أراضي الإمبراطورية الروسية الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين . وكملحق لهذا الكتاب ضمنه فصول «مروج الذهب ..» المخصصة لوصف القوقاز مترجمة إلى اللغة الألمانية .

وأنجز هذه الترجمة خصيصا لكتاب فون كلابروت مستشرق ألماني آخر هو المستعرب م . خابيخت الذي كان يعيش في بريسلاو . وفي الاستهلال الموجز للكتاب يورد كلابروت معلومات عن المسعودي، ويؤكد أن الترجمة تعود لخابيخت، ويعبر عن امتنانه لسيلفستر دي ساسي لما أسداه من عون في إعداد العمل . (11)

أما الأكاديمي خريستيان مارتين (خريستيان دانيلوفيتش) فراين ، المستعرب الألماني الذين انتقل إلى روسيا واستوطن فيها وأسهم بقسط كبير في نشأة الاستعراب الروسي ، فقد استخدم معلومات المسعودي عن شعوب أوروبا الشرقية في بحثه المكرس لتحليل أخبار ابن فضلان عن «الروس القدماء» (12) . ويتضمن هذا العمل ، كما يبدو، أول تنويهات في

العلم الروسي عن المسعودي. وفي أحد أعمال فراين اللاحقة ترد إحالات إلى مؤلفات هذا المؤرخ العربي (13).

لم يفتر اهتمام الأوساط المثقفة ، وضمنا أوساط المستشرقين، في أوروبا الغربية بالقوقاز في العقود الأولى من القرن التاسع عشر. وربما كان ذلك تحت تأثير حرب القوقاز التي كانت في أوج استعارها آنذاك. ومن المحتمل أن هذا الظرف ، وليس الأسباب الأكاديمية فقط ، ما يفسر نشر مؤلف في باريس عام 1828، وضعه السفير السويدي في برلين دوسّون (أصله أرمني من تركيا).

والكتاب مكرس لوصف شعوب القوقاز والساحل الشمالي للبحر الأسود في القرن العاشر. ويورد المؤلف قصة على لسان مبعوث متخيل أرسله الخليفة إلى ملك بولغار منطقة نهر الفولغا، اسمه أبو القاسم الذي زار (على حد الزعم) ، القوقاز والمناطق المجاورة في العام 336 للهجرة (948 للميلاد). ومن المتعارف عليه أن دوسّون هو أول من درس بشكل موسع مؤلفات المسعودي في جانبها المتعلق بالتاريخ والجغرافيا والإثنوغرافيا التاريخية للمنطقة الأورو- آسيوية . وفي سياق عرضه معلومات المسعودي أطلق عليه لقب «هيرودوت العرب» . (14)

أما المستشرق الفرنسي ف. ب. شارموا الذي أمضى عقدين من نشاطه العلمي والتربوي في روسيا ، فينشر في بطرسبورغ عام 1834 مقتطفات من أعمال المسعودي ومؤلفين عرب – مسلمين آخرين، مكرسة للسلاف (الصقالبة) القدماء (15). ويصدر المستعرب النمساوي يوزيف غيلدميستر عام 1836 ترجمة باللغة اللاتينية للفصل المتعلق بالهند والهنود من كتاب المسعودي « مروج الذهب..» (16) وفي وقت لاحق يقترح ترجمته (الصحيحة حسب رأيه) لعنوان هذا المؤلف : «غسل الذهب..» (17). ولقد لقيت وجهة نظر غيلدميستر انتشارا واسعا في علم الاستعراب ، مع ذلك رفضها ش. بيللا (18) العلامة

الكبير في تراث المسعودي. أما نحن فنستعمل الترجمة الروسية التي اقترحها م. س. كيكتيف أواخر السبعينات .

وفي الثلاثينات نشرت في باريس مقالة للمستشرق الروسي الكبير ف.ف. غريغورييف ، غدت أول عمل علمي عن تاريخ روسيا القديمة يرتكز على معلومات مستمدة من مؤلفات المسعودي (19) .

وفي العام 1839 نشرت في باريس للمستعرب الفرنسي ي. كاتريمير مقالة عن المسعودي كبيرة الحجم ، غنية المضمون، تتضمن استعراضا عاما لمؤلفاته وسيرة حياته (20) . وفي الوقت نفسه تقريبا أعد المستعرب الإنكليزي ج. نيكولسن للنشر مقتطفات من مخطوطة تعود للقرون الوسطى مكرسة لقيام سلطة السلالة الفاطمية في العام 909 في شمال إفريقيا، وتنسب إلى المسعودي ، غير أن الباحث نفسه (نيكولسن) بيَّن بشكل دامغ استحالة أن يكون المقتطف المدروس لمؤرخنا الشهير المسعودي (21).

وفي العام 1841 ترجم المستعرب الإنكليزي (من أصل نمساوي) أ. سبرينغر «مروج الذهب..» إلى اللغة الإنكليزية، غير أنه اكتفى بنشر المجلد الأول من هذا المؤلف مشفوعا بمقدمة بقلمه غنية المضمون (22) .

وفي عامي 1847ـ 1848 قام بروفيسور اللغة العربية في كوليج دي فرانس (إحدى أعرق مؤسسات التعليم العالي الفرنسية) أ. ب. كوسَين دي بريسيفال بنشر «لمحة عن تاريخ العرب قبل الإسلام ...» (23) ، هي عبارة عن إعادة رواية الموروث (الحكم والأمثال وغيرها) قبل الإسلام، الذي سجله المؤرخون العرب – المسلمون . وهذا المستعرب الفرنسي يستند مرارا في مقاله إلى « مروج الذهب ...».

والمستعرب الفرنسي المعروف الآخر في ذاك الوقت ج . ت. رينو قدم عام 1848

تحليلا وافيا لآراء المسعودي الجغرافية ، وذلك كملحق لترجمته الفرنسية للمؤلف الجغرافي والمؤرخ العربي ـ الإسلامي أبي الفداء الذي سبق ذكره أعلاه (24) .

وبما أصدره رينو تختتم مرحلة جمع المعلومات الأساسية عن المسعودي في علم الإستشراق . وهذا ما أتاح للمستعرب النمساوي الشهير إ. هامَر- بورغشتال أن يضمِّن المجلد الخامس من كتابه «تاريخ الأدب عند العرب» (1854) نبذة عن مؤرخنا المسعودي (25) .

وتبدأ المرحلة التالية في دراسة تراث المسعودي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما أعدَّ س. باربيه دي مينار ، و أ. بافيه دي كورتييل للنشر نص «مروج الذهب ...» في تسعة أجزاء مرفوقا بترجمة إلى الفرنسية . (26)

لقد لفتت هذه الترجمة انتباه المفكر الفرنسي العظيم ، والكاتب واللغوي – المستشرق جوزيف إرنست رينان . و في العام 1873 بعد أن رأى النور الجزء السادس من المؤلف الوارد ذكره أعلاه ، كتب رينان مقالة مكرسة للمسعودي نفسه ، ولتاريخ الثقافة في العصر العباسي على حد سواء . ويبدو أن هذه المقالة لم تنشر في ذلك الحين ، ولكنها نشرت بعد زمن طويل في العام 1890، ضمن واحد من آخر إصدارات هذا المفكر الفرنسي وهو على قيد الحياة (27) .

يقدم رينان ، بالدرجة الأولى ، تقويما رفيعا لنوعية ترجمة « مروج الذهب ..» الفرنسية ، مشيرا إلى أن عمل باربيه دي مينار و بافيه دي كورتييل يسير على هدي خيرة تقاليد الاستشراق الفرنسي التي أرسى أسسها س . دي ساسي .

وإذ يتطرق إلى التقويم العام لمؤلفات المسعودي يشدد رينان على أن « مروج الذهب ..» يُعَدُّ مجمع معلومات تاريخية وبيبلوغرافية ، وأن لا وجود لكتاب

أكثر أهمية ، أو أغنى مضمونا ، منه بين الآثار العربية المكتوبة . ويكيل مديحا خاصا لأسلوب الكتابة عند المسعودي الذي يذكر بأسلوب الكاتب والناقد الأدبي الفرنسي المعروف ش. أو. سانت بيوف . ومما يقرب بين الكاتبين الافتتان بالنوادر الأدبية والتاريخية ، وكذلك الاهتمام بقضايا الأدب. وفي عداد النوادر التاريخية الأكثر امتاعا من جهة ، ونموذجية من جهة أخرى ، يدرج تلك التي يخص بها مؤرخُنا المسعودي الخليفةَ الشهير هارون الرشيد و «الأمير الشاعر» إبراهيم بن المهدي ، عم الخليفة المأمون. وهذا يعني أن «مروج الذهب ..» مفعم بروحية كتاب «ألف ليلة وليلة» . والمسعودي، كاتب، قريبٌ من المؤلف الذائع الصيت في القرن السابع عشر جان دي لابريوير، ففي البورتريهات التي رسمها قلمه للخلفاء العباسيين يتجلى المزج بين الحقيقي والمبتدع .

إن سر المزايا الأدبية لـ « مروج الذهب ..» يكمن ، كما يرى رينان، في تحرر الخلق والعادات، وفي المستوى الرفيع لحرية الفكر ، التي ميزت عصر الخلافة العباسية ؛ وهذا ما ينطبق بوجه خاص ، على المرحلة الممتدة من مطلع عهد المنصور وحتى وفاة المتوكل ، أي المرحلة « الأكثر إشراقا في تاريخ الروح العربية ». لقد أسدى الخلفاء العباسيون برعايتهم الثقافة خدمة جليلة للبشرية جمعاء . ولعبت دورا في ذلك الترجمات التي أنجزت آنذاك من اللغتين اليونانية والسريانية ، والتي عن طريقها راح الغرب يتعرف على المؤلفات القديمة الأساسية في العلوم كافة ، دون أن يمتلك النصوص اليونانية الأصلية، حتى عصر النهضة في القرن الخامس عشر. ويجمل رينان تقويم العصر العباسي ككل فيقول « لقد بقيت عن هذا العالم الذي اندثر ذكرى ساحرة بوصفه عصر المسرات والأخلاق المتأنقة والثقافة المتأدبة التي ستظل في مخيلة البشرية إلى الأبد» . ومع ذلك فإن الحضارة العربية – الإسلامية في مرحلة ازدهار الدولة العباسية كان مقضيا عليها بالهلاك، إذ كانت تفتقد لركيزة الاعتزاز بالنفس والإحساس الجدي بها. وهذا ما أدى

إلى تشكيل الحرس التركي الذي سبب أزمة السلالة العباسية .

إن الصورة التي يقدمها رينان عن العصر العباسي ، وكذلك آراءه عن هذا العصر ، تبدو من وجهة نظر العلم الحديث على قدر كاف من السطحية ، وأحيانا ساذجة ، ولو أنها لا تفتقر إلى الألق والحيوية . ومع ذلك ، وأيا كان الأمر ، فإن هذه الآراء كانت من السمات المميزة للثقافة الأوروبية آنذاك ، ولذا فقد أوليناها هذا القدر من الاهتمام .

وفي القرن العشرين ، وإذ تابع سيره على نهج تقاليد الاستعراب الفرنسي في دراسة هذا الأثر ، قام ش. بيللا مجددا بتحقيق طبعة باربيه دي مينار و بافيه دي كورتييل المذكورة أعلاه (النص العربي والترجمة الفرنسية) ، ووضع لكتاب المسعودي « مروج الذهب ..» فهرسا توضيحيا يتألف من جزأين .(28)

وتحت إشراف البروفسور تش. ف. هورن بدأت بالصدور في نيويورك مطلع القرن العشرين سلسلة « منتخبات » التي تضمنت مقاطع (مترجمة إلى اللغة الإنكليزية) من نصوص تعود إلى العصر القديم والقرون الوسطى . وتضمن المجلد السادس من هذه السلسلة (عام 1917) مقتطفات من « مروج الذهب ..» (29) . ولكن ، للأسف ، لا ذكر فيها لاسم المترجم .

وفي العام 1983 نشر المستعرب التشيكوسلوفاكي إ. هربيك ترجمة مقاطع مختارة (بلغت حوالي ثلث النص الأصلي) من مؤلف المسعودي الأساسي ، حيث اختار عمليا من جميع فصول الكتاب المقاطعَ المشوقة للقارئ المعاصر. وهذا العمل، بغض النظر عن كونه مقتطفات ، يقدم تصورا متكاملا إلى حد كبير عن « مروج الذهب ..»، كما أنه جاء مرفقا بمقدمة وحواشٍ ، وخرائط كملاحق (30).

وفي العام 1989 ترجم المستعربان الأميركيان بول لوند وكارولاين

ستوين إلى اللغة الإنكليزية المقاطع الأكثر بلاغة من ذاك الجزء المكرس لتاريخ السلالة العباسية في « مروج الذهب ..» (31) . وفيما يتعلق بكتاب المسعودي «التنبيه والإشراف» الذي يأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية ، فقد نشره بطبعة محققة علميا عام 1894 المستعرب الهولندي م. دي غوي . وفي العام 1897 نشر ب . كارًا دي فو ترجمة هذا الأثر إلى اللغة الفرنسية (32) .

ونشير في هذا الصدد إلى أن قاعة تاريخ بلدان آسيا وإفريقيا (غرفة الشرق) في مكتبة التاريخ العامة لدولة روسيا الاتحادية في موسكو تحتفظ بنسخة من ترجمة "كتاب التنبيه والإشراف" الفرنسية مع توقيع مترجم " مروج الذهب .." باربيه دي مينار الذي قدم هذه الترجمة هدية منه، عندما كان رئيسا للجمعية الآسيوية ، إلى م. دي غوي تعبيرا عن تقديره لخدمات هذا المستعرب الهولندي في الترجمة الفرنسية لهذا الأثر. والتوقيع مؤرخ في 13 أيار/ مايو 1897. وقد لفتت انتباهنا إليه مشكورة أو. ف. يريميتشوفا الموظفة في المكتبة المذكورة.

ومن الجدير بالذكر أن المستعرب الفرنسي الشهير كارًا دي فو كان من أوائل مروجي الثقافة العربية – الإسلامية في أوروبا الحديثة. ونشر في العام 1920 خمسة مجلدات تتضمن نُبذا تحت عنوان « مفكرو الإسلام» ، مخصصة لأوساط القراء الواسعة . وفي المجلد الأول ، حيث يعرض بإيجاز مسيرة تطور الفكر التأريخي عند العرب المسلمين، يطلق على المسعودي « غريم مجد الطبري » (33) .

ومما لاشك فيه أن تراث المسعودي غدا ملك العلم العالمي كله، وذلك بفضل الطبعات المحققة علميا لمؤلفيه المذكورين وترجماتهما إلى اللغات الأوروبية . فالمستعرب النمساوي البارز ألفريد فون كريمير على سبيل المثال ، أشار مرارا إلى المسعودي في كتابه المؤلف من جزأين « التاريخ الثقافي

للشرق في عهد الخلفاء» (1875 – 1877) م. وهذا الكتاب هو أول بحث غربي متكامل في الثقافة العربية – الإسلامية (34).

يحيلنا المؤلف مرارا إلى أعمال المسعودي ، ويقدم تقويما له واصفا إياه بأنه أحد أعلام التبحر العلمي العربي الإسلامي، ويضعه في مصاف البيروني. ويرى أن «مروج الذهب ..» عمل جميل ينم عن ذوق رفيع عند واضعه، كما أنه ثري بقصصه المشوقة . ويرى كريمير أن المسعودي يمكن أن يسمى بحق «هيرودوت العرب» . ثمة أساس للافتراض بأن المقالة التي كتبها عن المسعودي أحد مؤسسي مدرسة الاستعراب المسكوفية أ. ي. كريمسكي لقاموس بروكهاوزن و فرون الموسوعي ، تقوم على معلومات مستقاة من عمل أ. فون كريمير. فيرى، على سبيل المثال، أن فون كريمير تحديدا هو الذي نعت المسعودي بـ «هيرودوت العرب»، (لا دوسون كما هو فعلا).

وفيما بعد (عام 1922) حذا أ. ميتس (35) حذو كريمير، وكذلك فعل واضعو مجموعة « تراث الإسلام » (36) في العام 1931 ، الذين يصفون المسعودي بالجغرافي ، وبأنه « بليني العربي ». وعلى الطريق نفسه سار الزوجان د. و ج. سورديل (37) عام 1968 ، وعام 1996م. ولهما تعود مقالة عن المسعودي يوردانها في القاموس الذي وضعاه بعنوان: Dictionnaire hi-«torique de L›Islam». ومن الطبيعي أن المسعودي هو واحد من المؤلفين العرب – المسلمين الذين أكثر ما يستند إليهم الباحثون في المؤلفات المتعلقة بتاريخ الشرقين الأدنى والأوسط في القرون الوسطى . ونشير في هذا المجال إلى أعمال ف. حتي ، وي. أ. بيليايف ، و أو. غ. بولشاكوف (38) ، دون إغفال أعمال غيرهم من المؤلفين في هذا المجال .

ومواصلة للتقاليد العلمية التي أرسى أسسها هامر - بورغشتال وبقيت حتى وقتنا الحاضر ، فإن الدراسات التي تتناول الأدب وعلم التاريخ العربيين لا تستغني أبدا عن المعلومات القيمة (ولو أنها مقتضبة) عن المسعودي. وفي هذا

الصدد نذكر المؤلفين المستعربين : ف. فيوستينفيلد ، إ. ن. خولموغوروف ، ك. بروكلمان ، كل. هيوارت ، أ. ي. كريمسكي ، أ. ر. غيب ، ر. أ. نيكولسن ، ف. سيزغين ، فر. روزنتال ، ت. خالدي ، إ. فيلشتينسكي ، ب. رادتكه (39) .

وابتداء من مطلع القرن العشرين غالبا ما راح الباحثون يستخدمون مؤلفات المسعودي في شتى الدراسات التاريخية. وكان قصب السبق في هذا المجال للنرويجي أ. زايبل ، والألماني إ. ماركوارت (40) . وفي العام 1960 واصل هذا التقليد أ. ميكيل ، وب. كافيراو (41). واستشهد بمؤلفات المسعودي أيضا الكاتب المعروف ف. مينورسكي (42) .

وفي العقد الثاني من القرن العشرين شرع العالم البلجيكي ج. سارتون الذي انتقل إلى أميركا، بنشر عمله الموسع « مقدمة في تاريخ العلوم » ، الذي يتناول فيه تراث المسعودي وغيره من العلماء العرب – المسلمين ضمن السياق العالمي العام لتطور المعرفة العلمية. وإذا كان دوسون قد نعت المسعودي بـ « هيرودوت العرب » فإن ج. سارتون، شأنه في ذلك شأن واضعي « تراث الإسلام » ، أطلق عليه «بليني الإسلامي». وبليني هو صاحب كتاب « التاريخ الطبيعي» الشهير الذي مات وهو يراقب ثورة بركان فيزوفي (43).

نال تراث المسعودي اهتماما خاصا في العلوم الروسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . ويعود ذلك للاهتمام بدراسة تاريخ شعوب روسيا في القرون الوسطى، وكذلك التاريخ العربي – الإسلامي وتاريخ اللغة العربية.

وفي أواسط السبعينات من القرن التاسع عشر ، عندما لم تكن طبعة " مروج الذهب" الباريسية قد أنجزت بعد ، أدرج المستعربان الروسيان المعروفان ف. غيرغاس و ف. روزين فصلا من " مروج الذهب " ، وهو المتعلق بالنزاع بين الأمين والمأمون ، في مجموعة لهما تحت عنوان "المنتخبات العربية" التي لا تزال

حتى اليوم مصدر فائدة كواحد من الكتب المعينة لطلاب الاستعراب في الكلية الشرقية في جامعة سان بطرسبورغ (44).

كان أ. ي. غاركافي أول عالم ، أصدر في العام 1870 ترجمته إلى اللغة الروسية لمقاطع من مؤلفات المسعودي تتعلق بالسلاف (الصقالبة) والروس القدماء (45) . كما أن ن.أ. ميدنيكوف ترجم ونشر في عمل معروف له (46) مقتطفاتٍ من مؤلفات المسعودي تتعلق بتاريخ فلسطين في العصر العربي الإسلامي. ونشر ن. أ. كارؤولوف مقتطفات من مؤرخنا تخص القوقاز وما وراء القوقاز (47). وكما يلاحظ الباحث الروسي ف. م. بيليس ، فإن مقاطع من ترجمات أ. غاركافي، و ن. كارؤولوف قد أعيد طبعها مرارا في إصدارات مختلفة من " منتخبات نصوص حول تاريخ الاتحاد السوفيتي " (48) . وفي الفترة ذاتها صدرت أعمال ب. أ. دورن (49) ، و غاركافي سالف الذكر، و ك. برون ، و ف. فيستبيرغ ، التي تتضمن إحالات عديدة إلى مؤلفات المسعودي (50) .

وبدءا من العقد الأول من القرن العشرين وحتى السبعينات منه نشر في الخارج عدد من المقالات المكرسة لدراسة جوانب شتى من تراث المسعودي، وبشكل رئيس ما يتعلق بالتاريخ والإثنوغرافيا وفلسفة الطبيعة . ونقصد بذلك أعمال زيبولد، ومودي ، ومكارثني ، وفيدايفيتش ، وليفيتسكي ، وكراندجالوف ، وتسابكيفيتش ، وخالدي (51). وتجدر الإشارة بشكل خاص إلى مقالات س . مقبول أحمد التي يدرس فيها تصورات المسعودي الأساسية كجغرافي (52) .

في العام 1958 نظمت جامعة عليغار الإسلامية (الهند) مؤتمرا خاصا مكرسا للذكرى الألفية لوفاة المسعودي (التي صادفت فعلا العام 1956). ولقد نشرت مواد هذا المؤتمر في العام 1960 في مجموعة خاصة تحت إشراف س. مقبول أحمد و أ. رحمن (53).

ومما يدل على الاهتمام العلمي بتراث المسعودي في العالم العربي مقالة مستفيضة وغنية المضمون نشرت في العام 1964 للعالم العراقي علي جواد ، وهي عبارة عن تحليل للعرض الذي يقدمه عالمنا المسعودي القروسطي لتاريخ ما قبل الإسلام (54). وفي السبعينات من القرن العشرين نُشرت دراستان عن المسعودي ، أحداهما للباحث ت. خالدي تتناول بالتحليل نظرات المسعودي التاريخية ، والثانية للباحث أحمد شبول يحلل فيها موقفه من التاريخ قبل الإسلامي ، والشعوب المعاصرة له غير الإسلامية ، وكذلك اهتماماته العلمية (55).

ولم يضعف اهتمام علم الاستشراق في بلادنا بتراث المسعودي سواء في العهد السوفيتي أو بعده. وبالدرجة الأولى استمر نشر ترجمات مؤلفاته ومختارات منها . ومن الإصدارات الأبكر من هذا النوع هناك مجموعة " مواد حول تاريخ التركمان وتركمانيا" (1939) مع مقدمة ف. إ. بلياييف التي تتضمن نبذة عن المسعودي ومؤلفاته (56). وفي العام 1949 أدرج غ. ف. تسيريتلي مقاطع من مؤلفات المسعودي في مجموعة نصوص أصدرها تحت عنوان "المنتخبات العربية". وفي العام 1958 نُشرتْ ترجمةٌ لمقاطع من " مروج الذهب ..." أنجزها الأكاديمي أ. ي. شميدت. وتتضمن هذه المقتطفات معلومات المؤلفين العرب في العصر الوسيط عن تاريخ آسيا الوسطى وإيران ما قبل الإسلام (أي قبل الفتح العربي - الإسلامي). ولشميدت تعود أيضا ترجمة مقتطفات من مؤلفات الطبري ، والدينوري، وحمزة الأصفهاني ، والبيروني ، وابن الأثير. وقد عمل على نشر هذه العمل ف.إ. بيلياييف (57). وفي العام 1960 أدرج ل. ي. كوبُل ، و ف.ف. ماتفييف مقتطفات من مؤلفات المسعودي (بلغة النص الأصلية مع ترجمة لها) وذلك في مجموعة منتخبات من المصادر العربية عن إثنوغرافيا وتاريخ شعوب افريقيا جنوب الصحراء الكبرى (58). وفي العام 1984 نشر كاتب هذه السطور ترجمات لقصص من " مروج الذهب " لمؤلفه المسعودي الذي لم يكن مؤرخا رائعا وحسب ، بل أديبا رائعا أيضا (59) .

ونشير هنا أيضا إلى الأعمال التي استخدمت فيها مؤلفات المسعودي لتحليل التاريخ القروسطي الباكر للشعوب التي كانت تقطن أراضي الاتحاد السوفيتي السابق وغيرها من مناطق العالم : "الأخبار العربية عن الروس". للباحث ف.ف. بارتولد؛ و "السلاف وجيرانهم حسب معلومات المسعودي" و "المسعودي عن المعابد السلافية الوثنية" للباحث أ. ب. كوفاليفسكي ؛ و " بصدد مسألة الطبوغرافيا التاريخية لـ .. إيتيل والبولغار في القرنين التاسع والعاشر"، و " عن العلاقات الروسية – الخزرية والروسية- القوقازية" للباحث أ. يو. ياكوبوفسكي ؛ و "ابن فضلان والمسعودي" و " جامع المعلومات عن أوروبا الشرقية " للباحث ب. ن. زاخودير ؛ و "المسعودي عن العلاقات الروسية البيزنطية في خمسينات القرن العاشر" ، و "معلومات عن البحر الأسود في مؤلفات الجغرافيين العرب في القرن التاسع – العاشر" للباحث ف.م. بيليس؛ و "المسعودي عن مواطن الروس"، و " المصادر القديمة في تاريخ شعوب الاتحاد السوفيتي..."، "المسعودي عن البولغار"، و "المسعودي عن التورك"، و"ملاحظات عن التجارة في أوروبا الشرقية حسب معلومات العلماء العرب في القرن التاسع – العاشر" للباحثة ت.م. كالينينا ؛ و " أوروبا الشرقية في مؤلفات الإدريسي" ، و " طرق المواصلات في أوروبا الشرقية حسب معلومات المؤلفين العرب – المسلمين في القرون الوسطى" للباحثة إ. إ. كونوفالوفا؛ و" افريقيا في إضاءات المسعودي..."، و " من أخبار المسعودي عن القوقاز" للباحثة ل. أ. سيمونوفا ؛ و" إلى أين كان يسافر الروس القدماء .. إلى الأندلس أم الأناضول؟" للباحثة ن.ك. نيفيدوفا (60) ؛ و"دولة الخزر.."، و "المصادر العربية عن النظام الإجتماعي عند السلاف الشرقيين في القرن التاسع – النصف الأول من القرن العاشر ، و "المسيحية والإسلام واليهودية في بلدان أوروبا الشرقية والقوقاز في القرون الوسطى"، و " قيام الدولة الروسية القديمة..." للباحث أ. ب. نوفوسيلتسيف.

وتحتل مكانة خاصة في مثل هذه الأبحاث أطروحة الدكتوراة التي أعدها ف.م. بيليس بعنوان " مؤلفات المسعودي كمرجع في تاريخ أوروبا الشرقية

في القرن العاشر"، التي لم تنشر حتى الآن للأسف. إن مبادئ المقاربة العلمية لدراسة تاريخ الشعوب الأوروبية في القرون الوسطى الباكرة على أساس المصادر العربية ـ الإسلامية التي صاغها هذا العالم قد وجدت تطبيقها على يد تلميذه ف.إ. كريوكوف في أطروحته لنيل الدكتوراه التي تناولت هذا الجانب بالبحث (61).

وفي الثمانينات من القرن العشرين قام ف. بيليس بترجمة مؤلف المسعودي الثاني " كتاب التنبيه والإشراف" إلى الروسية، وكان أ. نوفوسيلتسيف يعتزم كتابة تعليق على هذه الترجمة، إلا أن وفاة هذين العالمين حالت دون إتمام هذا المشروع العلمي ذي الأهمية الفائقة (62). ونجد كشفا بالمعلومات، التي يوردها المسعودي عن تاريخ بلادنا (روسيا) في القرون الوسطى ، في العمل الجماعي " روسيا القديمة" (63). ولا بد أن نضيف أن أبحاث كل من إ. يو. كراتشكوفسكي ، و أ. ب. كوفاليفسكي ، و ف.م. بيليس و أ. ب. خالدوف تنظر إلى إبداع المسعودي عامة ، أو بعض جوانبه ، بوصفه ظاهرة من ظواهر الثقافة العربية – الإسلامية (64).

وإلى هذا الاتجاه في دراسات تراث المسعودي تنتسب أعمال كاتب هذه السطور الذي بدأ بالعمل على دراسته مذ كان طالبا في معهد آسيا وافريقيا التابع لجامعة موسكو الحكومية، حيث أعد بعض الأعمال ، ومنها دبلوم التخرج، عن " مروج الذهب .." تحت إشراف م. س. كيكتيف. وبعد الدفاع عن أطروحة دكتوراه فلسفة عام 1981بموضوع "نثر المسعودي وتقاليد علم التأريخ العربية ..." صدر لنا عدد من المقالات ، وفي العام 1998 صدر كتابنا ، وهو البيبلوغرافيا العلمية المبسطة الأولى والوحيدة عن المسعودي عندنا حتى الآن ، وقد عنوناه " هيرودوت العرب" (صدرت ترجمته إلى العربية عام 2006 عن دار "المدى") تيمنا بدوسّون. وأخيرا ، نشرنا عام 2002 ترجمة علمية (مع تعليقات ومقالة تقديم وفهارس) لذلك الجزء من "مروج الذهب.." الذي يتناول تاريخ حكم العباسيين (65).

يبين تحليل الدراسات العلمية المكرسة للمسعودي أن اهتمام المستشرقين والمختصين في تاريخ الشرق قد انصب بشكل رئيس على الجوانب الإثنوغرافية والجغرافية - التاريخية من تراث هذا العالم. وفي الحين ذاته ، كما يشير المستعرب المعروف ب.أ. غريازنفيتش ، فإن المسعودي كان مهتما في سياق إضاءته التاريخ العربي - الإسلامي ، بـ " وقائع تاريخ الثقافة العام" بالدرجة الأولى . وباستثناء الفصلين الثاني والثالث من كتاب أحمد شبول (66) المكرسين لموقف المسعودي من أوساط العلم العربي - الإسلامي ، لا توجد أعمال تخصص حيزا للثقافة العربية - الإسلامية في تراث المسعودي، وبالدرجة الأولى وأساسا " مروج الذهب ..". وهذا الحيز على قدر كبير من الأهمية ، فوفق تقديراتنا يشكل عدد الأشخاص الذين لهم علاقة مباشرة بالعملية الثقافية حوالي 13 بالمائة من مجمل الشخصيات العربية - الإسلامية المذكورة في جزء " مروج الذهب .." الذي يتطرق إلى تاريخ الدولة العباسية .

وهذه القرينة تبرز الجديد علميا في هذا البحث الذي يتناول" مروج الذهب .." لأول مرة في علم الاستعراب الروسي والأجنبي كمرجع في تاريخ الثقافة العربية - الإسلامية.

إن تناول تراث هذا العالم العربي - الإسلامي الكبير من وجهة النظر هذه يبدو لنا حيويا جدا بالنسبة للعلوم الإنسانية في بلدنا ، فحتى الآونة الأخيرة - عمليا - لم تكن دراسة جوانب علم الثقافة من تاريخ الحضارة العالمية تحظى بما تستحقه من الاهتمام .

في الفصل الأول من كتابنا هذا نتناول الأهمية الثقافية - التاريخية لتقاليد علم التأريخ العربي - الإسلامي ومكانة " مروج الذهب .." في هذه التقاليد . والفصول الثلاثة التي تلي الفصل الأول مكرسة لمسائل سعينا لاستبيانها على قاعدة تحليل المعلومات التي يتضمنها هذا المؤلف وذات صلة

بمختلف جوانب حياة المجتمع العربي - الإسلامي : الثقافية والاجتماعية (الفصل الثاني) و الدينية والفلسفية (الفصل الثالث)، وأخيرا ما يتعلق بمسائل الأدب العربي (الفصل الرابع) .

إن هذا الكتاب الذي نقدمه للقارئ أنجز عام 2003 استنادا إلى أطروحة دكتوراه في العلوم عملنا عليها منذ العام 1999 وحتى العام 2002 ، في قسم المخطوطات لشعوب الشرق في معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية. وأرى من واجبي أن أتقدم بالشكر للزملاء المستشرقين الذين أسدوا لي عونا علميا وعمليا لا يقدر بثمن ... دكاترة العلوم في التاريخ والآداب والفلسفة : أ. غ. بيلوف ، ي. أ. دافيدوفيتش، د. ف. ديوبيكا ، غ . غ . كوساتشا ، و . غ. لاند ، ب. أ. ليتفينسكي ، ن. م. سازانوف ، ي. غ. سيرانيان ، أ. ف. سميرنوف، إ. م. فيلشتينسكي ، ودكاترة الفلسفة في التاريخ والآداب ل. ف. غوريايف ، ت. أ. دينيسوف ، وطيب الذكر الراحل م. س. كيكتيف، و ف. ن. ناستيتش ، س. ب. بيفزنر ، ف.ف. سافرونوف ، ن. ف. ستيبانوف، وكذلك أو. أ. فلاسوفا ، ي. يو. غونتشاروف ، ل. غ. غوباريفا ، ب. ن.بيتروف.

هوامش المقدمة

1- Brockelman C . Al-Mas`udi, S 464 - 465

2- Pellat Ch. Al-Masu`di,p.784

3 – لمزيد من التفصيل عن رحلات المسعودي راجع كتاب « شبول أحمد م. هـ. Al-Masu`di " ، وكذلك كتاب دميتري ميكولسكي " المسعودي .. هيرودت العرب " // صدرت ترجمته العربية عن دار " المدى " 2006 //

4 – رسمنا المجرى العام لتطور الحضارة العربية – الإسلامية على قاعدة المؤلفات التالية حسب تاريخ صدورها:

Hitti Ph.K. History of the Arabs, 1937

بليايف ي. أ. العرب والإسلام والخلافة العربية / بالروسية /

Shaban M. A. Islamic History

Lassner J. The Shapping of Abbasid Rule

Kenndy H. The Early Abbasid Caliphate

غرونيباوم غ. ي. فون. الإسلام الكلاسيكي / بالروسية /

ميخائيلوف إ. ب. بغداد في العصور الوسطى ... / بالروسية /

Blankinship Kh. Y. The End of the Jihad State

5 – لمزيد من التفصيل عن نشأة الحركة الشيعية راجع . بروزورف س. م. مقدمة – الحسن بن موسى النوبختي. الفرق الشيعية / بالروسية /

6 – لمزيد من التفصيل عن تطور الأدب العربي في العصر العباسي راجع : فيلشتينسكي إ.م. " تاريخ الأدب العربي من القرن الخامس وحتى أوائل القرن العاشر ". وله أيضا " تاريخ الأدب العربي من القرن العاشر وحتى القرن الثامن عشر".

/ بالروسية /.

7 – راجع : مخطوطات معهد الاستشراق العربية ص 419

8 – راجع : بيليس ف. م. مؤلفات المسعودي ...؛ ص 67 / بالروسية /

9- انظر:

Abulfedae annals Muslemici , p. 712 – 716

10 – انظر : Guignes J. de. Les Prairies d`or…

11 – راجع :

Klaproth J. von. Beschreibng der Russischen Provinzen

12 - راجع :

Fraehen Ch. M. Ibn_Fozlan`s und anderer Araber Berichte…

13 - راجع :

Fraehn Ch. M. Die altesten arabichen Nachrichten….., S. 16 , 46.

14_ D`Ohsson C. Des peoples du Caucase…., p. V

15_ راجع : Charmoy F. B. Relation de Massoudi….

16_ Gildemeister J. De rebus indae quamoto…

Gildemeister J. Uber den Titel des Masudischen Werkes Muruj al – Dahab.

17 _ 18 - راجع : Pellat Ch. Al_ms`sudi, p. 786

19 - غريغورييف ف.ف. حملات الروس الأولى على الشرق. / بالروسية /

20_ انظر Quatremere E. Notice sur vie et les ouvrages de Masoudi.

21_ راجع : Nicholson J. An Account of the Establishment of the Fatemite Dynsty in Africa …, p 37 – 50.

22_ انظر:

el_Masudi's Historical Encyclopaedia..Preface:p.V_LXXII

23_ راجع

Caussin de Perceval A.P. Essai sur l'histoire des Arabes avant l'islamisme … T. I_III.

24_ راجع Reinaud. Geographie d'Aboulfeda, p.LXIV – LXXII

25 - راجع :

Hammer_ Purgstall J. Litaraturgeschichte der Araber, S.509

26_ راجع

Mascudi. Les prairies d›or. Texte et trad. par C.Barbier de Meynard et Pavet de Courteille (BM et PC)

27_ Renan E. Les prairies d'or de Macoudi. P.253 – 275.

28 - انظر :

Pellat Ch. Index ; Shboul Ahmed M.H. Al_Mas'udi

29_ Horne. Medieval Arabic… p. 35 _89

30 ـ راجع : al_Mas›udi, ali b. al_Husain. Ryzoviste zlata
(تشير إلى هذا المرجع الباحثة في الدراسات التاريخية ت. م. كالينينا)

31 – راجع : Masudi. The Meadows of Golf: The Abbasids.

32 – راجع :
al _ Masudi. Kitab at_tanbih wa_Lishraf ; Macoudi. ; Le Livre de L'avertissement et de la revision. ; Carra de Vaux B. Note sur un ouvrage attribue a Macoudi.

33 – راجع :
Carra de Vaux B. Les penseurs de L'Islam. Vol.I. Les souverains: L'Histoire et la philosophie politique, p. 95 – 96

34 – راجع : Kremer A.von . Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen.

35 – انظر:
Mez A. Die Renaissance des Islams. Heidelberg, 1922

36 – راجع: The Legacy of Islam.

37ـ Sourdel D. et J. La Civilisation de L'Islam Classique,

38 – راجع :
Hitti Ph.Histovy of the Arabs ; وبيليايف ي. أ. العرب والإسلام والخلافة العربية / الروسية /؛ وبولشاكوف أو. غ. تاريخ الخلافة / بالروسية /

39 – راجع : Wustsnfeld F. Die Geschichtscreiber der Araber und ihre Werke, S. 38 _40 (No 119);
Brockelman C. Geschichte der arabischen Literatur. Bd I, S. 143_145 ; Brckelman C.Al_Mas›udi. S 464_465; Huart CL. Literature Arabe, p. 182 – 183 ; Nicholson R. A. A Literary History of the Arabs, p.352 – 354 ; Sezgin F. Gecshichte des arabischen Schriftums, S. 332 – 336 ; Rosenthal Fr. A History of Muslim Historiography. P.10,42, 50, 87_93, 135 – 137sq ; Khalidi T. Islamic Historigraphy, p.131 – 136 ; Radtke B. Weltgeschichte….,S.2,5,12,14,ff.
وكذلك المراجع الروسية : الشامل في تاريخ الأدب ص. 339 ؛ كريمسكي أ. ي. تاريخ العرب والأدب العربي ... ، ص. 144 ؛ غيب . أ. ر. الأدب العربي ...، ص. 59 ؛ فيلشتينسكي إ. م. تاريخ الأدب العربي القرن العاشر – القرن لثامن عشر، ص . 250ـ225

40 - راجع : ..., Seippel A.Rerum Normannicorum fontes Arabici
(في الجزء الأول من هذا الكتاب يورد المؤلف مقاطع باللغة العربية من " مروج الذهب .." ومن "التنبيه والإشراف " مكرسة للنورمانيين وغيرهم من شعوب أوروبا ، وكذلك القوقاز) .
راجع أيضا : Marquat J. Osteuropaische und Ostasiatische Streifzuge,S. 142 0 146
41 - راجع : Miquel A. La geograpgie humaine du monde musulman .., p. 95 – 102,113. 153, 192-203 ; Kawerau. Arabische Quellen ...,S. 11 -12
42 - للاطلاع على أعماله راجع : بيليس ف. م. " مؤلفات المسعودي " /بالروسية /. نشر كتاب مينورسكي "تاريخ شيروان ودربند القرن العاشر- القرن الحادي عشر " في روسيا عام 1963، وهو يتضمن ترجمة فصل من " مروج الذهب ... ".
43- Sarton G. Introduction to the History of Science, p. 637 – 639
44 - غريغاس ف. ن روزين ف. " المنتخبات العربية " ، ص. 222- 248 / بالروسية / (تشير حاشية على الصفحة السادسة من هذا الكتاب إلى أن المقطع من " مروج الذهب .." مأخوذ من الطبعة الفرنسية)
45 - غاركافي . أقوال الكتاب المسلمين عن السلاف (الصقالبة) والروس. / بالروسية / ص. 117 – 176
46 - راجع :
ميدنيكوف ن. أ. فلسطين منذ لفتح العربي وحتى الحملات الصليبية... /بالروسية/
47 - كارؤولوف ن. أ. معلومات الجغرافيين العرب في القرن التاسع - العاشر... ، ص. 29 – 30 / بالروسية /.
48- راجع : بيليس ف. م. مؤلفات المسعودي ...، ص. 72 / بالروسية /.
49- Dorn B. Auszuge aus zwei morgenlandischen Schriftstellen.. 381
وله أيضا كتاب " Caspia " المترجم إلى الروسية بعنوان " حملات الروس القدماء على طبرستان "
50- غاركافي أ. شهادات غير منشورة للمسعودي عن حملات الروس على تسارغراد (القسطنطينية) ؛ برون ف. من هم القبائل التركية الأربع التي كسرت الإغريق عام 934 حسب شهادة المسعودي .... ؛ فيستبير غ ف. بصدد تحليل المصادر الشرقية...
51- ترد أسماء هؤلاء الباحثين في العديد الدراسات الروسية في هذا المجال.
52- Maqbul Ahmad S. Al-Mas'udi's contribution ... 1953 ;

The travels of … Al_Mas'udi 1954 وله أيضا
Al_Mas'udi : Millenary Commemoration Volume. _53
54 – علي جواد . موارد تاريخ المسعودي .

Khalidi T. Islamic Historiogrphy ; Shboul Ahmad _55
M.H.A _ Mas›udi …;
وثمة عمل آخر أشارت إليه ت.م. كالينينا ولم يتح لنا بعد الاطلاع عليه ، وهو:
Rotter G. Al_Mas'udi : Bis zu den Grenzen der Erde
56 – المواد المتعلقة بتاريخ التركمان وتركمانيا (مستعارة من ترجمة س. ل. فولني لكتاب "التنبيه والإشراف " ص. 166 ، ومن كتاب " مروج الذهب .." ص. 166 _167). وفي مقدمة ف. إ.. بليايف " المصادر العربية عن تاريخ التركمان وتركمانيا" ترد على الصفحة 25 معلومات عن المسعودي.
57 – شميدت أ. ي. مواد في تاريخ آسيا الوسطى وإيران ، ص. 569– 473 / بالروسية/
58 – كوبُل ، وماتفييف. المصادر القديمة والقروسطية..، ص. 19 – 261/بالروسية/.
59 – ميكولسكي . المسعودي . قصص.
60 _ لقيت هذه الدراسة معارضة من طرف ف. مينورسكي (انظر: مينورسكي ف. إلى أين رحل الروس القدماء؟)
61 – كريوكوف ف. غ. معلومات الجغرافيين العرب أواخر القرن التاسع – النصف الأول من القرن العاشر … ، ص 5 ، 6 ، 9_8 , 11_ 15
62 – راجع : ت. م. كالينينا " كتاب التنبيه والإشراف "...., المقالة تتضمن عرضا مسهبا لمضمون هذا الأثر.
63 _ راجع : روسيا القديمة في ضوء المصادر الأجنبية ، ص. 22_220 3 / بالروسية/
64 – كراتشكوفسكي إ.يو. الأدبيات الجعرافية العربية؛ وله أيضا : الجغرافيون والرحالة العرب / بالروسية / ؛ و.ب. كوفاليفسكي ، أبو الحسن على المسعودي عالما / بالأوكرانية/ ؛ ف.م. بيليس. صورة عن حضارات العصر القديم والقرون الوسطى.. / بالروسية / ؛ الصولي أبو بكر محمد . تقديم أ.ب. خالدوف / بالروسية/.
65 – د. ف. ميكولسكي. " مروج الذهب ومعادن الجوهر" _ تاريخ حكم السلالة العباسية /بالروسية/.
Shboul Ahmad M. N. Al_Mas'udi. p. 29 – 94 – 66



الفصل الأول

" مروج الذهب .." وتقاليد التأريخ العربي – الإسلامي

علم التأريخ واحد من أهم مجالات الحياة الفكرية في العصر العباسي. والمؤلف الرئيس الذي وصلنا من مؤلفات المسعودي هو عمل تأريخي. ولفهم طبيعته وخصائصه كجنس أدبي، ينبغي أن نتبين متى ظهرت المعارف التاريخية عند العرب – المسلمين ، وعلى أي نحو تطورت . (1)

ظهرت مبادئ المعارف التاريخية عند العرب منذ ما قبل الإسلام، إذ نلاحظ في الشعر العربي الجاهلي أولى المحاولات الرامية لتسجيل الأحداث التي اتصفت بالأهمية على صعيد المجتمع .

ونرى أيضا محاولات لتسجيل الوقائع التاريخية في النصوص النثرية التي رافقت القصائد الشعرية . كانت تلك النصوص تتضمن معلومات عن سير الشعراء ، منها على سبيل المثال، ما يتعلق بلقاءاتهم مشاهير الناس كالملوك وغيرهم . وفيها إلى جانب ذلك إشارات إلى الظروف التي استدعت نظم هذه القصيدة أو تلك . وعلى الأغلب الأعم كانت تلك المعلومات تحمل طابع الأسطورة ، وتتوفر على فيض من الموضوعات الفولكلورية التي نصادفها عند الشعوب الأخرى .

والجنس الآخر للرواية التاريخية عند العرب قبل الإسلام هو الموروث القبلي المتضمن ، بشكل رئيس ، أخبار الحروب التي كانت تخوضها القبائل العربية. وهذا الجنس يعرف بـ" أيام العرب "، التي كانت تعبيرا عن ذاكرة القبيلة الجماعية ، وأخذت صيغتها في اجتماعات (مجالس) رجال هذه القبيلة أو تلك .

جرى تدوين الشعر العربي قبل الإسلام والنصوص النثرية المرافقة له ، وكذلك " أيام العرب " في القرنين الثامن – التاسع ، أي في حقبة نضوج الثقافة العربية – الإسلامية .

ولهذه الفترة يعود تسجيل الأساطير التاريخية التي ترجع جذورها إلى ما قبل الإسلام ، أي ما يسمى المورث القبلي اليمني الذي كان تعبيرا عن الوعي الذاتي عند القبائل " اليمنية " (الجنوبية) ، التي اتخذت شكل اتحاد قبلي خاص كما يرى بعض الباحثين المعاصرين ، وذلك بعد ظهور الدين الإسلامي. والمقصود بذلك أساسا هو أعمال المؤرخ الشهير وهب بن منبه ، التي تضمنت أسفارا دينية عن أنبياء العهد القديم (الإسرائيليات) . وكان هدف الموروث القبلي اليمني تمجيد العرب "الجنوبيين"، إذ كان ينبغي التدليل على أنهم ليسوا دون عرب " الشمال" ، بل حتى أرفع منهم شأنا .

لم تنقطع " أيام العرب" في العصر الإسلامي ، بل تطورت قدما ، وأضحت أحد أسس التأريخ العربي – الإسلامي . وعلى غرار أسلافهم قبل الإسلام كان العرب في العصر الإسلامي يتلاقون في "المجالس"، ويتبادلون الأحاديث عن مآثر القبائل في العصر الإسلامي. وهذه" الأخبار" تنطوي على الكثير مما يجمعها بـ" أيام العرب" ما قبل الإسلام . لقد بدأ تدوين هذه الأخبار المتناقلة (الموروث) في أوائل القرن الثامن ، وسميَّ العلماء الذين اعتنوا بجمع " الأخبار " تسمية مطابقة ، أي "الأخباريون". وكان الأكثر شهرة بينهم أبو محنف ، عوانة بل الحكم ، سيف بن عمر، و نصر بن مزاحم. ويعتبر

المدائني الإخباري الحلقة الأبرز التي بها تختتم سلسلة هذا التقليد العريق .

لقد ضاع معظم أعمال جامعي الأخبار ولم يبق منها حتى أيامنا إلا القليل ، غير أن بالإمكان الحكم عليها من خلال ما يرد من ذكر لها عند مؤلفين لاحقين . أخذ المؤرخون الأوائل يصنفون الموروث التاريخي الإسلامي ، فألفوا منه أسفارا مكرسة لأحداث تاريخية هامة ، منها على سبيل المثال موقعة الجمل التي دارت رحاها بين علي بن أبي طالب من جهة وطلحة والزبير من جهة ثانية ، وموقعة صفين (657)، وانتفاضة الشيعة بقيادة المختار (685 – 687). ولقد وضع المدائني عن تاريخ الخلافة كتاب " أخبار الخلفاء الكبير"، وبذلك أرسى أسس علم التأريخ العربي – الإسلامي .

وبتأثير التصورات التوراتية ، التي استوعبها الإسلام جزئيا، ربط النسابة العرب المسلمون القبائل العربية بالتصنيف التوراتي للشعوب. ومما حفز تطور علم الأنساب أن نظاما خاصا أقيم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب لدفع الأرزاق مقابل المشاركة في الحملات العسكرية، وسمي هذا النظام "ديوان الجند". والعنصر الهام في هذا النظام هو السجلات الخاصة التي تحصي المقاتلين وأقرباءهم وفقا لانتمائهم القبلي . وهكذا غدا موضوع علاقة النسب بهذه القبيلة أو تلك مسألة مكانة اجتماعية ورفاه مادي بالنسبة لكل فرد .

وكان محمد الكلبي ، على الأرجح ، أول مؤلف عربي – إسلامي قام بتصنيف معلومات النسب والموروث القبلي . وقام ابنه هشام بتدوين وإكمال ما جمعه . وقد وضع مثل هذا المجمع عن الأنساب ، على سبيل المثال ، أبو يقظان النسابة . ومن النسابة اللاحقين لا بد أن نذكر الهيثم بن عدي ، و مصعب الزبيري. وربما كان مؤلف الهيثم بن عدي " كتاب التاريخ على السنين " الذي لم يصلنا ، إحدى أولى المحاولات – إلى جانب مؤلفات المدائني – لوضع رواية كاملة في تاريخ الجماعة الإسلامية .

كما أن تقليد جمع الموروث عن سلوك النبي محمد وأقواله (الحديث) كان مصدرا آخر لتطور التأريخ العربي - الإسلامي. ولقد ولد هذا الفرع من التبحر العلمي العربي - الإسلامي في المدينة، العاصمة الأولى للدولة الإسلامية.

ويرى الباحث البارز في علم التأريخ العربي - الإسلامي، الأستاذ العراقي في جامعة عمان، عبد العزيز الدوري، أنه جرى أولا جمع الأحاديث، ثم تناول البحث تاريخ الحملات التي قام بها النبي محمد، وجوانب أخرى من سيرته. وفيما بعد بدأ وضع سير وتراجم صحابة النبي، وصولا في آخر المطاف إلى دراسة تاريخ الجماعة الإسلامية كلها (2).

ولقد انتقل إلى المؤلفات التاريخية عنصر هام من تقاليد جمع الأحاديث، هو "الإسناد"، أي سرد أسماء الأشخاص الذين رووا هذه المعلومة أو تلك، وأكدوا صحتها.

وأول جنس تأريخي هو "المغازي"، أي رواية أخبار غزوات النبي، علما بأن أوائل المؤلفين لم يقتصروا في مؤلفاتهم على ذكر الأحداث التاريخية الأكيدة، بل ضمنوها أيضا قصصا فولكلورية (حكايات) كان الناس يتناقلونها شفهيا على نطاق واسع، وانتشرت بفضل قصاصين شعبيين من نوع خاص. وفي أول الأمر كان كل جنس السيرة النبوية يسمى "المغازي".

ومن المتعارف عليه أن مؤسس جنس "المغازي" هو ابن الخليفة الراشدي الثالث عبان بن عثمان بن عفان الذي كان أصلا من جامعي الأحاديث، ولكنه شخصيا لم يعمل على تسجيلها.

وأول كتاب في " المغازي " وضعه عروة بن الزبير، وقد بقيت منه مقاطع في مؤلفات المؤرخين اللاحقين. وثمة ما يدعونا للافتراض أن عروة لم يكن مهتما بظروف حياة نبي الإسلام وحسب، بل وبعهد الخلفاء الراشدين أيضا.

أما شرحبيل بن سعد، المُجايل الأصغر سنا لعبان بن عثمان وعروة بن

الزبير، فقد وضع لوائح بأسماء صحابة محمد وفقا لمشاركة كل منهم في هذه الأحداث أو تلك. واتسم ذلك بأهمية كبيرة بالنسبة لخلف الصحابة، إذ كان له تأثير جلي على وضعهم الاجتماعي .

وفي الوقت نفسه ، وإلى جانب عبان بن عثمان ، وضع المؤرخون عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة، و محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، تعريفا دقيقا لحدود " المغازي" وجمعوا القسم الأكبر من المواد التي استخدمها المؤلفون اللاحقون .

وكان الزهري الأكثر أهمية من هؤلاء المؤرخين الثلاثة ، فهو أول من استعمل مصطلح "السيرة" فيما يتعلق بجمع المعلومات عن النبي محمد. كما أنه صنف هذه المعلومات وفق المواضيع والتسلسل الزمني. وكان لسيرة النبي عند الزهري الطابع البنيوي التالي : معلومات عن مرحلة ما قبل الإسلام تتعلق بالنبي، والمرحلة المكية من نشاطه ، والهجرة ، والحملات ، وفتح مكة ، والبعثات التي نظمها، والبعثات قصدته ، وغير ذلك من أنواع نشاطه ، حتى مرضه الأخير ووفاته .

وفضلا عن ذلك تطرقت أعمال الزهري إلى مرحلة الخلفاء الراشدين حتى بداية حكم الأمويين .

وعلى هذا النحو يكون الزهري، إلى جانب الهيثم بن عدي والمدائني ، قد أرسى الأسس البنيوية لرواية متكاملة عن تاريخ الجماعة الإسلامية.

من المعروف أن وهب بن منبه وضع كتابا عن جنس المغازي. غير أن له خدمات جلى أخرى في ميدان تطوير علم التأريخ العربي – الإسلامي . ومن أهم مؤلفاته "المبتدأ" ، الذي يشكل أول محاولة للرواية بشكل مترابط عن الرسالات النبوية السماوية قبل الإسلام ، التي تشكل ، من وجهة نظر العلماء العرب – المسلمين ، جوهر تاريخ العالم. وبفضل الاقتباسات عن هذا العمل

التي احتفظت بها مؤلفات المؤرخين اللاحقين ابن قتيبة ، والطبري ، والمقدسي ، يمكننا أن نعرف أن وهب بن منبه كتب عن التاريخ التوراتي (العهد القديم) ، ومن ثم انتقل إلى الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن ، عداك عن أنه تحدث عن أتقياء مثل لقمان، والفتية السبعة النائمين (أهل الكهف) .

كان لأعمال وأفكار وهب بن منبه تأثير كبير على محمد بن اسحق تلميذ الزهري ومؤلف أقدم السير التي وصلتنا . و"سيرة" ابن اسحق وصلتنا عبر تحقيق ابن هشام . وانعكست في هذا المؤلف أيضا مبادئ مدرسة التأريخ المدينية التي تعود إلى أسس علم الحديث ، فأسلاف ابن اسحق هم عروة بن الزبير، وعاصم بن عمر بن قتادة ، و عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

كانت سيرة ابن اسحق حسب فكرتها الأولية تتألف ، على ما يبدو، من الأجزاء التالية : "المبتدأ" (خلق وتاريخ الأنبياء حتى نزول الوحي والدعوة المحمدية) ، و "المبعث" (رسالة محمد)، و "المغازي" (الحملات العسكرية). والصيغة التي وصلتنا لسيرة ابن هشام تولي الاهتمام الأكبر للجزء الثاني من هذا العمل .

يصف ابن اسحق أيضا " تاريخ الخلفاء " الذي لم يصلنا إلا في مقاطع مجتزأة. وربما كان هذا التاريخ يغطي مراحل حكم الخلفاء الراشدين والأمويين . وعلى العموم فإن هيكلية هذين المؤلفين تدل على طموح ابن اسحق لتقديم عرض لتاريخ العالم بأكمل وجه .

وفي النصف الأول من القرن الثامن أخذ مؤلفون آخرون يهتمون بالتاريخ . وقد أيد هؤلاء آراء الشعوبية، ولم يكونوا من أصل عربي. ومن الأوائل كان الكاتب النثري الشهير عبد الله بن المقفع ، الذي ترجم إلى اللغة العربية مؤلف تاريخي بالفارسية الوسطى يتضمن سيرة الملوك الساسانيين . وكان عنوان الترجمة "سير الملوك".

وهذا العمل ، شأنه في ذلك شأن الترجمات المماثلة الأخرى من اللغة الفارسية الوسطى (الفهلوية) ومن اليونانية والسريانية ، ساهم في إطلاع العرب - المسلمين على مادة واقعية من تاريخ الشعوب القديمة، وساعدهم في استيعاب التصورات الإيرانية والبيزنطية عن التاريخ .

ويرتبط الطور التالي من مسيرة التأريخ باسم محمد بن عمر الواقدي، الذي يكرس مؤلفه الرئيس " المغازي " لحملات النبي العسكرية في الفترة المدينية . وهذا العمل من حيث المضمون والطريقة يواصل تقاليد الزهري وابن اسحق .

وعلى غرار المؤرخين " الأخباريين " وضع الواقدي عددا من الأعمال عن أهم أحداث تاريخ الجماعة الإسلامية ، مثل مقتل عثمان ، وموقعتي صفين والجمل ، وفتح سورية والعراق . ووضعَ أيضا " التاريخ الكبير" الذي يتحدث فيه ، حسب كل الدلائل ، عن حكم الخلفاء حتى العام 795م .

ومن مؤلفات الواقدي " كتاب الطبقات " ، أي أجيال صحابة النبي محمد. وكان هذا الكتاب، على الأرجح ، المصدر الرئيس والنموذج لـ "الطبقات " الذي ألفه ابن سعد تلميذ الواقدي وكاتبه . وهذا المؤلف ، وفضلا عن كونه مرجعا رائعا، مهمّ أيضا نظرا لما يتآلف فيه من مبادئ رواية الحديث لدى مدرسة التاريخ المدينية التي تشكلت على أساسه ، ومبادئ الأعمال التاريخية لمن عرفوا بـ "الأخباريين ". ولقد كان لسيرة ابن سعد التي وردت في " الطبقات " تأثير كبير على المؤرخين اللاحقين .

شق نشاط ابن سعد الطريق أمام المؤرخين أواسط القرن التاسع والنصف الثاني منه ، فترسخت في أعمالهم بشكل ناجز نظرية العرب - المسلمين عن التاريخ العالمي وتاريخهم الإسلامي . واستند مؤرخو هذا الاتجاه إلى مبادئ أسلافهم المنتمين إلى مختلف مدارس التأريخ .

ومن بواكير هذا الاتجاه " التاريخ " لخليفة بن خياط ، وهو من أبكر ما وصلنا من مؤلفاتٍ تبسط تاريخ الجماعة الإسلامية .

أما أعمال ابن قتيبة، الأديب الشهير في القرن التاسع وأحد كبار المختصين في مجال الأدب ، فقد اتسمت بأهمية كبيرة بالنسبة للأعمال التاريخية اللاحقة . وإذ اهتم أيضا بالتاريخ، فقد وضع ابن قتيبة موسوعة " كتاب المعارف " التاريخية ، واتبع الخطين الأساسيين لتقاليد التأريخ العربي الإسلامي، أي أنه وصف فيها تاريخ العالم منذ الخليقة وحتى عهد المعتصم ، وضمَّنها مواد من مؤلفات " الأخباريين " والنسَّابة . واستخدم ابن قتيبة المصادر المكتوبة والشفهية سواء بسواء. وكان الأول في تاريخ الكتابة العربية – الإسلامية الذي توجه مباشرة إلى نص العهد القديم (التوراة) ليستقي منه معلومات عن خلق العالم ، وعن الأنبياء التوراتيين.

ومن حيث اتساع الاهتمامات الإبداعية نجد أن ابن قتيبة قريب من الدينوري ، الذي ترك في مجال التأريخ مؤلفه الشهير " كتاب الأخبار الطوال " حيث اتبع فيه مخططا كان قد ترسخ في أسلوب عرض تاريخ العالم والتاريخ العربي – الإسلامي . وإذ يعرض تاريخ ما قبل الإسلام يحاول الدينوري تقديم إضاءة موازية للأحداث التاريخية الأسطورية في فلسطين وإيران واليمن . وفي هذا الجزء من كتابه تغلب المواد الإيرانية. وخلافا لغيره من المؤرخين العرب – المسلمين ، يكرس لرسالة النبي محمد بضعة أسطر فقط ، منتقلا بشكل مباشر عمليا إلى عرض تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين . وتكمن خصوصية عمل الدينوري في قدر من عدم التوازن التركيبي (في المبنى) ، أي التركيز على بعض الأحداث والمجريات التي يصفها بالتفصيل ، بينما يتطرق إلى أحداث لا تقل عنها شأنا بشكل عرضي وحسب. ونلمس في هذه البنية لكتاب الدينوري " كتاب الأخبار الطوال " تأثيرَ تقاليد "الأخبار"، فهذا المؤلف يمثل واقعيا جماع أخبار تشبه بعضها بعضا .

أما اليعقوبي ، معاصر الدينوري ، فقد جمع بين النشاط العلمي والوظيفة الإدارية، وراكم خبرة إدارية غنية ، فضلا عما توفر له من فرص القيام برحلات بمقتضى الوظيفة. وله يعود أول كتاب من نوعه في التأريخ ، هو " كتاب البلدان". وفي كتابه الآخر " التاريخ " يقدم عرضا كاملا للتاريخ قبل الإسلام وبعده حتى حكم الخليفة المعتمد. وضم اليعقوبي إلى الأبواب التي صارت تقليدية وتتعلق بتاريخ الأنبياء والتاريخ الإيراني والعربي قبل الإسلام .. ضم لما من تاريخ الأشوريين والبابليين والهنود والإغريق والرومان والمصريين والبربر والأفارقة والأتراك والصينيين. وبذلك يكون مبدأ عالمية التاريخ قد تجسد عند اليعقوبي بدرجة أكبر مما عند أسلافه ومعاصريه. ونضيف أن اهتمامات اليعقوبي في مجالات الجغرافيا والفلك وعلم التنجيم قد تجلت في مؤلفه "التاريخ ".

أما مؤلفات البلاذري فتختلف بعض الشيء عن أعمال ابن قتيبة والدينوري واليعقوبي، ففي كتابه الأول " فتوح البلدان " يروي لنا كيف ضم العرب المسلمون مختلف الأقاليم إلى الخلافة. وفي هذا السياق يورد معلومات جغرافية الطابع. أما مؤلفه الثاني "أنساب الأشراف" فعبارة عن عمل في التاريخ الإسلامي من باب الإحاطة بالأنساب . ويجمع فيه بين سمات "الطبقات" و "الأخبار". وترد في "أنساب الأشراف" سير الخلفاء التي تعرض في سياقها الأحداث العائدة إلى زمن حكمهم. ونظرا لذلك يندرج هذا المؤلف في عداد الأعمال عن تاريخ الجماعة الإسلامية ، ولو أن البلاذري يخالف أحيانا التسلسل الزمني للعرض مفضلاً اعتبارات النسب.

يتزامن أوج تطور التأريخ العربي – الإسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع – النصف الأول من القرن العاشر، مع وضع "تاريخ الرسل والملوك" للطبري، الذي يستعرض فيه تاريخ العالم والتاريخ العربي – الإسلامي حتى العام 915 م . إن هذا المؤلف يفوق عدة مرات ، من حيث حجمه، أيا من أعمال معاصريه الأكبر سنا والتي مررنا على ذكرها أعلاه. وهذا المؤلف لا يُعرف

له مثيل من حيث تفاصيل العرض وغزارة مختلف الروايات التي يوردها عن الأحداث التاريخية نفسها. لقد استخدم الطبري على نطاق واسع أعمال سابقيه ، فضمَّنَ عمله هذا مقتطفات مستفيضة من مؤلفاتهم . ولـ " تاريخ الرسل والملوك " يعود الفضل، إلى حد كبير، في أن بإمكاننا متابعة مجرى تطور التأريخ العربي – الإسلامي الباكر. وخلافا لابن قتيبة والدينوري واليعقوبي والبلاذري، يسهب الطبري في إسناد هذه أو تلك من الأخبار التي يضمنها مؤلفه، الأمر الذي يدل على ارتباط عمله التاريخي بتقاليد جمع ودراسة الأحاديث، وصِلته بالمدرسة التاريخية التي نشأت على أساس هذه التقاليد. وميزة مؤلف مؤرخنا العربي – الإسلامي الكبير هذه مردها إلى كونه فقيها وضع تفسيرا للقرآن من عدة أجزاء ، بل وكان مؤسس مذهب طواه النسيان.

وأنجبت هذه المرحلة أول مؤرخين مسيحيين كتبا باللغة العربية، هما سعيد بن البطريق (يفتيخي الاسكندراني) ومحبوب بن قسطنطين (أغابي المنبجي).

وفي النصف الثاني من القرن التاسع ، وإلى جانب المؤلفات ذات الطابع العام في تاريخ العالم والتاريخ الإسلامي ، تظهر مؤلفات تاريخية دينية مثل " فتوح مصر والمغرب والأندلس" لعبد الرحمن بن عبد الحكم (3) ، و " تاريخ واسط" لبحشل، و "تاريخ بغداد" لابن طيفور.

ولا بد من الإشارة إلى أن المؤلفات في التاريخ العالمي والإسلامي في القرن التاسع والنصف الأول من القرن العاشر ، تنقسم إلى نوعين من حيث تركيبها ومبناها، الأول هو ما يسمى بالحوليات (المدونات السنوية للأحداث حسب تسلسلها الزمني) التي تقدم عرضا للتاريخ الإسلامي وفق التقويم الهجري .

أما النوع الثاني فله تعود المدونات التي تسجل الأحداث حسب السلالات ، وذلك وفق فترات حكم الخلفاء المسلمين . ولا بد من التشديد على أن أحداث

التاريخ ما قبل الإسلامي تعرض في كلا النوعين من المؤلفات التاريخية وفق مبادئ التأريخ السلالي ، ولو أن هذه الخاصية لا تتضح فورا عند دراسة تلك الآثار. وربما الاستثناء الوحيد في هذا المعنى هي أعمال الدينوري .

ومن بين الآثار المذكورة أعلاه التي تبحث في التاريخ العربي - الإسلامي العام ، نرى أن مؤلفات خليفة بن خياط والطبري تعود للحوليات (المدونات السنوية) بينما يعود سواها للتأريخ السلالي (ما عدا أعمال البلاذري التي لها وضع خاص)، وضمنا أعمال المؤرخين المسيحيين .

وهكذا نرى أن الشكل السلالي لبنية السرد كان من حيث الكم أكثر إنتاجية ، إذ كان ، على ما يبدو ، يوفر للمؤلف هامشا أوسع من الحرية في انتقاء المادة . ولقد استفاد المسعودي من مزية هذا الشكل في تسجيل الأحداث ، وتبعه في ذلك العديد من المؤلفين اللاحقين. ويعود ذلك إلى أن الشكل السلالي غدا بدءا من القرن الحادي عشر الشكل الرئيس للخلاصات الوافية ، التي هي عبارة عن مؤلفات شعبية وجيزة حول التاريخ العربي الإسلامي (4) .

تلكم هي إذن تقاليد الأدب العربي الإسلامي التي منها نشأ "مروج الذهب ...".

إن مبدأ البناء التركيبي للمؤلفات العربية ـ الإسلامية التاريخية كان متناسبا ووحدات المعنى في السرد التاريخي (الأخبار) . والخبر عبارة عن حديث مقتضب ، أومسهب ، عن حدث من الأحداث يحظي باهتمام المؤرخ. وغالبا ما نجد في نص المؤلف التاريخي أخبارا لا تأتي في سياق زمني أو منطقي، بل ربما أمكننا القول إنها تأتي في مصفوفة معينة ، إذ يتحدد نظام تسجيلها بالتداعيات فيما بينها. وينشأ نوع من الموزاييك يميز نصوص آثار تأريخ السلالات. وهنا كل خبر تتقدمه سلسلة من أسماء الذين نقلوا هذا الخبر

أحدهم عن الأخر (الإسناد) ، وتنتهي هذه السلسلة باسم من شهد الحدث الذي يشكل مادة الخبر .

كان الدينوري واليعقوبي ، ومن بعدهما المسعودي يختصرون جدا إسناد الأخبار التي يوردونها، أو يتخلون عنه بالكامل .

ومن المعروف أن مؤلف « مروج الذهب..» حرر ثلاث نسخ ، وذلك في عام 943 ، و 947 و 956. ولم يصلنا منها إلا الأخيرة . (5).

يتألف « مروج الذهب...» من بابين غير متعادلين ، الأول (حوالي 31،3 % من مجمل النص) يتضمن معلومات عن التصورات الجغرافية عند العرب المسلمين ، وعرضا لتاريخ العرب قبل الإسلام، وأخبارا عن الهنود والصينيين والتورك والسلاف والجرمان والغاليين والقبط وقدماء الإغريق والرومان والبيزنطيين والسريان واليمنيين والبابليين والأشوريين والعرب قبل الإسلام. وينتهي هذا الجزء من مروج الذهب بفصل عن تسلسل أحداث العالم . ونشير هنا إلى أن ثمة أعمالا لمؤلفين سبقوا المسعودي تتضمن هي الأخرى أجزاء من هذا القبيل عن تاريخ البشرية قبل الإسلام. أما المقاربة التجديدية ، وخاصية الموقف الإبداعي عند المسعودي فيما يتعلق بهذه النقطة ، فتتلخصان في أنه – أولا- ضاعف عدد الشعوب المنخرطة حتى زمنه في العملية التاريخية العالمية، وضمَن – ثانيا- المؤلفَ التاريخي أقساماً تتطرق بالتخصيص للمسائل الجغرافية . وحذا حذو المسعودي في ذلك المقدسي ، المؤرخ المعروف في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي ، وصاحب كتاب في تاريخ العالم ينتمي لطريقة تسجيل الأحداث السلالي هو «كتاب البدء والتاريخ » .

أما الباب الآخر من «مروج الذهب...» فيشكل 68،7 % من إجمالي هذا المؤلف، وهو مخصص حصرا للتاريخ العربي الإسلامي من عهد النبي محمد وحتى الخليفة العباسي المطيع، وينقسم إلى ثلاث أقسام . 1- تاريخ النبي والخلفاء الراشدين (16،63 بالمئة) من حجم الجزء الثاني . 2 - تاريخ الخلفاء

الأمويين (25،92 بالمئة) الذين يسميهم المسعودي انسجاما مع التقاليد العربية - الإسلامية التي تشكلت في ظل العباسيين، بالقياصرة ـ لا الخلفاء (في زمن العباسيين كان الخلفاء الراشدون والعباسيون يعتبرون خلفاء، أما الأمويون فكانوا يعتبرون ملوكا دنيويين) . 3 ـ تاريخ الخلفاء العباسيين (57،45 بالمئة من الجزء الثاني).

خصص المسعودي لكل حاكم عربي إسلامي تقريبا فصلا مستقلا، وهذا ما يتجلى فيه مبدأ السلالية الذي يقوم عليه بناء هذا المؤلف.

وعلى نحو مماثل بنى مؤلفه الآخر الذي وصلنا، وهو «كتاب التنبيه والإشراف» الذي يقل كثيرا من حيث الحجم عن «مروج الذهب...» . وهذا الكتاب أيضا له سماته الخاصة من حيث البنية والمضمون .

يتألف قسم تاريخ النبي والخلفاء الراشدين من ستة فصول، أكبرها (50 بالمئة من حجم القسم) مكرس لعلي بن أبي طالب الشخصية المحورية في المذهب الشيعي، والأكثر تراجيدية في التاريخ الإسلامي الباكر. والفصل الذي يليه من حيث الحجم (حوالي 17 %) يصف حكم أحد أبرز صحابة النبي محمد ومؤسس النظام الاجتماعي السياسي للخلافة عمر بن الخطاب. أما الفصل عن النبي محمد فيحتل المرتبة الثالثة في هذاالمجال (حوالي13%) . وبعده يأتي فصل عن حكم عثمان بن عفان (حوالي 10،5%). وأخيرا يختتم هذا القسم بفصلين هما الأقصر فيه، أحدهما عن الخليفة أبو بكر، والآخر عن الحسن بن علي بن أبي طالب (تنازل عن سلطة الخلافة عام 661) .

إن القسم الذي يعرض فيه المسعودي تاريخ حكم السلالة الأموية يتألف من أربعة عشر فصلا ، الأكبر منها فصلان (26،6% و 22،08%) أحدهما مكرس لحكم عبد الملك بن مروان (استطاع هذا الحاكم استعادة وحدة الخلافة بعد فتنة دامت سنين عديدة). أما الفصل الآخر فمكرس لمؤسس السلالة الأموية المالكة معاوية بن أبي سفيان . وبعد هذين الفصلين يلي

من حيث الحجم ، وبفارق كبير، (7،3 %) فصل عن معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وعن مؤسس البيت المراوني مروان بن الحكم. والفصل التالي (حوالي 6،5 %) يصف حكم كل من يزيد بن الوليد بن عبد الملك وابراهيم بن الوليد بن عبد الملك. يلي ذلك فصلان ، كل منهما حوالي 6،12 % من حجم مجمل القسم، يتحدث أحدهما عن حكم الخليفة التقي (المعروف بخامس الخلفاء الراشدين) عمر بن عبد العزيز. ويتحدث الفصل الآخر عن انهيار الدولة الأموية ووصول العباسيين إلى الحكم. وثمة فصل بحجم أقل من ذلك بكثير هو الذي يتحدث عن حكم يزيد بن عبد الملك بن مروان (حوالي 3،54 %) . ومثل هذا الفصل تقريبا فصلان أحدهما عن حكم سليمان بن عبد الملك ، والآخر عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك (تقريبا 3،15 % كل منهما). وأقصر من ذلك فصل عن حكم الوليد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك (حوالي 2،76 % كل منهما) من حجم القسم . وأخيرا نجد أقل الفصول حجما فصلين (1،18 % و 0،8 % على التوالي) أحدهما عن طول المدة التي حكم فيها بنو أمية، والآخر عن حكم آخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد.

يشغل تاريخ السلالة العباسية في «مروج الذهب..» مكان خاصا. ففي هذا القسم، أولا، يجري الكلام عن الأحداث الأقرب بالمعنى التاريخي ، بل والمعاصرة، للمسعودي . وثانيا، يعتبر هذا القسم أحد الأقسام الأساسية من المؤلف إذ أنه يشكل أكثر من ثلث حجمه الإجمالي .

أمامنا هنا تاريخ اثنين وعشرين خليفة عباسيا أولهم السفاح وأخرهم المطيع الذي شهد المسعودي بداية حكمه. وإلى ذلك ثمة في هذا القسم فصلان هامان على وجه الخصوص لا يرتبطان مباشرة بحكم الخلفاء، ويشكلان خاتمة الكتاب من ناحية المبنى، أحدهما مكرس لتسلسل أحداث التاريخ الإسلامي ويتابع الفصل الأخير من الجزء الأول للكتاب حيث يجري استعراض متسلسل لأحداث العالم . أما الثاني فمكرس للمسؤولين

عن الحج منذ البداية وحتى أيام المسعودي. والفصلان الأكبر حجما هما عن هارون الرشيد والمأمون، فيشكل كل منهما 8% من حجم القسم المخصص للتاريخ العباسي. ويليهما فصلان عن المعتضد (7،6 %) والمتوكل (7،5%) ، ثم فصل عن المعتمد (5،6 %) و السفاح والأمين (5 % لكل منهما) .

إن اهتمام المؤلف بالسفاح يعود إلى كونه أول خليفة عباسي. أما الأمين ، فكان أول خليفة عباسي يخلع عن العرش بعد ما انتهى حكمه إلى الفتنة . ويلي من حيث الحجم فصل عن المنصور (4 %)، وفصل عن المستعين (3،7 %) وآخر عن المقتدر (3،3 %). أما الفصول المكرسة للخلفاء الثلاثة عشر الآخرين فيشكل كل منها ما بين 3 إلى 1،6 بالمئة من النص، علما بأن مدة حكم كل من هؤلاء الخلفاء تتراوح من سنة إلى ثمان وعشرين سنة.

ومن بين الخلفاء الذين تتحدث عنهم هذه الفصول خلفاء مشاهير كالمهدي والمعتصم. كما أن الفصلين المتعلقين بالحج وتسجيل الأحداث حسب تسلسلها زمنيا صغيران من حيث الحجم (2،5% و 1،6 % على التوالي). وهكذا نرى أن المسعودي يولي خليفة ما قدرا كبيرا من الاهتمام بينما يولي خليفة آخر قدرا أقل. قد يبدو من البساطة بمكان تفسير ذلك برده إلى طول أو قصر فترة حكم الخليفة المعني، غير أن البحث الذي قمنا به يبين أن لا علاقة مباشرة بين طول فترة حكم الخلفاء وحجم الفصول المكرسة لهم في الكتاب . واتضح لنا أن المسعودي كان مهتما بالشخصيات اللامعة ورجالات الدولة الكبار الذين كرس لهم بالذات حيزا كبيرا في عمله . والحقيقة أن هؤلاء برزوا في مرحلة ازدهار العهدين الأموي والعباسي ، وحكموا لفترات طويلة عموما، إلا في بعض الحالات الاستثنائية .

يتصف نص «مروج الذهب..» ببنية مزدوجة، فهو ـ أولا ـ نص يتألف من مجموع الأخبار الواردة فيه . وهو ـ ثانيا ـ عبارة عن عناصر نصية تشكل حدودا بين الفصول وتنبئنا ببداياتها ونهاياتها.

51

إن الفصل المكرس لحكم هذا الخليفة العباسي أو ذاك يبدأ بعنوان «ذكر أيام الخليفة الفلاني ... ». وبعد ذلك ترد نبذة عن سيرة حياته تتضمن : واقعة بداية حكمه ، وتاريخ حكمه، واسمه الإسلامي كاملا، واسم أمه، وعمره عند توليه الحكم، ومكان بداية حكمه ، وواقعة وفاته، وعمره ، والمكان الذي وافته فيه المنية أومكان خلعه عن العرش ، ومدة حكمه ومكان دفنه ، ومكان ولادته ، وذكر وزرائه وقضاته.

ينبغي القول إن هذه الخلاصات تتضمن بالضرورة معلومات وافية ، ولذلك تختلف إحداها عن الأخرى من حيث الحجم . إن البنود المشار إليها تتميز عامة بصياغات لفظية متكررة ومتشابهة ، فبعد اللمحة عن السيرة الشخصية يرد عنوان فرعي «ذكر جمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه». وتلي ذلك أخبار عن الأحداث المرتبطة بحكم الخليفة المعني ، أو تلك التي أدرجت في الرواية لسبب أو آخر.

ينتهي كل فصل بعبارة تتنوع بعض الشيء كل مرة ، مفادها أن ثمة الكثير من الأخبار الأخرى الحسان عن هذا الخليفة (أو ذاك) أوردها المؤلف (المسعودي) في كتابيه السابقين لـ «مروج الذهب» ، وهما «أخبار الزمان» و « الكتاب الأوسط» اللذين لم يصلا إلينا.

لا يلتزم المسعودي في عدد من الحالات بهذا التقسيم الدقيق، ومن ذلك مثلا أن الفصل المكرس للنبي محمد يخلو من العناصر التي ذكرناها آنفا. وعلى هذا النحو يميز المسعودي في «مروج الذهب» مؤسس الدين الحنيف الذي يرى المسلمون أن شخصه خارج أية مقارنة. ويتعلق الأمر أيضا بالفصل المكرس للمطيع آخر خليفة عباسي يحظى باهتمام المسعودي. وهذا ما يعكس أزمة السلطة في الخلافة من جهة ، ومن جهة أخرى شحَ المعلومات التي أتيح للمؤلف الحصول عليها حول المطيع الخاضع للبويهيين ، ناهيك عن أن المسعودي كان آنذاك في مصر التي ضعفت علاقتها بمركز الخلافة إلى درجة كبيرة . (6)

وإلى جانب ذلك نجد في مروج الذهب فصولا يتحدث المؤلف في الواحد منها عن حاكمين، كالفصل عن معاوية بن يزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم، علما بأن المؤلف لا يقدم المعلومات عن السيرة الشخصية إلا للأول من هذين الحاكمين الأمويين. وفي فصل آخر مكرس لحاكمين أيضا هما يزيد بن الوليد ، وابراهيم بن الوليد، نجد أن المؤلف يقدم السيرة الشخصية لكل منهما.

نستنتج مما سبق أن التخلي عن النظام الصارم في تقسيم النص إلى فصول يعود إما لرغبة المؤلف بإبراز شخصية الرسول محمد الفريدة ، وإما للضرورة التي يقتضيها الحديث عن حكام تميزت عهودهم بالأزمات . وتجدر الإشارة إلى أن الجزء المكرس للتاريخ العربي الإسلامي في «مروج الذهب» يتضمن أخبارا من شتى الأجناس . (7)

تعد النوادر أحد أجناس الأخبار. إن متوسط حجم الخبر من هذا النوع كبير ما فيه الكفاية ، ففي القسم المكرس للنبي والخلفاء الراشدين يبلغ حوالي 17 سطرا، وفي القسم المخصص للأمويين 16 سطرا ، وفي قسم العباسيين 14 سطرا. والأخبار من هذا النوع غالبا ما تكون قصيرة، وتتحدث عن اللقاءات بين الخلفاء والمقربين منهم كالعلماء والشعراء والأدباء ، وتختتم في أكثر الأحيان بنصائح ذكية ظريفة يسديها الجليس إلى الحاكم .

والجنس الآخر هو أخبار بحت تاريخية عن شخصية النبي ، أو الخليفة الذي يدور حوله الحديث في الفصل المعني . وتتضمن هذه الأخبار معلومات عن النسب العائلي والقبلي ، وتتحدث باختصار عن العمليات الحربية ومختلف الأحداث السياسية الاجتماعية . وهذه الأخبار ليست كبيرة من حيث الحجم ، فلا يتجاوز حجم الخبر في المتوسط 7 أسطر في القسم الأول المكرس للنبي محمد والخلفاء الراشدين ، و6 أسطر في القسم المكرس للأمويين و 8 أسطر عند الحديث عن العباسيين. لقد بينت دراسة «مروج الذهب...» أن الأخبار

التاريخية تشكل هيكل القص في الكتاب . وهي تتضمن تسجيلا لتواريخ الأحداث موضع الوصف حسب تسلسلها الزمني .

أما في الأخبار النثرية الأدبية فنجد الأحداث التاريخية معروضة بمزيد من التفصيل والإسهاب مقارنة بالأخبار المشار إليها أعلاه ، وأعمال الشخصيات التاريخية مسجلة بالتفصيل، وذلك إلى جانب إيراد الحوارات. والحجم المتوسط لمثل هذه الأخبار أكبر بشكل ملموس ، فهو في القسم الأول حوالي 16 سطرا، وفي القسم الثاني 17 سطرا ، وفي الثالث 30 سطرا .

القصة هي الجنس الأكثر أهمية في الكتاب، ويبلغ حجم كل منها في المتوسط 27،5 سطرا في القسم المكرس للأمويين ، و37 سطرا في القسم المتعلق بالتاريخ العباسي . أما في القسم المكرس للنبي محمد والخلفاء الراشدين فلا يتضمن أي قصص. وغالبا ما تبنى هذه الأخبار على أساس مواضيع فولكلورية . وثمة في حكايات «ألف ليلة وليلة» ما يشابه بعض هذه الروايات، الأمر الذي يدل على الدور العظيم «لمروج الذهب..» في صيرورة النثر القصصي العربي .

إن «مروج الذهب ...» حافل بالاقتباسات الشعرية. والتجديد الحقيقي للمسعودي هو تضمين نصه العديد من المراثي (أخبار الوفيات بتعبير أدق)، علما بأن ذلك يخص أساسا وفيات أبرز الشخصيات الثقافية ، أي رجال الدين والشعراء والأدباء. وبالتالي فإن الكتاب موضع بحثنا هو- حسب وجهة نظر الاختصاصي الضليع بالأدب العربي في القرون الوسطى الراحل م.س. كيكتيف ـ أصل تراجم السيرة العربية (قواميس البيبلوفراعيا العربية). ويبلغ متوسط حجم خبر الوفاة (النعي) 4 أسطر في القسم الأول عن النبي والخلفاء الراشدين ، و5 أسطر في القسم الثاني عن بني أمية، و5،5 أسطر في القسم الثالث المكرس لحكم العباسيين .

وتبدو على قدر كبير من الأهمية تلك الحواشي التي يتضمنها النسيج

القصصي «لمروج الذهب» . والمسعودي يحيل القارئ إلى مؤلفاته السابقة، ويوضح سبب الانتقال من موضوع إلى آخر، ويلتمس الأعذار لما يقع فيه من هفوات . ويبلغ حجم هذا النوع من الأخبار 8 أسطر في القسم الأول، و5 في الثاني ، و7 في الثالث.

أما أخبار الأدب فترد على لسان المؤلف نفسه، وهي عبارة عن آراء حول مواضيع مختلفة تميز مرحلتها، أي عن الخيل والشطرنج والكيمياء وغير ذلك. ولا نصادف مثل هذه الأخبار إلا في القسم الذي يسرد تاريخ حكم العباسيين . ويبلغ متوسط حجم الواحد منها 4،5 أسطرا. ويصل المؤشر نفسه بالنسبة للأخبار التي تتشكل أساسا من الأقوال المأثورة ، يصل إلى 12 سطرا في القسم المخصص للنبي والخلفاء الراشدين ، و5 أسطر عند الحديث عن الأمويين وكذلك عن العباسيين .

من المعروف أن المواعظ لعبت دورا هاما في الحياة اليومية الثقافية العربية الإسلامية . ويبلغ متوسط حجم هذا النوع من الأخبار 14 سطر في القسم الأول من الكتاب، و 12 سطرا في القسم الثاني، و 13،5 في الثالث .

وأخيرا ثمة الأخبار - الرسائل التي تسم القسم الثالث دون سواه، وتشكل بالمتوسط 10،5 أسطر. وفي ما يلي نجمل المعطيات التي تبين حصة الأخبار وفق جنس كل منها في الأقسام الثلاثة (بالنسبة المئوية):

—	عن الرسول والخلفاء الراشدين	عن الأمويي	عن العباسيين
المحادثة (الحديث)	12،25	38،14	23،70

الأخبار البحت تاريخية	17،11	12،19	23،00
الأخبار النثرية	48،28	21،85	21،20
القصص	—	11،58	12،30
الاقتباسات الشعرية	1،97	3،55	5،50
أخبار الوفيات	1،12	1،63	4،50
حواشي المؤلف	8،15	3،41	3،30
أخبار العلم والأدب	—	—	3،10
الأمثال	6،82	2،55	0،70
المواعظ	4،31	5،09	0،60
الرسائل	—	—	0،80

تبين هذه الأرقام اعتبارات ملفتة في ما يتعلق بتوزع الأخبار من شتى الأجناس في ذلك الجزء من الكتاب الذي يعرض التاريخ العربي الإسلامي .

لقد اتضح بالدرجة الأولى أن أخبار العلم والأدب ، والرسائل، لا وجود لها إلا في القسم الثالث المخصص للعباسيين ، حيث أن حصة أخبار هذين الجنسين 3،1 و 0،8 على التوالي .

أما القصص فلا توجد إلا في القسمين الثاني والثالث المكرسين للأمويين والعباسيين ، وحصتها في كلا القسمين متساوية عمليا، أي 11،58 و 12،30 على التوالي .

إن نصف حجم القسم المكرس للنبي والخلفاء الراشدين يتألف من الأخبار التاريخية النثرية (48،28 %) . أما في القسمين الثاني والثالث فإن حجم أخبار هذا الجنس كبير ما فيه الكفاية إذ يبلغ 21،85% و 21،20% على التوالي ، أي أكثر من خمس حجم النص. إن هذا الواقع، وكذلك الحصة العالية نسبيا للأمثال في القسم الأول (6،82 مقابل 2،55 و 0،70 في القسمين الآخرين) ، يدلان أكثر ما يدلان على أن نص القسم المخصص للنبي والخلفاء الراشدين يعتمد بالدرجة الأولى على التقاليد التاريخية التي تكونت في الحقبة التي سبقت تأليف «مروج الذهب ..».

يبدو أن المسعودي أعار في القسم المخصص لحكم بني أمية جل اهتمامه لبعض الشخصيات التاريخية التي تتمحور حولها الأحاديث، فأخبار هذا الجنس تصل هنا إلى 38،14 %. وهذا المؤشر عالٍ أيضا في القسم المخصص للعباسيين ، إذ يبلغ 23،7% . كما أن نصيب هذا الجنس من الأخبار في القسم الخصص للنبي والخلفاء الراشدين يبلغ 12،25 %، ولكنه هنا أقل بقدر واضح عن مؤشره في القسمين الآخرين.

إن مستوى الأخبار البحت تاريخية التي تشكل، كما سبق وأشرنا، أساس القص في الكتاب ، يصل ذروته في القسم الثالث الخاص بالعباسيين (23%) ، ولو أن هذا المستوى عال أيضا في كل من القسمين السابقين (17،11% و 12،19% على التوالي) . وهذا التناسب بين الأقسام نراه أيضا في أجناس الاقتباسات الشعرية والنعي (5،50 مقابل 1،97 و 3،55%، وكذلك 4،50 مقابل 1،12 و 1،63 % على التوالي) .

أما مؤشر حواشي (ملاحظات) المؤلف فهي مفاجئة بعض الشيء ، إذ أن حصتها أكبر بكثير في القسم المخصص للنبي والخلفاء الراشدين (8،15 % مقابل 3،41 و 3،30 في القسمين المكرسين للأمويين والعباسيين) .

وهكذا نجد أن القسم الثالث هو نتاج عمل المؤلف إلى حد كبير ، والبرهان

على ذلك هو النسبة الأعلى من الأخبار التاريخية والاقتباسات الشعرية والنعي . وهذا كله ، مقروناً بالمؤشرات العالية للمجالس والأخبار النثرية (الأدبية) والقصص ، يضفي على هذا القسم المكرس للحكم العباسي صبغة خاصة لا مثيل لها .

وإذا ما قارنا « مروج الذهب ..» بغيره من مؤلفات التاريخ العربية الإسلامية السلالية ، لاتضح لنا أن الأخيرة تفتقر للقصص والرثاء والنعي ، وأخبار الأدباء والاقتباسات الشعرية. إن الأساس الذي تقوم عليه هذه المؤلفات التاريخية هو الأخبار البحت تاريخية الجافة والقصص التاريخية النثرية . ولكن الحقيقة تقتضي منا الإشارة إلى وجود أحاديث المجالس (المحادثة) ولو أن وزنها أقل بكثير مما لدى المسعودي . والأمر نفسه ينطبق على ملاحظات المؤلف .

وهكذا فإن الطابع الخاص النثري الشهير لهذا الكتاب يعود إلى تنوع أجناس الأخبار التي يتضمنها . ومع ذلك نشير إلى أن وفرة الأحاديث والاقتباسات الشعرية أمر يميز المؤلفات في مجال الأدب العربي الإسلامي .

وهذا ما جعل المتخصص الغربي الضليع بتراث المسعودي ش . بيللا يدرج «مروج الذهب...» في عداد المؤلفات الأدبية ، لا التاريخية (8) . ولكننا نعتقد أن «مروج الذهب» سجلّ للأحداث التاريخية حسب تسلسلها الزمني، وهذا ما تدل عليه تركيبة الكتاب وغزارة المادة التاريخية الخالصة في نصه. بيد أن هذا النوع من التسجيل التاريخي له خاصية معينة إذ أنه منثور، ويصف سير التاريخ في شكل تسلسل الأحاديث والروايات والأشعار التي ألفها أناس من عصر معين .

وهكذا نكون قد بينا إلى أي حد يزخر "مروج الذهب.." بمواد تتضمن معلومات عن تاريخ ثقافة العالم العربي الإسلامي ، سنبحثها في الفصول التالية من كتابنا هذا.

هوامش الفصل الأول

1 ـ نعتمد في عرضنا لتاريخ تطور علم التأريخ عند العرب - المسلمين على الأعمال التالية / باللغة الروسية/ : غريازنفيتش ب. أ. علم التاريخ ، ص. 144 - 145 ، وله أيضا : تطور الوعي التاريخي عند العرب ..، خالدوف أ. ب. ثقافة الكتب ، ص. 240 - 241 ؛ بروزوروف س. م. الأدبيات التاريخية العربية ..؛ جيب ه. أ.ر. الأدب العربي .. ص. 117 - 132 ؛

وكذلك على: Duri A.A. The Rise of Historical Writing …; Khalidi … T. Arabic Historical Thought

2 ـ Duri A. A. The Rise of Historical Writing …, p. 23 ـ24

3 - ترجم إلى اللغة الروسية ونشر عام 1958.

4 - انظر: "تاريخ الخلفاء" لمؤلف مجهول من القرن الحادي عشر. ص. 15 (مقدمة بقلم ب. أ. غريازنفيتش) /بالروسية/.

5 - انظر : Pellat Ch. Al‗ Mas'udi, P.785

6 - تناولنا موضوع هندسة بناء الفصول في المؤلفات العربية الإسلامية عن سير السلالات في مقالة لنا عام 1981 بعنوان "نثر المسعودي وتقاليد التأريخ العربي" ، وفي مقالة أخرى عام 1983 بعنوان "عن نشوء أدب السيرة السلالية".

7 - تناولنا طريقة تصنيف الأخبار من شتى الأجناس في مقالة لنا بعنوان "طريقتان في سيرة الحجاج بن يوسف".

8 - انظر : Pellat Ch. Al‗ Masu'di, p. 788





الفصل الثانى

المسائل الثقافية والاجتماعية في المجتمع العربي الإسلامي

العلاقات القبلية ، وعلاقات النسب العائلية ، والعلاقات الدينية :

يعير كتاب "مروج الذهب.." أهمية كبيرة للعلاقات القبلية، والدينية، وعلاقات القربى العائلية (1) التي تعتبر من المكونات الأساسية للحياة الاجتماعية في العالم العربي الإسلامي.

بدءا من الجزء الأول المكرس لوصف تكوين الأرض والنظر في تاريخ وثقافة شعوب ما قبل الإسلام، يتضمن «مروج الذهب» نبذة وافية عن الثقافة والتاريخ الأسطوري للعرب قبل الإسلام، ويدور الحديث فيه عن القبائل العربية وأنسابها (م ، 2، ص 39 ـ 193) . *

من بين المواد التي تتناول العلاقات القبلية في الجزء الثاني من الكتاب، حيث يتطرق المؤلف إلى التاريخ العربي الإسلامي خاصة، لا بد من أن نبرز بالدرجة الأولى الأساس الإيديولوجي للعلاقات القبلية، أي صلة النسب.

* سنعتمد هذا الشكل من الاختصار عند الإحالة إلى كتاب المسعودي (" مروج الذهب ومعادن الجوهر"، دار الفكر، بيروت ، عام 1973). والاختصار هنا يعني : (مروج الذهب ...، الجزء الثاني، صفحة 39– 193).

إن علاقة النسب عنصرٌ هام في وصف حياة النبي محمد عند المسعودي، حيث يبرز على نحو خاص نسب أمه.

تعتبر ما عرفت بحرب الفجار (2) في التأريخ العربي الإسلامي حدثا من الأحداث الهامة في المرحلة الباكرة من حياة النبي . وهذه الحرب وقعت حوالي العام 590 بين القريشيين وقبيلة بني كنانة الحليفة لهم التي تعيش قرب مكة من جهة ، وقبيلة قيس عيلان (3) من جهة أخرى . وسميت هذه الحرب كذلك لأنها وقعت في الأشهر الحرم . وارتباطا بهذا الحدث ، وفي سياق الكلام عنه يورد المسعودي نسب بني كنانة ، ويدرج في كتابه نسب كل من الخلفاء الراشدين أبي بكر ، وعثمان، وعلي .

وفي معرض حديثه عن عهد علي بن أبي طالب الذي تميز بالصراع بينه وبين خصومه ، يورد المسعودي نسب أحد أبرز الصحابة ، أي طلحة بن عبيد الله الذي قتل في موقعة الجمل عام 656 التي شارك فيها ضد علي (4) . وبالإضافة إلى ذلك يورد نسب (ثمة اختلافات بشأنه) عمار بن ياسر الصحابي البارز الذي قتل في موقعة صفين (657) التي دارت رحاها بين أنصار كل من علي ومعاوية بن أبي سفيان(5). ومما يدل على أهمية الأنساب في حياة المجتمع العربي - الإسلامي في عهد بني أمية وصفُ المسعودي للقاء اثنين من كبار الشعراء في ذاك العصر هما الكميت بن زيد الأسدي (6) والفرزدق (7)، حيث أكد الكميت صلة القربى بينهما، وانتسابه لبني هاشم، فلقي من الفرذدق ما يليق به من حسن الاستقبال . (م ، 3 ، ص 242 ـ 243)

يلعب تقديس جد القبيلة (أو العائلة) الأول دورا كبيرا في الحياة الروحية للجماعة القائمة على الرابطة القبلية أو القرابة العائلية (8) . وهذا هو السبب الذي جعل المسعودي يعدد ، عند إيراد نسب النبي محمد ،

بطون قبائل قريش المعروفة بأسماء أجدادها (م ، 2، ص 275 ـ 276).

نصادف في بعض المقاطع من "مروج الذهب ..." شهاداتٍ غير مباشرة على تبجيل النبي محمد وعلي بن أبي طالب جدي وشفيعي أحفادهما (الأسياد، والأشراف والعلويين) (9).

ويحدثنا المسعودي بأن اسحاق بن ابراهيم حاكم بغداد في عهد المعتصم رأى في منامه أن النبي محمدا يأمره بإطلاق أحد القتلة من الحبس، " فارتاع روعا عظيما ". وإذ دقق في الأمر اتضح لاسحاق بن ابراهيم أن في السجن فعلا لصا قاتل شركاءه دفاعا عن شرف فتاة تنتمي لبيت رسول الله، "فقتلَ أشدَهم وأكلبهم على هتكها" (م ،4، ص 96ـ95).

وكما يقول القائد العسكري التركي المعروف بُغا الكبير الذي لعب دورا بارزا في عهد الخليفة المعتصم ومن خلفه، فإنه رأى في المنام الرسول وعلي بن أبي طالب وجماعة من أصحابه، وأن الرسول وعده بطول العمر لأنه أنقذ واحدا من أمته كان المعتصم قد أمر بإلقائه إلى السباع (م ، 4 ، ص 161ـ 162).

ويروى عن المعتضد أنه كان في سجن أبيه عندما ظهر له عليّ بن ابي طالب في المنام، مخاطبا إياه كخليفة مقبل، وطالبا منه ألا يتعرض أو يؤذي ذريته (الطالبيين) عندما سيكون على رأس الجماعة الإسلامية (م، 4، ص 270 – 271).

إن تقديس الجد الأول للجماعة (الوحدة) القبيلة أو العائلية، يرتبط ارتباطا وثيقا بالدور الاجتماعي الفعلي للشيوخ في مثل هذه المتحدات الاجتماعية. ونجد في «مروج الذهب..» ذكرا عن حسان بن مالك – وكان رئيس قحطان وسيدها في الشام ـ وذلك في عهد الخليفة الأموي

مروان بن الحكم (م، 3، ص 95)، وكذلك ذكر أحد شيوخ الأمويين. ويشار إلى أن القائد العسكري ، والشاعر البارز ، و الأمير في منطقة الجبل أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي كان رئيس عشيرته عجل، وغيرها من ربيعة .

كان بنو هاشم ، أو الهاشميون) أهل بيت النبي)، جزءا من قبيلة قريش، وانقسموا إلى مجموعتين عائليتين هما العباسيون والعلويون. وفي عهد العباسيين تحول وضع كبير العلويين إلى منصب من مناصب الدولة، ويسمى بالنقيب. وكان الخليفة هو الذي يعين النقيب (10). يذكر المسعودي الشاعر العلوي علي بن محمد بن جعفر العلوي الحماني الذي كان «نقيب العلويين في الكوفة ومفتيهم وشاعرهم ومدرسهم ولسانهم ، ولم يكن أحد بالكوفة من آل علي بن أبي طالب يتقدّمه في ذلك الوقت ". (م ،4، ص 150 ـ 151).

يثبت المسعودي أيضا انقسام بني أمية الذين كانوا عشيرة واحدة إلى مجموعتين عائليتين (السفيانيون والمروانيون)، وذلك عندما يخبرنا عن انتقال الخلافة من يد السفيانيين إلى حكم المروانيين.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن "مروج الذهب ..." غالبا ما يخبرنا عن مشاركة ممثلي المجموعات القبلية والعائلية الشهيرة في مختلف المناسبات التي يشهدها بلاط الخليفة . ومن هذه المجموعات القرشيون، الأمويون ، والهاشميون.

كانت بعض القبائل تقف عادة إلى جانب هذه المجموعات القبلية ـ العائلية الشهيرة أو تلك، التي تتولى السلطة في الخلافة. وعلى سبيل المثال كان بنو أود (أحد افخاذ طي 11) مناصرين تقليديين للمروانيين، وخصوما تقليديين لعلي بن أبي طالب وذريته (م، 3، ص 268).

ولم يكن من النادر أن تتشكل القوة المحركة للتاريخ العربي الإسلامي من القبائل والتجمعات القبلية التي كانت تدفع بقواتها للمشاركة في المعارك الحاسمة . ونجد في «مروج الذهب ..» أخبارا عن مثل هذه القوات. يتحدث المسعودي عن الحملة العسكرية على العراق (في عهد عمر بن الخطاب) التي قام بها مقاتلو بجيلة وعلى رأسهم شيخ القبيلة جرير بن عبدالله البجلي 12 (م، 2، ص 318ـ 319) . وأثناء موقعة الجمل يقوم بدوٌ من قبيلة بني تميم العدنانية (الشمالية) بمطادرة الزبير بن العوام أحد أهم اثنين من خصوم علي بن أبي طالب، ويتمكن أحد هؤلاء البدو من قتله. وبعد انتهاء المعركة يعبِّر علي بن أبي طالب عن حزنه على المحاربين القتلى من ربيعة الذين حاربوا إلى جانبه (م، 2، ص 378). كما أن أحد خصوم الخليفة وهو ابو لبيد الجهضمي الأزدي 13 يغتم على أبناء قبيلته الذين قتلوا في المعركة (م، 2، ص 380).

وفي سياق وصفه موقعة صفين يخبرنا المسعودي أن قوات من قبيلتي تنوخ وبهراء الجنوبيتين ، ومن قبيلة غسان الجنوبية التي قاتلها علي بن أبي طالب قتالا شديدا (م ، 2 ، ص 398)، قاتلت إلى جانب معاوية، الذي "لما رأى القتل في أهل الشام وكَلَبَ أهل العراق عليهم استدعى بالنعمان بن جبلة التنوخي ـ وكان صاحب راية قومه في تنوخ وبهراء " (م،2 ، ص 394) .

في معرض وصفه الأحداث في مرحلة حكم الأمويين يكرر المؤلف ثلاث مرات ذكر مقاتلي بني ربيعة ، ففي العام 683 م. حاربت هذه القبائل ضد قوات الخليفة في وقعة "الحرَة" (م ، 3، ص 80) (14). وأثناء القتال عند مسكن (قرية من أرض العراق عى شاطئ دجلة) عام 691 م ضد قوات الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان انسحب من جمع ربيعة مصعب أخو عبد الله بن الزبير الطامح إلى الخلافة، وانتقل إلى جانب

الأمويين (م ، 3، ص 113ـ 114) . وفي عهد عمر بن عبد العزيز شاركت هذه القوات في تمرد شوذب الخارجي الذي قوي أمره فيمن معه من ربيعة وغيرها (م ، 3، ص 200).

وفي الباب المخصص لحكم بني العباس لا يدور الحديث إلا عن العمليات المناهضة للدولة التي كانت تقوم بها قوات البدو. وفي عهد المنتصر يشارك بنو ربيعة في تمرد أبي العمود الشاري "الذي اشتد أمره فيمن انضاف إليه من المحكمة من ربيعة وغيرهم من الأكراد" (م ، 4، ص 137) . وفي العام 893/894 سحق الخليفة المعتضد الأعراب من بني شيبان (15) " الذين عتوا وأكثروا الفساد " في جنوب العراق (م ،4، ص 244) .

غالبا ما يصف المسعودي هذا الشخص أو ذاك بناء على انتمائه إلى هذه القبيلة أو تلك ، وهذا ما ينطبق سواء بسواء على الشخصيات التاريخية البارزة ، وعلى الناس العاديين غير المعروفين .

وهناك حادثتان من هذا النوع سجلتا في الأخبار عن زمن علي بن أبي طالب (م ،2، ص 378ـ 392)، وخمسة حوادث في فصول القسم الذي يتحدث عن السلالة الأموية (م ، 3، ص 70،95ـ 96، 113ـ 114، 162ـ 164)، وهناك حادثة واحدة في معرض الكلام عن العباسيين (م، 4، ص 23).

إن انقسام المجتمع بناء على الرابطة القبلية، أو القرابة العائلية ، يعني التنافس بين هذه التكوينات . وبالإضافة إلى هذه النزاعات كان ثمة مواجهات على أساس إقليمي، الأمر الذي غالبا ما يحدثنا عنه المسعودي في كتابه. وكان التنافس بين عرب الشمال وعرب الجنوب (16) من أهم المواجهات بالنسبة للعالم العربي الإسلامي ، و«كانت العصبية من دواعي زوال ملك بني أمية». يكرس المسعودي حيزا خاصا

في «مروج الذهب ..» لتطورات هذا النزاع الذي وقع أواخر الحكم الأموي، فيرى أن سببه يكمن في أن الكميت بن زيد الأسدي الذي دافع عن مصالح عرب الشمال ألف قصيدة مدح فيها قومه من بني مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار وإياد وأنمار ابني نزار، وأطنب في وصفهم، وأنهم أفضل من بني قحطان ، الأمر الذي اعتبر إثارة للعصبية القبلية (م ،3، ص 243ـ 246، 244ـ 245). وبعد سنوات عديدة من ذلك، وفي حقبة أخرى تماما، رد الشاعر المعروف في العصر العباسي دِعبِل الخُزاعي (17) على قصيدة الكميت بقصيدة امتدح فيها شأن عرب الجنوب، ذاكرا مناقب اليمن وفضائلها (م، 3 ، ص 245). يرى المسعودي أن هذين الحدثين الأدبيين اللذين يعودان إلى زمنين مختلفين تاريخيا وثقافيا، متكافئان ومتعادلان ، الأمر الذي يشير إلى استمرار المواجهة بين عرب الشمال وعرب الجنوب (على الأقل يشير إلى بقاء هذه الظاهرة الثقافية) حتى في عصر المسعودي، أي بعد ما يقرب من مئة عام على دعبل.

وتجدر الإشارة إلى ما يسمى بالتنافس المحلي بين مجموعتين قبليتين في البصرة هما البلالية والسعدية الذي بدأ عام 866/ 867 وما نتج عن ذلك من ظهور صاحب الزنج (م ،4، ص 181). وكما يقول بيلا فإن أصل المجموعة الأولى غير معروف بينما كانت الثانية فخذا من بني سعد بن زيد مناة بن تميم .

إن التنافس المحلي ،كما يعرضه المسعودي ، يبدو بدرجة ملموسة كظاهرة ثقافية، وليس مجرد عامل من عوامل الحياة الاجتماعية – السياسية . وهكذا على سبيل المثال تصدى الحجاج بن يوسف الثقفي الشهير للقائد العسكري ابن الأشعث الذي تمرد في خراسان «وانقاد لطاعته أهل البصرة» . وبعد وقائع كثيرة بينهما «كانت على ابن الاشعث فمضى حتى انتهي إلى ملوك الهند، ولم يزل الحجاج يتحايل في قتله حتى قتل، وأتي برأسه» عام 704م ، فألقى الحجاج خطبته الشهيرة

التي حمل فيها على أهل العراق ، وامتدح أهل الشام . (م ، 3، ص 139ـ 140).

وفي شهادات المسعودي الأخرى حول هذه المشكلة يبرز العامل الثقافي المحض على نحو أكثر وضوحا. فجامع الأخبار والأشعار عيسى بن دأب يروي للخليفة الهادي قصة الأحنف بن قيس (18) الذي يفاخر بالبصرة على أهل الكوفة فيقول «أما البصرة فإن أسفلها قصب وأوسطها خشب، وأعلاها رطب، نحن أكثر ساجا وعاجا وديباجا، ونحن أكثر قندا ونقدا. والله ما آتي البصرة إلا طائعا، ولا أخرج منها إلا كارها». (م، 3، ص 340ـ 341) .

وفي رواية «أن من ملاحات أحاديث الملهين المُجّان ما ذكره ابو الفضل بن أبي طاهر عن سفيه كان يجمع بين الرجال والنساء عى أفحش الريب وكان من أشراف قريش ، ولم يذكر اسمه». وما قيل عن شهادة الحمير على خلاعته . وكان أن رفض والي مكة معاقبته لكي لا يسخر بهم أهل العراق ، وأمر بتخلية سبيله وترك التعرض له. ويقول المسعودي أن للخليفة المنتصر بالله أخبارا حسانا وأشعارا ومُلحا ومنادمات ومكاتبات ومراسلات قبل الخلافة. (م،4، ص 142 – 143).

أما أحمد بن محمد العروضي المقرب من الخليفة الراضي فيروي له قصة عن رجل من بني هاشم حل ضيفا على ابن عمه في المدينة الذي تواطأ مع قينتين له للحيلولة دون ضيفه وبيت الخلاء وهو في أشد الحاجة إليه. (م، 4، 332 – 334).

وأخيرا ، فإن الخليفة المستكفي نفسه، ولكي يوضح لمقربيه سبب تفضيله غلاماً تركياً على غيره، يورد قصة يشرح فيها « لماذا اجتبى الحجاج بن يوسف الثقفي للشاميين قوما من أهل العراق وجد عندهم من الكفاية ما لم يجده عند مختصيه من الشاميين» (م،4، ص 357 – 358).

إن أقصى أشكال التنافس سواء بين القبائل، أو بين المجموعات العائلية، هو عادة الأخذ بالثأر التي كانت منتشرة على نطاق واسع عند العرب قبل الإسلام، ولم تندثر في العصر العربي الإسلامي . ومن التجليات الأكثر سطوعا لهذه العادة في الحياة السياسية الاجتماعية مطالبة معاوية وغيره من بني أمية بالثأر لدم قريبهم عثمان بن عفان ، إذ حمّلوا عليا بن أبي طالب وأقرباءه مسؤولية قتله . (م ،2، ص 366 – 381).

كما أن العباسيين، وفي الصراع من أجل السيادة السياسية في الخلافة ، صوروا أعمالهم كأخذ بالثأر لمقتل أقربائهم. وهذا ما يصرح به الخليفة العباسي الأول السفاح عندما وُضع بين يديه رأس الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد. « سجد فأطال السجود ثم رفع رأسه فقال: الحمد للّه الذي لم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك ، والحمد للّه الذي أظفرني بك، وأظهرني عليك». (م ،3، ص 271ـ 272).

وإبان حربهم للإطاحة بالأمويين قام العباسيون بعمليات خاصة تهدف إلى القضاء على أبناء العشيرة المعادية . والأكثر دلالة من بين هذه الأعمال هو ما قام به عام 750م عبد اللّه بن علي، أحد أعمام الخليفتين العباسيين الأول والثاني السفاح والمنصور . « وقتل عبد اللّه بن علي بدمشق خلقا كثيرا ... ونزل على نهر أبي فطرس (من بلاد فلسطين والاردن) فقتل من بني أمية هناك بضعا وثمانين رجلا» . (م،3، ص 261). وكما جاء في شهادة عيسى بن دأب ظلت قضية الثأر من بني أمية تقلق بال الخليفة العباسي الهادي ، علماً بأنه حكم في فترة توطد ورسوخ سلطة العباسيين، عندما لم يعد الأمويون يشكلون أي خطر عليهم (م، 3، ص 338 – 339). وبتعبير آخر يمكن النظر إلى واقع الصراع السياسي بين العشائر (البطون والأفخاذ) ، في هذه الحالة أيضا، كظاهرة ثقافية من نوع ما .

وفي الوقت نفسه يورد المسعودي وقائع من خاصية أخرى، وهي موقف الخلفاء العباسيين الرحيم من بعض الأمويين والموالي الذين ظلوا على إخلاصهم لهم. فهارون الرشيد يكافئ مسنا أمويا على قصيدة قالها في مدح العباسيين سائلا الرشيد وصل الأرحام لأن «عبد شمس عم عبد المطلب » (م، 3، ص 374- 375)، بينما المنصور يتحدث عن شاعر ضرير صحبه إلى الشام، وكان يريد مروان بن محمد بشعر قاله فيه. وكان أن التقاه المنصور مرة أخرى أثناء الحج والمنصور خليفة. فذكره برفقته إلى الشام في أيام بني أمية. فأنشأ الضرير يمدح بني أمية. ولما علم أنه في حضرة أمير المؤمنين طلب العذر منه متمثلا بقول رسول الله إن «النفوس جبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها»، فعفا عنه وأطلقه. (م، 3، ص 296-295).

ويزودنا المسعودي بمعلومات أخرى عن الخلافات العشائرية ، منها مثلا أن الطامح إلى الخلافة عبدالله بن الزبير كان يقف موقفا عدائيا من الهاشميين المقيمين في مكة ، وكان ينوي القضاء عليهم (م، 3، ص 87-86).

إن الوقائع الواردة هنا تتعلق بالصراع بين مجموعات قبلية عائلية تنتمي إلى قبيلة واحدة هي قريش. وهذه الوقائع استمرارٌ لتقاليد نزاعات من هذا النوع تعود بجذورها إلى الماضي قبل الإسلام (19) .

وفي الفصل المخصص للخليفة هارون الرشيد يفرد المسعودي حيزا كبيرا للحديث عن الظروف التي رافقت تنكيل العباسيين بسلالة الوزراء البرامكة (20) الشهيرة ، هذا التنكيل الذي اتصف بطابع الاضطهاد لعشيرة بكاملها (م ، 3، ص 377 - 395).

ويقدم المسعودي روايتين بموضوع واحد، وهو أن امرأة من العشيرة المغلوبة تجد ملجأ عند امرأة من العشيرة الغالبة. وهي في الرواية الأولى

(م ، 3، ص 323 ـ325) مزنة أرملة الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد، وفي الثانية (م ، 3، ص 392) عبادة أم جعفر بن يحيى البرمكي الذي قتله الرشيد . وربما كان هذا الموضوع يوحي بأن عادة الأخذ بالثأر لم تكن تشمل النساء من المجموعة القبلية العائلية المعادية سواء قبل الإسلام، أم في العهود التي تلته .

إن كلا من التنافسين ، القبلي والمحلي ، يقتضي تبادل العون والنجدة داخل الجماعات القبلية والعائلية . وتدل جملة من الوقائع التي يوردها المسعودي على انتشار هذه الظاهرة . فعندما نوى الحجاج بن يوسف على قتل الشاعر المعروف جرير بن الخطفي (21) هب قومه من مضر لنجدته فقالوا «أصلح الله الأمير! لسان مضر وشاعرها، هبه لنا، فوهبه لهم » . (م، 3، ص 160). وفي بعض الأحيان كان التضامن القبلي (داخل القبيلة) يقتصر على نقل أو تبادل المعلومات الخطيرة. ومن الأمثلة على ذلك أن الشاعر عبدالله بن الزبير الأسدي الذي خرج من الكوفة مذعورا من غضب الحجاج » حتى إذا كان عند اللجامين لقيه رجل من قومه يقال له ابراهيم ، فقال له : ما الخبر؟ فقال ابن الزبير : الشر، قتل عمير من بعث المهلب» (م، 3، ص 137) .

لقد بينت الباحثة الروسية ل. ف. نيغريا (بوسوفاليوك) أن مجتمع الجزيرة العربية قبل الإسلام عرف ظاهرة الأباعدية (Exogamy الزواج من خارج القبيلة)، أي أن جماعة ما، وعلى مدى أجيال عديدة، كانت تزوج بناتها لرجال من جماعة أخرى لا تمت لها بصلة رحم . وفي هذه الحالة تنشأ بين الجماعتين ،أو القبيلتين، علاقة قربى هي الخؤولة والعمومة بين الطرفين. ومثل هذه العلاقات كانت تنشأ أيضا عند عقد زيجات نادرة بين مجموعات تربطها أواصر القربى العائلية (22). ويبدو أننا نصادف مثل هذه الظاهرة في أخبار المسعودي عن أن الأخوال من كندة (القبيلة القحطانية الشهيرة) حموا بعد موقعة الحرة

جد الخلفاء العباسيين علي بن عبدالله بن العباس من غضب القائد العسكري الأموي مسلم بن عقبة (م، 3، ص 80) .

غير أن تضامن أعضاء مجموعة واحدة تربطها قرابة الدم لم يكن يلغي النزاعات داخلها. ويرسم لنا المسعودي صداما ذا طابع سياسي داخل مجموعات وجدت نفسها في موقع السلطة في الخلافة . وأكبر حدث من هذا النوع في العصر الأموي هو إقدام الخليفة عبد الملك بن مروان عام 689 م على قتل الأمير المعروف من بني أمية عمرو بن سعيد الأشدق (م، 3، ص 109 – 112) . أما في العصر العباسي فقد تجلى التنافس داخل المجموعة العائلية الحاكمة بأسطع مظاهره في الشقاق بين المأمون والأمين عام 813 م ، ما وصفه المسعودي أحسن وصف (م، 3، ص 405 – 423) . ويذكرنا المؤلف بنزاعات أخرى داخل البيت العباسي . ففي العام 824/825 أمر المأمون بقتل ابن عائشة ، وهو رجل من ولد العباس بن عبد المطلب ، واسمه ابراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الإمام أخي أبي العباس والمنصور. وهو أول عباسي صُلب في الإسلام. وتمثل المأمون حين قتله بقول الشاعر :

إذا النار في أحجارها مستكنّة　　　متى يُهجها قادحٌ تتضرمِ

(م، 4، ص 35).

وثمة حادثة أخرى، هي النقمة على الأمير ابراهيم بن جعفر المتوكل المؤيد (23) الذي كان ولي عهد الخليفة المعتز . "نمي إلى المعتز أن المؤيد يدبر عليه، وأنه استمال جماعة من الموالي، فحبس المؤيد وأبا أحمد – وهما لأب وأم – وطولب المؤيد أن يخلع عنه ولاية العهد، فضرب اربعين عصا إلى أن أجاب" ... وبعد ذلك "أخرج ميتا ... ولا أثر فيه. فيقال: إنه أدرج في لحاف مسموم وشد طرفاه حتى مات فيه"، وكان ذلك عام 866/867 (م، 4، ص 176).

إن بعض مواد هذه الكتاب تتناول علاقات الزواج والأسرة. وبعضها يدل على وجود ظاهرة الأباعدية حتى في العصر الأموي. بيد أن من المعروف أن هذه العادة أخذت بالاندثار منذ ما ما قبل الإسلام (24)، وربما حافظت على وجودها في المراحل المبكرة من العصر العربي الإسلامي كبقية من رواسب كانت وراءها دوافع سياسية غالبا. وعلى سبيل المثال اراد الحجاج بن يوسف تعزيز موقع صاحبه "عبدالله بن هاني وهو رجل من أود حي في اليمن وكان شريفا في قومه، وقد شهد مع الحجاج مشاهده كلها، وشهد معه تحريق البيت، وكان من أنصاره وشيعته"، غير أنه "كان دميما، مجدورا في رأسه، أعجر، مائل الشدق، أحول، قبيح الوجه". فأرغم الحجاج اثنين من أصحابه ينتميان إلى قبيلتين غير قبيلة عبد الله على تزويجه بنتيهما (م ، 3، ص151ـ 152). والحجاج نفسه خطب ابنة عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ابن أخ علي بن أبي طالب، وذلك سعيا منه للحط من القدر الرفيع لكل آل أبي طالب .

انتشرت في العصر العربي الإسلامي انتشارا واسعا علاقات الزواج اللحمي (زواج الأقارب، الزواج الاندوغامي، الداخلي) . ومما يدل على ذلك أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي قبل اغتياله عليا بن أبي طالب تقدم خاطبا ابنة عمه قطام . "وكان علي قد قتل اباها وأخاها يوم النهروان. وكانت أجمل أهل زمانها". فطلبت من ابن ملجم قتل عليا مهرا لها. (م ، 2، 423). كما ان هارون الرشيد " لما أفضت الخلافة إليه زوج ابنته حمدونة (25) من ابن أخيه جعفر بن موسى الهادي ، وابنته الأخرى فاطمة لابن أخيه الآخر اسماعيل بن موسى الهادي (م، 3، ص 345).

أما في ما يتعلق بالخلفاء العباسيين أنفسهم فعلى الأغلب الأعم كانوا أبناء جوار (26) ، ولذلك يلاحظ المسعودي بشكل خاص أن الأمين ابن هارون الرشيد من زبيدة التي كانت ابنة عم زوجها وحفيدة المنصور (27) الخليفة العباسي الثاني ، كان – أي الأمين ـ الخليفة

الوحيد من أب وأم هاشميين بعد علي بن أبي طالب وابنه الحسن (م،3، ص 404 – 405) .

وكما أشار الأكاديمي إ. يو. كراتشكوفسكي ، تشكل في الأدب العربي ومنذ مراحل تطوره الباكرة جنس أدبي خاص يسمى "الفضائل"، وهو عبارة عن أقوال مأثورة مقتضبة مقفاة (سجع) في أغلب الأحيان" تتحدث عن مزايا بعض البلدان والشعوب . وهذا الجنس الباكر في الأدبيات الجغرافية عند العرب تطور ضمن علاقة وثيقة مع جنس آخر هو مديح وهجاء بعض القبائل العربية . ونجد نماذج من "الفضائل" في كتب الأنساب (28) . ووفقا لمخطط تصنيف الأخبار التي تشكل نص "مروج الذهب.."، فإن " الفضائل" تمثل أحد تفرعات الأخبار ـ الأمثال .

إن الحالة الأولى التي سجلناها عن تضمين جنس وصف القبائل في مؤلفات المسعودي هي الحوار بين الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب من جهة والشاعر والفارس الشهير عمرو بن معد يكرب . وبوصفه من قبيلة يمنية يقوم عمرو بناء على طلب الخليفة بتوصيف مختلف القبائل العربية الجنوبية، وكذلك الحرب وشتى أنواع السلاح (م، 2، ص 333ـ 335).

والنموذج الثاني لهذا الجنس نجده في خبر عن لقاء جمع الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان، والحكيم الشهير والخطيب الأريب صعصعة بن صوحان العبدي . في البداية يصف صعصعة أهل مختلف الأصقاع كالبصرة والكوفة والحجاز، ومن ثم ينبري لهجاء ربيعة وأهل الشام من جهة ، ومديح مضر من جهة أخرى (م، 3، ص 51ـ 52) .

وفي الفصل المخصص لحكم السفاح، الخليفة العباسي الأول ، نرى أن جنس مديح وهجاء القبائل راح يفقد روح الحماسة ، وأخذ يكتسب

طابع المحاكاة والهزل . كان السفاح "يعجبه المحادثة ، ومفاخرات العرب من نزار والمذاكرة بذلك". ومن مسامرات السفاح ما حدثه به يزيد الرقاشي بأظرف ما سمع من الأحاديث ، فحدثه عن رجل من تنوخ نزل بحي من بني عامر بن صعصعة ، وما سمعه من جارية من الحي في هجاء كل القبائل التي ادعى الرجل أنه ينتمي إليها . (29) (م، 3، ص-285 288) . ويبدو أن في أساس هذا الخبر موضوع فولكوري شهير . (30).

طبقات المجتمع العربي الإسلامي وثقافة البغداديين

تكونت في عصر المسعودي بنى اجتماعية أخرى غير المجموعات التي توحدها أواصر القرابة العائلية ، أو القبلية، حيث الانتماء إليها يحدد وضع الفرد ومنزلته . وتتضح لنا التشكيلات الجديدة من خلال المعلومات المتعلقة بمدينة المسعودي ، عاصمة الخلافة – بغداد.

كان سكان هذه العاصمة العربية الإسلامية القروسطية ينقسمون ـ كما تلاحظ الباحثة الروسية إ. ب. ميخائيلوفا ـ إلى مجوعتين كبيرتين ، هما الخاصة والعامة(31). وكانت تنتمي إلى الأولى ، مجموعةُ الصفوة ذات الامتيازات، أي من كان على علاقة بالبلاط وجهاز الدولة (عائلة الخليفة والحاشية والحرس و كبار الموظفين والارستقراطية العسكرية) وأصحاب الفضائل في الإسلام سواء شخصيا أم بالوراثة (الهاشميون ، بنو علي، أحفاد الصحابة، وكبار العلماء) . وكانت طبقة العامة الاجتماعية (الشعب البسيط، السواد) تضم شتى القوى الاجتماعية وأكثرها تنوعا ، من التجار الأغنياء إلى ممثلي القاع المديني . إن الحد الذي كان يفصل بين الخاصة (حوالي خمس سكان بغداد) عن العامة لم يكن واضحا بدقة .

ونظرا لنسبه الذي يعود إلى عبدالله بن مسعود ـ أحد صحابة النبي محمد ـ ولأنه رجل يتمتع بثقافة رفيعة، كان المسعودي ينتمي

بطبيعة الحال إلى الفئة الأولى المختارة، وكان على الأغلب يشاطرها ثوابتها الاجتماعية - البسيكولوجية. ونلاحظ في مؤلفاته دلائل غير مباشرة على موقفه الازدرائي من سواد الناس. يرى المسعودي أن بسطاء الناس (عامة الشعب) ليسوا مستقلين في أحكامهم، وأنهم سذج ميالون إلى اللهو (م،3، ص 44) . يقول المسعودي إن الأمير الشهير عمرو بن الليث الصفار(32) أرسل هدايا إلى الخليفة المعتضد في بغداد عام 896/97 8 كان من بينها صنمٌ من نحاس على شكل امرأة لها أربعة أذرع . وعرض هذا التمثال على الملأ حيث استمرت العامة عدة أيام بالتفرج عليه ساهية عن شؤونها ... (م، 4، ص 237). ومما يدل على سذاجة الشعب البسيط خبر عن رجل مشعوذ أيام هارون الرشيد كان يطبب العامة، مستغلا العديد من المرضى ، وهم على حافة الموت غالبا، باعطائهم ماء عاديا (م، 3، ص 43-44) .

إن أكثر ما يثير استياء المسعودي هو جهل العامة في قضايا الدين. ومن ذلك مثلا ما ينقله عن الجاحظ من أن رجلا من العامة، وهو حاج، لايعرف ماذا تعني كلمة "البيت" أي الكعبة. بل أن الكثيرين من العامة لم يكونوا يعرفون اسماء وأنساب أقرب أقرباء الرسول وأصحابه (م،3 ، ص 42- 43). من هذه الأمثلة أيضا أن رجلا من العامة حضر وفاة ابن حنبل (33) في خلافة المتوكل بمدينة السلام ... "وحضر جنازته خلق من الناس لم ير مثل ذلك اليوم والاجتماع في جنازة سلف قبله. وكان للعامة فيه كلام كثير جرى بينهم بالعكس والضد في الأمور".. بل أن أحدهم وضع ابن حنبل في مصاف الرسول.

وينبئنا المسعودي أنه "كان لأهل بغداد ثورة مع السلطان لاستهزائهم بالخدم السودان . ذلك أن الخدم في دار السلطان كلموا المعتضد بما يلحقهم في الأزقة والشوارع والدروب وسائر الطرق من الصغير والكبير من العوام ، فأمر المعتضد بجماعة من العامة ، فضربوا بالسياط ، فثارت

العامة. (م،4 ، ص 260) . وفي الوقت نفسه نجد عند المسعودي أن بعض أبناء العامة قادرون على الفهم العميق لأحد أهم عناصر الثقافة في ذاك الزمن، أي الموسيقى والغناء. ومما يدل على ذلك لَمْعٌ عن شخصية ابراهيم بن المهدي، الأمير العباسي الذي اشتهر أيضا كمغن وموسيقي (34) . وفي ثلاث من القصص التي يسردها عنه المسعودي نجده يأسر القلوب بغنائه وموسيقاه . في القصة الأولى أن عبدا أسود عند بئر ماء رفض أول الأمر أن يسقيه من مائه، ولكنه عندما سمعه يغني هب فسقاه وزوده بقربة له (م، 3، ص 375). وفي القصة الثانية يخبرنا المسعودي أن موهبة ابراهيم بن ا لمهدي أعانته في التعرف على أخت أحد التجار ، وهي حسناء ملكت عليه عقله فتزوجها بعد أن كشف هويته لأخيها التاجر(م، 4، ص11). وفي القصة الثالثة كان هاربا من عيون المأمون فاختبأ عند مزين أسود. وإذ عرفه المزين أكرمه وأجابه إلى طلبه راجيا أن يسمعه شيئا من غنائه وموسيقاه. وتبين أن هذا المزين كان خادم اسحاق بن ابراهيم الموصلي (م، 4، ص 31). من المستبعد أن تكون هذه القصص انعكاسا حقيقيا للوضع الاجتماعي الثقافي في الحقبة التي يصفها المسعودي . ومما لاشك فيه أنها تنطوي على عنصر من عناصر الفولكلور ، فابراهيم بن المهدي يبدو هنا وكأنه ساحر يذلل نفوس الناس ، على غرار ما كان لموسيقى أورفيوس من تأثير فتان على البشر والحيوان والشجر.

إن بسطاء الناس في ذاك الزمن كانوا أكثر شغفا بتسليات أخرى "كاللعب بالحمام وتطييرها، واللعب بالكباش والديوك والسمان "(م، 4، ص 356ـ 357) .

ونجد لدى المسعودي معلومات أكثر تفصيلا عن الحياة الروحية للعامة. ومن ذلك قصائد لشاعر ضرير يعرف بعلي بن ابي طالب (35)، غالبا ما يوردها المسعودي عند وصفه الخلافات بين الأمين والمأمون التي

لم تزعزع أسس المجتمع البغدادي وحسب ، بل وأُسس المجتمع العربي الإسلامي كله . وفي ذلك يقول هذا الشاعر :

تقطعت الأرحام بين العشائر وأسلمهم أهل التقى والبصائر
فاصبح بعض الناس يقتل بعضهم فمن بين مقهور ذليل وقاهر

وجاء في مكان آخر :

من ذا أصابك يا بغداد بالعين ألم تكوني زمانا قرة العين؟
ألم يكن فيك قوم كان قربهم وكان مسكنهم زينا من الزين؟

(م،3، ص 405، 409، 412، 414، 417).

ويرد في "مروج الذهب" ذكر البنية الاجتماعية للعامة ، فبمناسبة القلاقل التي وقعت في عاصمة الخلافة عام 819/20، يقول المسعودي "اضطربت بغداد في أيام ابراهيم المهدي ، وثارت الرويبضة ، وسموا أنفسهم المطوعة ، وهم رؤساء العامة والتوابع ".

ولعل الأبهى من بين المقاطع المكرسة لحياة البغدايين من عامة الناس، تلك التي يتحدث فيها المسعودي عن العيارين ، وهم مجموعة مسلحة من سكان المدينة تخضع لقانون الشرف الذي تتلخص أهم بنوده برباطة الجأش وقوة الإرادة والثبات وازدراء الألم ، والإخلاص والصداقة ، وكتمان السر والوفاء بالوعد ومقت الكذب، والتحلي بالعفة . وأغلب الظن أن أعضاء جماعة العيارين هم من أبناء الفئات المعدمة أو الفقيرة. كما أن قادتهم كانوا أناسا من أصول اجتماعية دنيا. ويبدو أن العيارين كانوا الشكل المحلي لظاهرة الفتوة (36) التي انتشرت في كل العالم لعربي الإسلامي في القرن العاشر .

وبعد أن يحدثنا عن سلاح العيارين وتنظيمهم القتالي (م، 3، ص 411 ـ 412) ينتقل المؤلف إلى عرض تقلبات المعارك التي شارك فيها مقاتلوهم ، وخاصة الحديث عن انتصاراتهم ومن ثم هزيمتهم على يد الجند المحترفين التابعين للمأمون (م، 3، ص 414ـ 415، 417 ـ 418). ويلاحظ المسعودي أن العيارين حافظوا في المراحل التالية من تاريخ بغداد على أهميتهم كقوة عسكرية (م، ص 412ـ 413).

وبوصفه راوي قصص المغامرات والتسلية لا يسع مؤلفنا أن يمر مرور الكرام أمام سكان قاع المدينة ، أي اللصوص المحترفين. ولعل من أمتع ما رواه في هذا المجال قصة سرقة خزنة الجند (بعض رسوم الجند في عشر بدر) في عهد الخليفة المعتضد (م، 4، ص 248ـ 249). وتعود جاذبية هذه القصة لكونها أولا تتصف بمزايا أدبية لا جدال فيها، وثانيا لأنها تقدم لنا معلومات عن وجود جماعة التوابين في بغداد آنذاك، "وهم شيوخ أنواع اللصوص الذين كبروا وتابوا فإذا جرت حادثة علموا من فعل من هي فدلوا عليه ، وربما يتقاسمون اللصوص ما سرقوه". ويورد المسعودي قصصا عن مغامرات لص بغداد الشهير العقاب بن باز تتصف بطابع فولكولي لا ريب فيه (م، 4، ص 255ـ 257).

وغني عن القول إن المسعودي يعير القدر الأكبر من اهتمامه للنخبة الثقافية (أي الخاصة من الناس) في العالم العربي الإسلامي آنذاك، حيث كانت المجالس أحد الأشكال الرئيسية للتواصل بين ممثلي هذه الفئة.

سبق وأشرنا أعلاه عند مناقشة موضوع ولادة الموروث التاريخي عند العرب قبل الإسلام (أيام العرب)، إلى أن المجالس التي يجتمع فيها الرجال كانت موجودة حتى في مرحلة ما قبل الإسلام (وتعود على ما يبدو إلى ما يسمى "بيوت الرجال" في مرحلة أكثر قدما، وكان لها قدر معروف

من الأهمية الاجتماعية – الثقافية في المرحلة الأولى بعد الفتوحات العربية الإسلامية (37) . وفي المرحلة التاريخية التالية التي شهدت عملية تبادل ثقافي حثيثة بين العرب والشعوب التي خضعت لهم، تعرف العرب المسلمون على تجمعات الرجال الموجودة منذ زمن بعيد عند الشعوب الناطقة بالإيرانية (38) واقتسبوا العديد من عناصر هذه المؤسسة. من المعروف على سبيل المثال أن الخليفة العباسي الثاني المنصور انتمى إلى جمعية كان أعضاؤها يتناوبون على إقامة الولائم (39). وفي عهد العباسيين انتشرت على نطاق واسع المجالس على النمط الإيراني التي كان يشارك فيها الندماء ، وخاصة في بلاط الخليفة (40) . وتجدر الإشارة إلى أن ظاهرة الندماء كانت معروفة منذ قياصرة الإيرانيين الأخمينيين. ولنا دليل على المكانة الرفيعة التي كان تتمتع بها صنعة النديم، هو ذاك الحوار الوعظي بين النديم والكاتب ، والذي يجري في روحية التقليد الأدبي الإرشادي التهذيبي في الشرق الأوسط. "فاخر كاتبٌ نديماً فقال الكاتب : أنا معونة وأنت مؤونة ، وأنا للجد وأنت للهزل، وأنا للشدة وأنت للذة، وأنا للحرب وأنت للسلم. فقال النديم: أنا للنعمة وأنت للنقمة ، وأنا للحظوة وأنت للمهنة، وتقوم وأجلس، وتحتشم وأنا مؤنس، تدأب لحاجتي وتشقى بمافيه سعادتي، وأنا شريك وأنت معين، أنا قرين وأنت تابع، وإنما سميت نديما للندم على مفارقتي" (م، 4، ص 16) . إن موضوع مزايا وصفات النديم كانت تناقش في مجالس الخليفة المعتمد كما يقول المسعودي ، كمدح النديم وذكر فضائله، وأخلاقه وعفافه وأمن عبثه، ودرايته بأصول المآدب وغير ذلك... (م،4، ص226 ـ 227) .

ويخبرنا المسعودي أن الندماء كانوا من بين الشخصيات البارزة في مجال الثقافة العربية الإسلامية، مثل عيسى بن دأب الذي كان نديم الخليفة الهادي . "كان عيسى بن دأب يجالسه، وكان أكثر أهل

عصره أدبا وعلما ومعرفة بأخبار الناس ، وأيامهم" (م،3، ص 335) ، وكذلك محمد بن علي العبدي الخراساني الأخباري نديم الخليفة القاهر (م،4، ص 313) . ويستخدم المسعودي كلا المصطلحين "النديم" و "المجلس" عند ذكره الوالي الأموي الشهير على العراق الحجاج بن يوسف (م،3، ص 148).

ومن بين الخلفاء العباسيين الذين أبدوا ميلا خاصا لمجالسة الندماء السفاح الذي كان يجالسهم من خلف ستارة " وكان في أول أيامه يظهر لندمائه، ثم احتجب عنهم، وذلك لسنة خلت من ملكه" (م ، 3 ، ص 279)، والمتوكل الذي قتل في أثناء جلسة مع ندمائه (م، 4، ص121-122) ، والراضي (م،3، ص 337-336). وعلى الرغم من أن مؤلفات المسعودي لا تسعفنا إلا قليلا في معرفة كيفية تنظيم هذه الجلسات، فإن بعض عناصر وظيفتها واضحة للعيان.

وكانت المجالس حلبة لنشاط فئة اجتماعية خاصة في المجتمع العربي - الإسلامي (التي بقيت بعد ذلك بفترة طويلة) هي فئة الطفيليين الذين كانوا يعتمدون على عادة إكرام الضيف، وكانوا حملة تقليد ثقافي قديم هو التهريج ، إلى جانب تمتعهم بمهارات ثقافية أخرى (41) . ومن بين هؤلاء ابن دراج الشهير الذي نظم فيه الكثير من الأشعار، وروي العديد من النوادر . والمسعودي يورد قصة مضحكة جرت في مجلس أحمد بن المدبر الذي كان الخليفة المهدي ولاه خراج فلسطين . "وكان طفيليّ يعرف بابن دراج من أكمل الناس أدبا وأخفهم روحا وأشدهم في كل مليحة افتتانا، فلم يزل يحتال حتى عرف وقت جلوس أحمد بن المدبر للندماء ، فتزيًا في زي ندمائه ودخل في جملتهم". وبعد اختبارات عديدة في الشطرنج والنرد والعود والطنبور والغناء أثبت الطفيلي جدارته، فلم ينله من الأستاذ إلا الخير". (م،4، ص 187). وكان بنان الطفيلي محبوب الخليفة المتوكل (42) (م،4،

ص 189) ومن القصص التي تتحدث عن هذه الفئة من الأشخاص قصة طفيلي دخل ضمن مجموعة من الزنادقة المانيين كان المأمون أمر بسوقهم إليه لمحاكتهم . ظن الطفيلي بادئ الأمر أن هؤلاء في طريقهم إلى وليمة . ولما انكشف له الأمر قص على المأمون قصته فأمر الخليفة بأن "يؤدب على فرط تطفله ومخاطرته بنفسه". (م،4، ص 9ـ 10) .

ويتضح من مؤلفات المسعودي أن الموسيقى والغناء كانا من أهم مشاغل المجالس (م،3 ، ص227، 278، وم، 4، ص132ـ131). وكان المشاركون في هذه المجالس يتحدثون في مواضيع من قبيل : ماهي الموسيقى، وما هو الغناء، وكيف ظهرا، وكيف ظهرت الآلات الموسيقية وغير ذلك . "وكان المعتمد مشغوفا بالطرب ، والغالب عليه المعاقرة ومحبة اللهو والملاهي". ويورد المؤلف قولا للجغرافي الشهير العارف بالموسيقى عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبة في مجلس الخليفة المعتمد عن أصل العود والطبول والدفوف والمعازف والطنابير والناي والصنوج وغير ذلك من آلات الموسيقى والطرب.. (43) (م، 4، ص 220ـ 227) .

وكانت قراءة الشعر من اهتمامات المجالس ، فيحدثنا المسعودي عن اللقاءات المخصصة لهذا الغرض عند الخلفاء: المكتفي (م،4، ص 287ـ 291) والمتقي (م،4، ص 343ـ 346) و المستكفي (م،4، ص 358ـ 370).

وإلى ذلك كله اهتم المشاركون في المجالس بأمور أخرى مختلفة. وعلى العموم كان فن الخطابة يحظى بتقدير كبير في المجالس، ولذلك نجد المسعودي يسجل في مؤلفه بليغَ الكلام مما كان يلقى (م،3، ص197) و (م،4، ص 156). ومن بين المواضيع الأخرى طبيعة العشق كما في مجلس يحيى بن خالد؛ والطبيعة وطبيعة الأمراض وطرق العلاج كما في مجلس الواثق، وجوانب السلوك الأخلاقية عند هذه أو تلك من الشخصيات التاريخية وبعض عاداتها وسياساتها

كالسفاح والمهدي والمتوكل والراضي. وكذلك مسألة تأثير اسم الإنسان على مصيره ، وكل ما يتعلق بالخيل. وطالما كانت المجالس لاتقتصر على الأحاديث ، بل وتشمل المآدب، فكان الكلام فيها يدور عن أطايب الطعام .

وبالإضافة إلى المجالس يبدي المسعودي اهتمامه ببعض الأشكال الأخرى للحياة الثقافية عند النخبة في المجتمع العربي الإسلامي .

لعبت آداب السلوك في البلاط دورا هاما للغاية في الحياة الثقافية والاجتماعية – السياسية للخلافة في العصر العباسي . ويقص علينا المسعودي كيف كان يتوجب على رجل الحاشية أن يتصرف في حضرة الحاكم . ويتوسع المؤلف في هذا الموضوع باللجوء إلى جنسين من الأخبار. الجنس الأول هو أخبار الأمثال والأقوال المأثورة التي تتضمن تأكيدات على «حسن الاستماع لحديث الملوك، والاستغراب له ، وإظهار السرور والاستفادة منه». ولتعزيز مثل هذا الرأي كان يشفع بالرجوع إلى حكماء اليونان مرة (م،3، ص 182ـ281)، وإلى الحكماء عامة مرة ثانية ، إذ قيل «تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام» (م، 3 ، ص 283) ، ومرة ثالثة استنادا إلى الخليفة الأموي الأول معاوية بن أبي سفيان «الذي يحكى عنه أنه كان يقول: يُغلب الملك حتى يُركَب لشيئين بالحلم عند سورته، والإصغاء لحديثه» (م،3، ص 280) ، وفي الرابعة بقول روح بن زنباع الجذامي «إذا أردت أن يمكنك الملك من أذنه فأمكن أذنك من الإصغاء لحديثه» (م،3 ، ص 280).

ومن حيث الموضوع يضاف إلى هذه الأقوال المتعلقة بآداب السلوك في البلاط، رأي ينسب إلى الخليفة العباسي الأول السفاح من أن العطاء الملكي لا يجب أن يتأخر (م،3، ص 279) إذ يقول «لا يكون سرورونا معجلا، ومكافأة من سرنا وأطربنا مؤجلا». ويلاحظ المسعودي أن

مؤسس الدولة العباسية كان في قوله ومثله هذا يحذو حذو الشاه الإيراني من سلاسلة الساسانيين بهرام جور (م،3، ص 279). وهذا الواقعة تؤكد مرة أخرى أن الثقافة السياسية في إيران الساسانية كانت ذات أهمية كبيرة عند الخلفاء العباسيين وحاشيتهم، وكذلك الأمر بالنسبة للمؤرخين الذين كانوا يعملون على استيعاب تجربة العباسيين الاجتماعية السياسية .

والجنس الآخر هو القصة. والقصص هنا تبين كيف يحافظ رجل البلاط الحقيقي على رصانته وإصغائه لكلام الحاكم بغض النظر عن الصعوبات والمتاعب التي تنشأ جراء معرفة المستمع المسبقة لما يقصه الملك. وأحد أبطال هذه القصص هو الحكيم العربي قبل الإسلام شداد بن جرثمة الذي كان في بلاط الشاه الساساني شيرويه بن ابرويز الذي حكم ستة أشهر فقط من عام 628 ميلادية (م، 3، ص 280) . وفي هذه القصة يضرب شداد مثلا في حسن الانصات للمك والاستغراق في حديثه وكان مسيرهما على شاطئ نهر ، حتى أنه غفل عن موطئ حافر دابته فزلت إحدى قوائمها فوقع في النهر فبادر حاشية الملك وغلمانه لانتشاله.

وبطل قصة أخرى هو التابعي يزيد بن شجرة الرهاوي في حضرة معاوية بن أبي سفيان الذي كان يحدثه عن حرب عظيمة قبل الإسلام ودور أبي سفيان في وقفها «إذ صعد إلى نشز من الأرض ثم صاح بالفريقين ، وأشار بكمه فانصرف الفريقان جميعا انقيادا لأمره". وأثناء الحديث الذي استغرق في سماعه ابن شجرة "صك جبينه حجر عائر فأدماه، فجعلت الدماء تسيل على وجهه ولحيته وثوبه، وغير ذلك، ولم يتغير عما كان عليه من الاستماع"، فأكبر معاوية ذلك فيه وأجزل له العطاء. (م،3 ، ص 282).

وكما هو معروف، فإن الجواري اللائي كن يجيدن الغناء والعزف (44) لعبن دورا كبيرا في بلاط الخليفة وفي بيوت الأعيان والأغنياء في الحقبة العربية الإسلامية . ولذلك نرى أن المسعودي الميال لترصيع مؤلفه بالنثر الأدبي ، يورد بضع قصص عن حالات حب رومانسي بين الجواري المغنيات ورجال من البلاط، بما في ذلك قصة حب الخليفة المتوكل (قتله حراسه الأتراك) لجاريته محبوبة (م ، 4، ص 102-100، 124- 127).

ومن بين أشكال الترفيه والتسليات في البلاط يصف المسعودي بالدرجة الأولى أعراس الخلفاء الفخيمة، ومنها عرس الخليفة المأمون وخديجة . وقد كان هذا العرس أواخر العام 824 ميلادية ، حيث المأمون "أملك بخديجة ابنة الحسن بن سهل التي تسمى بوران، ونثر الحسن في ذلك الاملاك من الأموال ما لم ينثره ولم يفعله ملك قط في جاهلية ولا في إسلام" (م،4، ص 30). وثمة وصف لعرس آخر هو عرس المعتضد وقطر الندى ابنة خمارويه بن أحمد حاكم مصر، التي حضرت إلى العراق عام 895 ميلادية. وكانت الحسناء المصرية في البداية مخطوبة لأحد أبناء الخليفة، إلا أن المعتضد رغب بها فتزوجها.

وكان يرافقها الحسن بن عبدالله بن الجصاص "الذي تولى أمرها وجهازها ، فيقال أنه حمل معها جوهرا لم يجتمع مثله عند خليفة قط، فاقتطع ابن الجصاص بعضه، وأعلم قطر الندى بنت خمارويه أن ما أخذ مودع لها عنده إلى وقت حاجتها إليه، فماتت والجوهر عنده، فكان ذلك سبب غناه واستقلاله". (م، 4 ، ص 233، 271).

ومن الهوايات الأخرى عند الحكام العرب المسلمين وحاشياتهم نجد هواية سباق الخيل. ويبدو أن تقاليد إجراء هذه المسابقات تعود إلى عادات البدو. ومن بين الأكثر ولعا بالخيل ومسابقاتها يذكر

المسعودي كلا من الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك، الذي كان "مغرىً بالخيل وحبها وجمعها وإقامة الحلبة، وكان السنديُ فرسُه جوادَ زمانه، وكان يسابق به في أيام هشام، وكان يقصر عن فرس هشام المعروف بالزائد" (م،3، ص 230ـ 232). ويصف أيضا سباقا أقامه هارون الرشيد بالرقة (م،3، ص 372).

أما الشطرنج فكان لعبة دائرة ضيقة من الناس. وكان الخليفة العباسي المكتفي

مولعا بهذا الضرب من التسلية. وذات يوم أقام مسابقة بين لاعبين مشهورين في ذاك الزمن هما : أبو بكر الصولي (45) المعروف أيضا كأديب ومؤرخ ، والماوردي . وفي هذا السياق يخبرنا المسعودي عن أشكال مختلفة من رقع الشطرنج كانت موجودة في أيامه، وعن أساليب تلك اللعبة . "وقد تناهى بنا الكلام وتغلغل بنا التصنيف إلى جمل من أخبار الشطرنج، وما قيل فيها، مع ما قدمناه فيما سلف من هذا الكتاب عند ذكرنا لأخبار الهند ومبادئ اللعب بالشطرنج والنرد ، واتصال ذلك بالأجسام العلوية والأجرام السماوية" (م،4، ص 324).

ومن الأحداث الهامة في حياة رجال البلاط وأبناء المدينة مسيرات النصر التي يذكرها المسعودي ، وذلك عندما كان المتمردون ينقلون إلى بغداد لإعدامهم أمام الملأ . ومن أولى هذا النوع من الأخبار قصة عدد من أتباع بابك نقلوا إلى سامراء لإعدامهم . وكان بابك على رأس حركة تمرد دامت من العام 816 حتى العام 838 (م،4، ص 57ـ55).

جرى في بغداد عام 895/96 8 احتفال عظيم بمناسبة النصر على الزعيم الخارجي هارون الشاري وأسره (م ، 4 ، ص 255).

وفي العام 898/899 دخل القائد العسكري العباسي خليفة بن

المبارك السلامي، الذي لا تذكره المصادر الأخرى، دخل ظافرا عاصمة الخلافة حاملا رأس المتمرد صالح المدرك الطائي ورؤوس عدد من أصحابه. يقول المسعودي " وفي هذه السنة ظفر ابو الأغر خليفة بن المبارك بصالح بن مدرك الطائي .... ودخل أبو الأغر مدينة السلام وقدامه رأس صالح ورأس جحش بن ذيال ورأس غلام لصالح أسود، وأربعة أسارى ، وهم بنو صالح بن المدرك، فخلع السلطان في ذلك اليوم على أبي الأغر، وطوقه بطوق من ذهب، ونصب الرؤوس على الجسر من الجانب الغربي، وأدخل الأسارى المطبق" (م ، 4 ، ص 265ـ 266).

وفي العام 909/910 أو 910/911، جرى ببغداد احتفال بالنصر، فدخل على ظهر فيل أسيرا الليث بن علي الليث (46)، وهو ابن أخي الأمير المعروف الصفار. وفي هذه السنة "أدخل الليث بن علي الليث بن أخي الصفار إلى مدينة السلام على الفيل وقدامه الجيش وحوله، وقد شهر" (م، 4، ص 309).

وأخيرا ، وعلى هذا النحو أيضا، دخل عاصمة الخلافة في عام 919/920 حاكم أذربيجان يوسف بن أبي الساج الذي أسس عام 901 دولة مستقلة ، وفي هذه السنة "أدخل يوسف بن أبي الساج إلى مدينة السلام، وقد شهر على الجمل الفالج وعليه دراعة الديباج التي لبسها عمرو بن الليث ووصيف الخادم، وعلى رأسه برنس طويل بشقائق وجلاجل، وحوله الجيوش ومؤنس الخادم وراءه مع سائر أرباب الدولة من أصحاب السيوف" (م ، 4 ، ص 310).

إن هذه الطقوس التي كانت تتبع عند الانتقام من الخصوم المهزومين استمرت حتى فترات متأخرة، وفي ظل سلالات عربية إسلامية أخرى. وفي هذا المجال تورد الباحثة ل. سيميونوفا قصة المؤرخ المصري في القرن الخامس عشر ابن طغري بيردي حول سحق الفاطميين لتمرد أبي رقوة (47) عام 1005ـ 1007. وبكلمة أخرى ، ربما حافظ الفاطميون،

خصوم الخلافة البغدادية ، على بعض عناصر طقوس الدولة والحياة الثقافية عند العباسيين .

ولا يكتفي المسعودي برصد العمليات الاجتماعية الثقافية (السيوسيو - ثقافية) ، بل يدفعنا لنمعن التفكير فيها ونتمثلها. إن المحاكمات الذهنية حول العنصرين الاجتماعي والثقافي (المجتمع والثقافة) العربيين ترتدي صيغة الفضائل المعروفة لنا . إنها مقاطع مقفاة، أي سجع، تمثل خطبا أو مواعظ أو اقوالا مأثورة لشخص مرموق ثقافيا، عبر عنها – غالبا- في حضرة خليفة يعقب عليها ويطرح أسئلة معينة حولها . وهذه الخطب وما شابهها تتضمن توصيفات للحكام المسلمين .

وعلى هذا النحو يقدم جد العباسيين عبد الله بن العباس وصفا للخلفاء الراشدين (أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب) وذلك في حضرة معاوية بن أبي سفيان الذي نراه مستاء لأن العباس يخص عليا قدرا كبيرا من المديح ، فيعبر عن استيائه قائلا له "لقد أكثرت في ابن عمك" (م، 3 ، ص 62-60) .

وينسب المؤلف موقفا مشابها للخليفة العباسي الثاني المنصور. فأثناء اجتماع لديه ضم عددا من أهله، "ذكروا خلفاء بني أمية وسيرهم وتدبيرهم، والسبب الذي به سلبوا عزهم"، بل أن المنصور نفسه يقدم وصفا لعبد الملك بن مروان ، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان بن عبد الملك ، وهشام (م ، 3، ص 296- 297) ، فيقول :"أما عبد الملك فكان جبارا لا يبالي ما صنع، وأما سليمان فكانت همته بطنه وفرجه، وأما عمر فكان أعور بين عميان ، وكان رجل القوم هشام ، ولم يزل بنو أمية ضابطين ما وهب الله لهم .... حتى أفضى الأمر إلى أبنائهم المترفين ..... فسلبهم الله العز، وألبسهم الذل، ونفى عنهم النعمة...".

وفي حضرة الخليفة العباسي القاهر يرد ذكر الخلفاء العباسيين أنفسهم ، بما في ذلك عملهم في ميدان الثقافة (السفاح ، والمنصور ، والمهدي ، والهادي ، والرشيد، والأمين ، والمأمون، والمعتصم ، والواثق، والمتوكل). يأتي على ذكر هؤلاء الخلفاء العلامة بأخبار بني العباس محمد بن علي العبدي الخراساني الأخباري ، الذي يقول : " أما أبو العباس السفاح فكان سريعا إلى سفك الدماء... بحرا سمحا ، وصولا جوادا بالمال. وكان المنصور أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس بن عبد المطلب وبين آل أبي طالب... وكان أول خليفة قرَّب المنجمين وعمل بأحكام النجوم ... وكان أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية... كان أول خليفة استعمل مواليه وغلمانه وصرفهم في مهماته وقدَّمهم على العرب... أما المهدي فكان سمحا سخيا كريما جوادا ... أمعن في قتل الملحدين والمداهنين . وكان الهادي جبارا عظيما. أما الرشيد فقد عم الناس إحسانه مع ما قرن به من عدله. أما المأمون فاجتهد في قراءة الكتب القديمة ، وأمعن في درسها، وواظب على قرائتها، فافتتن في فهمها وبلغ درايتها. والمعتصم غلب عليه حب الفروسية . والواثق كان كثير الأكل ، واسع العطاء، سهل الانقياد، متحببا إلى رعيته. والمتوكل حسنت أيامه، وانتظمت دولته، ودام ملكه..." (م، 4، ص 313ـ 320) .

ولعل المقاطع المذكورة أعلاه لا تمثل جنسا ما من الكلام وحسب ، وربما تعكس طقسا فريدا ساد في بلاط الخلافة .

وكأي مؤلف في القرون الوسطى ، كان المسعودي تحت تأثير العقيدة الدينية . ولذا من الطبيعي جدا أن يولي في مؤلفاته قدرا كبيرا من الاهتمام للجوانب الدينية الفلسفية في الثقافة العربية الإسلامية. وهذا هو موضوعنا في الفصل التالي .

هوامش الفصل الثاني

1ـ انظر : Smith W.R. Kinship..., p.6 في المدن العربية الإسلامية غالبا ما تتشكل الأحياء وفق الانتماء القبلي (انظر: بولشاكوف أو. غ. المدينة العربية في العصور الوسطى ص 161 بالروسية . وميخائيلوفا إ. ب. بغداد في العصر الوسيط ... ص 25. بالروسية).

2ـ تاريخ اليعقوبي. الجزء الثاني. ص 15 ـ16

3ـ انظر: Pellat. Index, p. 589 ـ 603

4ـ لمزيد من التفاصيل عن هذه الموقعة انظر : بولشاكوف أو. غ. تاريخ الخلافة. الجزء الثالث. ص 29 – 42 /بالروسية/

5ـ المرجع السابق ، ص 57

6ـ انظر: Horovitz J. Kumait b. Zaid, S.1196 – 1197

7ـ فلشتينسكي إ. م. ، تاريخ الأدب العربي: القرن الخامس – بداية القرن العاشر، ص 177 – 184 /بالروسية/

8ـ انظر : Smith W.R. Kinship..., p. 18 – 21, 26

9 ـ انظر : Shorter , p. 32 – 33 , 489, 529 – 533

10 ـ راجع: ميتس أ. ، النهضة الإسلامية، ص 133 / بالروسية/

11 ـ قبيلة كبيرة من المجموعة اليمنية.

12 – انظر : بولشاكوف أو. غ. مرجع سابق . الجزء الثاني، صـ 46 /بالروسية/

13 – انظر : Reckendorf. Al – Azd, S. 550 – 551

14 – بولشاكوف. مرجع سابق. ص 209 – 212

15 – بنو شيبان قبيلة من عرب الشمال. انظر : Ibn Coteiba, S. 48 – 49

16 ـ حول التنافس بين عرب الشمال وعرب الجنوب انظر : فون غريونباوم إ. ي. السمات الأساسية للثقافة العربية الإسلامية ، صـ11 29 /بالروسية/ و Smith W.R. Kinshp..., p.5,7

17 – انظر : فيلشتينسكي إ. م. مرجع سابق، ص 400 – 406 (عن التنافس بين دعبل وشاعر آخر هو أبو سعيد المخزومي الذي أشاد بمزايا عرب الشمال).

18 ـ الأحنف بن قيس قائد عسكري، رجل دولة، وشاعر في عهد الخلفاء الراشدين وأوائل الخلفاء الأمويين. بصري من بني تميم، عرف بالحكمة.

19 ـ انظر : نيغريا ل. ف. النظام الاجتماعي. ص ـ62 65 / بالروسية/

20 ـ انظر : Barthold W. Barmakiden, S. 691 – 692

21 ـ انظر: فيلشتينسكي إ. م. تاريخ الأدب العربي: القرن الخامس – مطلع القرن العاشر. ص 184 ـ 191

22 ـ انظر : نيغريا ل. ف. مرجع سابق. ـ83 84

23 ـ انظر : الخطيب البغدادي، الجزء الرابع، ص 50

24 ـ انظر نيغريا ل. ف. مرجع سابق. ص 82

25 ـ انظر: Ibn Coteiba, S. 194

26 ـ انظر : غريونيباوم إ. ي. فون. الإسلام التقليدي، ص 76، /بالروسية/.

27 ـ انظر: Zettersteen K. V. Zubaida, S. 1337

28 ـ انظر : كراتشكوفكي إ. يو. الأدب العربي الجغرافي. ص 57 – 60 / بالروسية/

29 ـ انظر: Reckendorf. ‘Amir b. Sa’sa’a, S. 697 – 700

30 ـ انظر : حكايات قدسية... من مجموعة ن. ي. أونتشوكوف. ص 381 / بالروسية/

31 – انظر: ميخائيلوفا إ. ب. بغداد في القرون الوسطى...، ص 18 /بالروسية/

32 ـ يعقوب بن الليث الصفار. انظر : Barthold W. ‘Amr b. al ـ Layth, ـ 452 ـ 453

33 ـ انظر: Laoust H. Ahmad b. Hanbal, p. 272 – 277

34 ـ انظر : Zettersteen K. V.Ibrahim b. al – Mahdi, S. 863 – 864

35 ـ هذه الشخصية كثيرا ما ترد عند الطبري. انظر : at_Tabari, III,P. 868,886,890,893,900

36 ـ انظر": ميخائيلوفا إ. ب. بغداد في القرون الوسطى. ص 27 – 28 / بالروسية/

37ـ انظر : Duri A.A. The Rise of Historical Writing.., p. 19, 42_43, 192

38 ـ انظر رحيموف ر.ر. "بيوت الرجال ..." /بالروسية/

39 ـ انظر : lassner J. The Shaping of Abbasid Rule, p. 165

40 ـ انظر ميتس أ. النهضة الاسلامية، ص. 129 /بالروسية/

41 – أنظر : لين ي. أو. طبائع وعادات المصريين ...، ص 245_244 /بالروسية/

42 ـ يشير بيللا إلى أن المسعودي كان الوحيد الذي ذكر هذه الشخصية (المرجع السابق ص. 207).

43 – انظر: Brockelmann C. Geschichte der arabischen Literature. Bd I, S. 225_ – 226 و فيلخانوف ن. مقدمة في دراسة المرجع ...، ص 8 – 13 / بالروسية/

44 ـ انظر ميتس . النهضة الإسلامية، ص.128 – 129 ، 143_145 / بالروسية/

45ـ انظر : Kratchkovsky Ign. Al_Suli, S. 586 _ 587

46 – انظر : Haig T. W. Saffariden, S.59

47 ـ سيميونوفا ل. أ. من تاريخ مصر الفاطمية، ص 225 / بالروسية/



الفصل الثالث

علماء الدين والمفكرون في مؤلفات المسعودي

ساد المذهب السني في الدولة العباسية أيام المسعودي. وفي هذا الشأن يشير الباحث المعروف في تراث صاحب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" أحمد شبول إلى أن دور الصدارة بين المدارس الدينية السنية في ذاك العصر كان لمذاهب أبي حنيفة، ومالك بن أنس، والشافعي، وداؤود بن علي الإصبهاني الظاهري (1) . وسمي أتباع الأخير بالظاهريين (2) لأنهم كغيرهم من أنصار الاتجاهات القويمة (التقليدية) ، كانوا يرون أن النصوص الدينية يجب أن تفهم بمعناها الظاهر "الجلي"(3).

يرى شبول أن المسعودي درس الفقه على علماء المذهبين الشافعي والظاهري ، ولو أنه لم يكن من الأتباع المتحمسين لأي من هاتين المدرستين.

ويشير شبول إلى أن المعلم الأكبر للمسعودي في الفقه الشافعي هو أحمد بن عمر بن سريج الذي لم تقتصر شهرته على كونه كبير الشافعية البغداديين ، بل لأنه ساهم أيضا بقدر هام في تطوير تعاليم الشافعي باستخدامه القياس والرأي على نطاق أوسع. ومن باب التشجيع على الجدل، غالبا ما كان ابن سريج يعقد وسط زملائه وتلاميذه مناقشات عملية علنية مع رئيس الظاهريين محمد بن داود الإصبهاني الظاهري الذي كان ابن مؤسس المذهب الظاهري، وفقيها وأديبا بارزا. "

وكان ممن قد علا في رتبة الأدب ، وتصرف في بحار اللغة، وتفنن في موارد المذاهب، وأشفى على أغراض المطالب، وكان عالما بالفقه منفردا، وواحدا فيه فريدا" (م، 4 ، ص 296، 308، 307). ومن بين الشافعيين البغداديين الآخرين يذكر المسعودي أيضا القاسم بن الحسن الأشيب(4) (م، 4، ص 310).

ومن الطبيعي أن يفرد المكان الأول لمؤسس المذهب الشافعي أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، الذي يخبرنا المسعودي عن وفاته (م، 4 ، ص-23 24). وبالمناسبة نشير إلى أن المسعودي هو أول مؤلف عربي إسلامي يورد معلومات عن الشافعي (5). ويطلعنا المسعودي على أقرب المقربين من هذا الإمام العظيم، ابن أخيه ابراهيم بن محمد الشافعي الذي كان من جامعي الحديث البارزين (6) (م، 4، ص 127)، وعلى صديقه وناقل مؤلفاته إلى مصر الربيع بن سليمان المؤذن " صاحب محمد بن ادريس الشافعي، والراوي لأكثر كتبه عنه في مصر". (7) (م، 4 ، ص 211-210).

عاش الشافعي سنوات عمره الأخيرة في مصر حيث كان له أتباع من أهلها. ودفن في منطقة القاهرة الحالية، ولا يزال ضريحه حتى الآن محل إجلال وتبجيل(8)، ولذلك ليس ثمة ما يدعو للاستغراب أن يلتقي المسعودي أثناء إقامته في مصر بعدد من فقهاء الشافعية (9) ، يخص بالذكر منهم الحسن بن مروان المصري (م، 4، ص211) ، وفقيه آخر لا يرد ذكره في المراجع الأخرى هو فقير بن مسكين، الذي يقول :"دخلت على الشافعي غداة وفاته فقلت له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ فقال أصبحتُ من الدنيا راحلا، ولإخواني مفارقا، وبكأس المنية شاربا، ولا أدري إلى الجنة تصير روحي فأهنيها ، أم إلى النار فأُعزيها" (م، 4 ، ص 24). ويعتقد شبول أن المسعودي تردد على دروس الفقيهين المذكورين أعلاه، إذ يرد عنده ذكر اثنين من الفقهاء الشافعيين المصريين الأكبر سنا الذين درسوا على يدي الإمام نفسه، وهما اسماعيل بن يحيى المزني

(10) الذي كان أستاذ فقير بن مسكين ، و "صاحب المختصر من علم محمد بن إدريس الشافعي"، وكذلك يونس بن عبد الأعلى الصدفي (م، 4، ص 206).

و نجد لدى المسعودي بعض المعلومات أيضا عن المذهب الحنبلي ، فيخبرنا بالدرجة الأولى عن العقاب الجسدي الذي أنزله المأمون عام 824/825 بمؤسس المذهب أحمد بن حنبل الذي رفض الاعتراف بمقولة المعتزلة حول خلق القرآن (م، 4، ص 25) . وعداك عن ذلك يورد المسعودي معلومة سبق أن أشرنا إليها ، وتتعلق بموت ابن حنبل وظروف دفنه (م، 4، ص 103-102). وأخيرا يحدثنا عن وفاة ابن مؤسس المذهب الحنبلي عبدالله بن أحمد بن حنبل وذلك عام 902/903 (م، 4، 284).

والمذهب السني الآخر الذي يحظى بقدر من الاهتمام في مؤلف المسعودي هو المذهب المالكي، فيذكر وفاة مؤسسه مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي(11) عام 795، وذلك في عهد هارون الرشيد. وقد صلى عليه أحد أشهر أنصاره الفقيه ابن أبي ذئب . «وذكر الواقدي أن مالكا كان يأتي المسجد ويشهد الصلوات والجمع والجنائز، ويعود المرضى، ويقضي الحقوق، ثم ترك ذلك كله، ثم قيل له فيه، فقال « ليس كل إنسان يقدر أن يتكلم بعذره» (م، 3، ص 350).

وبعد ذلك ترد معلومات عن وفاة أحد تلاميذ الإمام وهو عبدالله بن نافع الصائغ، وذلك عام 821 في زمن المأمون (م،4، ص 33). واستنادا إلى الأديب المبرد يذكر المسعودي القاضي المالكي أبا إسحاق اسماعيل بن إسحاق (م، 4 ، ص 69) كأحد أصحاب مجالس الأدباء.

وكان الحارث بن مسكين المصري العالم المالكي وأحد جامعي الحديث الذين يرد ذكر وفاتهم في «مروج الذهبي ...» (م،4 ، ص 168). وحسب أخبار الخطيب البغدادي أحد جامعي سير الشخصيات الهامة (القرن

الحادي عشر) ، فإن المأمون سجن الحارث بن مسكين المصري في محنة القرآن ، ومن ثم أطلق سراحه الخليفة المتوكل (12).

وترد في «مروج الذهب...» معلومات عن وفاة أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، ابن أخي عبد الله بن وهب صاحب مالك بن أنس، وقد روى عن عمه عبدالله بن وهب عن مالك . (م،4، ص 206).

ويذكر المسعودي وفاة أبي عمرو مقدام بن عمرو الرعيني بمصر، «وكان من جلة الفقهاء، ومن كبار أصحاب مالك» (م، 4 ، ص 259). غير أنه لم يتسن لنا التحقق من هوية هذا العالم الديني بالرجوع إلى المصادر المتاحة .

ثم يتحدث المؤلف عن الدور الذي لعبه عالم الدين المالكي محمد بن يوسف القاضي في ترسيخ سلطة الخليفة المكتفي (م، 4، ص 277).

كما أن المذهب السني الآخر ، الحنفي، يحظى بقدر واف من الأخبار التفصيلية في كتاب المسعودي، الذي يخبرنا عن وفاة مؤسس هذا المذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، الذي «توفي وهو ساجد في صلاته، وهو ابن تسعين سنة »، وذلك في زمن الخليفة العباسي المنصور . (م، 3، ص 315).

ويذكر المؤلف وفاة كل من الحنفيين المعروفين : زفر بن الهذيل ،(م، 3، ص 332) والفقيه الليث بن سعد المصري الفهمي الإيراني الأصل، الذي عاش الجزء الأكبر من حياته العملية في مصر (م، 3 ، ص 350)، والفقيه الشهير أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضي (13) (م، 3، ص 375)، ومحمد بن سماعة القاضي صاحب محمد بن الحسن وصاحب أبي حنيفة في خلافة المتوكل ، « وهو ابن مائة سنة، صحيح الجسم والعقل والحواس، يفتض الأبكار، ويركب الخيل التي تقطف وتعنق، ولم ينكر من نفسه شيئا» (م، 4، ص 94).

ويرد في الكتاب ذكر عدد من علماء المذهب الحنفي الذين شغلوا مناصب قضاة، بوصفهم مشاركين في الأحداث التاريخية، ومنهم الحسين بن عبد الرحمن القاضي (م، 4، ص 213) المعروف بابن الصابوني الانطاكي الحنفي، وأبو حازم عبد العزيز بن عبد الحميد . (م، 4، ص 277).

لم يتسن لنا ،استنادا إلى طابع جنس المادة والمعلومات التي ترد حول دورهم السوسيو - ثقافي ، تحديد الانتماء المذهبي لأغلبية علماء الدين السنة الذين يرد ذكرهم عند المسعودي ، وهم ينقسمون إلى بضع فئات. القسم الأكبر من هؤلاء يتألف من رجال الدين السنة الذين تقتصر المعلومات عنهم على أخبار وفاة كل منهم. وهذه الفئة بدورها تنقسم إلى عدة مجموعات:

المجموعة الأولى :

الفقهاء وجامعو الحديث الذين لا نجد ذكرا لأماكن نشاطهم، لا عند المسعودي ولا في المراجع المتاحة لنا ، ومع ذلك من الجلي أنهم جميعا كانوا على صلة ببغداد بهذا الشكل أو ذلك. ولقد أحصينا 45 شخصا من هؤلاء ، بينهم 16 تصفهم المراجع بالشخصيات الدينية البارزة، وهم : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي، وعبد الله بن مبارك المروزي الفقيه، ومحمد بن عبد الله بن عبد المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري ، وأبو نُعيم الفضل بن دُكين، وأحمد بن عبد الله الغُداني، وعلي المدني، و يحيى بن معين ، وأبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي، وأبو ثور ابراهيم بن خالد الكلبي، و شيبان بن فروخ الأبُلّي، والعباس بن الوليد النرسي، وإسحاق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه، وعثمان بن أبي شيبة الكوفي، وأبو العباس محمد بن يونس الكوفي المحدث ، وأبو مسلم ابراهيم بن عبد الله الكجي البصري المحدث، وأبو العباس أحمد بن مسروق المحدث.

المجموعة الثانية :

الشخصيات الدينية السنية التي إما أننا لم نتمكن من ضبط هويتها بالرجوع إلى المصادر المتاحة لنا، وإما كان تحديد هويتها لا يعتد به ، أو ان لا ذكر لها في المصادر الأخرى . ومن 26 شخصية سجلناها يصف المسعودي اثنين كشخصيتين بارزتين ، هما الحسن الصالح البزار ، الذي « كان من علية أصحاب الحديث » (م،4 ، ص 168)، ومحمد بن محمد الجذوعي « القاضي وله أخبار عجيبة فيما كان به من المذهب قد أتينا على وصفه ونوادره فيها وما كان له من التعزز في الكتاب الأوسط» (م،4، ص 285) ، ـ أراد المسعودي مؤلفه « الكتاب الأوسط» الذي لم يصلنا.

المجموعة الثالثة :

من علماء الدين السنة (وعددهم 19) معلوم نطاق نشاطهم جغرافيا، بينهم سبعة بغداديون، وستة كوفيون، ومصريان (أحدهما العالم البارز أحمد بن صالح المصري (م ،4 ، ص 167)، وواحد من سامراء، وواحد كوفي ، وواحد مكي، وواحد دمشقي .

المجموعة الرابعة:

علماء الدين الموظفون، ومنهم رئيس ديوان الخراج وديوان السواد في عهد المتوكل البغدادي موسى بن عبد الملك (م،4 ، ص 128) والقاضي ابراهيم بن محمد التميمي قاضي البصرة (م، 4، ص 168) ، والمكي القاضي أبو أيوب سليمان بن حرب الواشجي البصري من الأزد (م، 4 ، ص 63)، وموسى بن إسحاق الأنصاري القاضي الذي شغل منصب قاضي الأهواز والري وكان من علماء أهل الحديث وكبار أهل النقل (م، 4، ص 306)، والقاضي بشر بن الوليد القاضي الكندي صاحب أبي يوسف (م، 4، ص 128).

وفئة علماء الدين السنة الأخرى خصصناها لأولئك الذين ذكرهم

المسعودي بإيراد أخبارهم إلى جانب أخبار الوفاة. وهذه الفئة تنقسم إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى ، تتألف من الفقهاء الموظفين. وقد تثبتنا من ثلاثة منهم هم سوَّار بن عبد الله القاضي (م، 3، ص 315، 348) و (م،4، ص 94)، وشريك بن عبد الله بن سنان النخعي، « وكان مولده ببخارى، وتولى القضاء بالكوفة أيام المهدي، ثم عزله موسى الهادي. وكان شريك ـ مع فهمه وعلمه ـ ذكيا فطنا» (م،3، ص 323، 349)، ويحيى بن أكثم (م،4، ص 8، 14، 17، 19، 21، 22، 128).

والمجموعة الثانية ، وتتألف من رجال الدين الذين لم يشغلوا مناصب إدارية: الفقيه هشام بن عروة بن الزبير (م، 3، ص 314ـ 314) والمحدث أزهر السمان (م، 4، ص 34).

والفئة التالية من رجال الدين السنة هي شخصيات الأخبار الذين لا يرد ذكر لوفاتهم. وهم سبعة عند المسعودي : عالم الحديث البصري والمقرب من الخليفة السفاح أبو بكر الهذلي (م، 3، ص 278)، وعلي بن الحسن (م، 3،ص 315)، والفقيه عالم الأنساب مصعب بن عبد الله الزبيري (م،3، ص 349)، وعالم الحديث المشهور والفقيه المقرب من الخليفة المهدي عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير (م، 3، ص 351)، وعالم الحديث عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة (م ، 3، ص 390)، ومحمد بن الحسن الكوفي (م ، 4، ص 211)، وآخر يدعى علي بن الحسين بن حوثرة (م، 4، ص 262).

من الواضح تماما أن هذه الشخصيات الدينية السنية لعبت دورا هاما في الوسط السيوسيو- ثقافي، وداخل الطبقة الناشئة آنذاك من الفقهاء المسلمين وجامعي الحديث السنة. غير أننا نلمس في «مروج الذهب...» إبرازا أكبر للدور السيوسيو- ثقافي لطائفة من رجال الدين السنة الآخرين،

ومنهم جامع الحديث والمقرب من الخليفة المنصور ـ عبد الله بن عياش المنتوف (م ، 3 ، ص 280) الذي يورد مؤلفنا بعضا من مواعظه كقوله في مخالطة الملوك: « لم تتقرب العامة إلى الملوك بمثل الطاعة، ولا العبيد بمثل الخدمة، ولا البطانة بمثل حسن الاستماع » .

وكذلك أحد علماء الحديث المنصور بن المعتمر معلم الصوفي الشهير الفُضيل بن عياض (م ، 3، ص365) ؛ والفقيه وجامع الحديث المعروف عثمان البَتِّي الذي نقل يحيى بن أكثم عنه الأحاديث، وتعلم الفقه على يديه (م ، 4، ص 23) ؛ وصاحب كتاب الأخبار المعروفة بـ «الموفقيات» ، وجامع الحديث والقاضي المكي الزبير بن بكار (م ، 4، ص 40)؛ والفقيه عيسى بن ابراهيم الضرير الذي يرد اسمه في عنوان مؤلف محمد بن داود الأصفهاني (م، 4، ص 296)؛ وجامع الحديث وقاضي المدينة أحمد بن اسحاق القاضي التنوخي الذي حضر جنازة الفقيه وعالم الحديث الذي سبق ذكره القاسم بن الحسن الأشيب الذي «كان من كبار العلماء والمحدثين»، (م ،4، ص 310)؛ وجامع الحديث ابراهيم الفزاري المنجم الذي يصفه العلامة بأخبار التاريخ محمد بن علي العبدي الخراساني الأخباري في حضرة الخليفة القاهر، يصفه كأحد أكبر رجال الثقافة العربية الإسلامية (م ، 4، ص 314).

ومما لاشك فيه أن علماء الدين السنة الذين يذكرهم المسعودي كناقلين للأخبار التي سجلها في كتابه ينتمون بمعظهم إلى كوكبة الشخصيات الثقافية . ومن هؤلاء أحد عشر شخصية ورد ذكرهم في «مروج الذهب ...»، ومنهم عالما التراث الديني أبو بكر بن عياش «وكان من علية أهل العلم» (م،3، ص 353) و سفيان بن عُيَيْنَة (م ،3 ، ص 365).

من المعروف أن الفصل الختامي من كتاب المسعودي يتضمن قائمة حسب التسلسل الزمني بأسماء المسؤولين عن الحج (ذكر تسمية من حج

بالناس من أول الإسلام). من بين هؤلاء نشير إلى الشخصيات السنية التالية : أحمد بن العباس (م ، 4، ص 405)؛ وعبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (م ،4، ص 406)؛ ومحمد بن هارون بن العباس بن ابراهيم بن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور (م، 4، ص 407) ؛ والحسن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (م ، 4 ، ص 407) . وهؤلاء الأربعة ينتمون إلى بني العباس ولذلك - كما يبدو - سموا مسؤولين عن الحج، الأمر الذي يتوافق والمبادئ العامة للتنظيم السيوسيو- ثقافي في المجتمع العربي الإسلامي، التي هي موضع بحثنا في هذا الكتاب . وإضافة إلى ذلك فإن محمد بن هارون والحسن بن عبد العزيز كانا إمامين لمسجدين جامعين (الأول في بغداد ، والثاني في الرصافة).

وثـمة فئة أخرى من رجال الدين السنة تتألف من أولئك الذين شاركوا - بشكل أو بآخر - في أحداث تاريخية. وهكذا، فقد حضر وفاة الخليفة المكتفي القاضي المعروف بتقاه عبد الله بن علي بن أبي الشوارب (م ، 4، ص 291) . أما القاضي محمد بن عبدة المعروف بالعبداني فقد صلى على حاكم مصر خمارويه بن أحمد بن طولون الذي ذبح في دمشق ونقلت جثته إلى مصر(14) (م ، 4 ، ص 247).

والمحدث الفقيه محمد بن الحسن الشيباني القاضي توفي في مدينة الري الإيرانية عندما كان فيها مع الخليفة هارون الرشيد الذي «تطير من وفاة محمد بن الحسن لرؤيا رآها في منامه» (م، 3، ص 354).

ودينار بن عبد الله كان في جيش الخليفة المعتصم أثناء حملته على حصن عمورية البيزنطي عام 757/758 (م ،4، ص 60)؛ والفقيه اسماعيل بن أحمد القاضي الذي دخل إلى المعتضد وعليه السواد بعد موت المعتمد «فسلم عليه بالخلافة، وكان أول من سلم عليه بها» (م ، 4، ص 230)؛

والمحدث يوسف بن يعقوب الذي ولاه المعتضد « القضاء بمدينة السلام، وخلع عليه، وانتدبه للجانب الشرقي». (م ، 4، ص 259)؛ والفقيه عبد العزيز بن عبد الحميد القاضي الذي «أمره القاسم بالمسير إلى بدر فيأخذ له الأمان و يجيء به معه وضمن له من أمير المؤمنين ما أحب، فقال أبو حازم : ما كنت أبلغ عن أمير المؤمنين رسالة لم أسمعها منه، فلما امتنع عليه أحضر أبا عمرو بن يوسف القاضي فأرسل به إلى بدر » فكان له ما أراد (م ،4، ص 277)؛ وأحمد بن عبد الله بن اسحاق الخرقي قاضي القضاة عند حاكم مصر الإخشيد محمد بن طغج (15) (م ، 4، ص 341)؛ والقاضي محمد بن الحسين بن أبي الشوارب الأموي الحنفي حضر مبايعة المستكفي الذي عينه في ما بعد قاضي الجانب الغربي من بغداد (م ،4، ص 356).

وثمة مجموعة تتألف من علماء السنة الذين كان دورهم شكليا، ولا ينسجم مع الدور المنوط برجال الدين إلا في الظاهر. وهكذا نجد أن الأمير العباسي عيسى بن موسى يتشاور مع اثنين من الفقهاء الموظفين هما ابن أبي ليلي و ابن شبرمة بشأن قتل أمير عباسي آخر هو المتمرد عبد الله بن علي، وذلك بناء على أمر المنصور. وإذ اختلفا في الرأي لم يقتله، فتولى قتله بعد ذلك أبو الأزهر المهلب بن أبي عيسى الذي لفق قصة موته مع جارية له تحت أنقاض البيت المتهدم. وشهد القاضي ابن علاثة شهادة زور على هذه الرواية. (م ، 3 ، ص 315 ـ 316). وفي ما بعد بوقت طويل لعب مثل هذا الدور فقيهان لم نتأكد من هويتهما من مصادر أخرى، هما أبو عوف والحسين بن سالم الذي شهدا زورا على سبب وفاة المعتمد (م ، 4 ، ص 230) .

ولأسباب مختلفة تعرض بعض رجال الدين السنة من هذه الفئة لاضهاد السلطة . ومنهم في المقام الأول الفقيه أحمد بن نصر الخزاعي الذي كان جده من أكبر الدعاة لدولة بني العباس، وذلك بسبب التزامه وجهة النظر السنية التقليدية من مسألة خلق القرآن. وقد قتل في زمن الخليفة الواثق (م ، 4، ص 76). والفقيه الآخر هو محمد بن أحمد بن أبي دُواد الذي تعرض

لسخط المتوكل مع أبيه العالم المعتزلي البارز أحمد بن ابي دُواد بن علي (م ، 4 ، ص 96). وخاتمة هذه المجموعة الفقيه أحمد بن عبد الله القاضي الذي شغل منصب قاضي القضاة في زمن المتقي ، ولكن بعد إطاحة هذا الخليفة سلم للمستكفي وزج به في السجن (م، 4 ، ص 356).

والبعض من بني العباس كانوا في منزلة علماء الدين شكليا، غير أن نشاطهم كان ضعيف الارتباط بالمجال الديني. والمقصود بذلك عبد الصمد بن علي عم الخليفة العباسي الأول العالم بالحديث والأنساب ، والذي اشتهر أثناء الصراع بين العباسيين والأمويين بقتل عدد كبير منهم في الحجاز . ويتذكر هذه الأحداث الخليفة الهادي والعالم بالأخبار عيسى بن دأب. وكان المحدث محمد بن سليمان بن علي من بني هاشم أحد قادة الجيش الذي حارب الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي خرج على العباسيين زمن الهادي (م ، 3 ، ص 336). ونشير أيضا إلى ابن الخليفة المنصور - سليمان بن أبي جعفر المنصور الذي يذكره المسعودي في عداد أبناء الحاكم (م ، 3 ، ص 318) وهو، أي سليمان، من المحدثين.

في ختام تحليلنا لمواد «مروج الذهب ...» حول رجال الدين السنة ، لا بد من الإشارة إلى أن المؤلف يذكر حتى في الفصل المكرس للتاريخ العباسي، أي للمرحلة المتأخرة من تطور العالم العربي الإسلامي ، يذكر غير مرة وفي سياقات مختلفة حملة التقاليد الإسلامية الأوائل - صحابة الرسول والتابعين. ومن هؤلاء مولى النبي أسلم (م ، 3 ، ص 268) ، وجعدة بن هبيرة المخزومي (م ، 3 ، ص 274)، ويزيد بن شجرة الرهاوي (م ، 3 ، ص 82)، وعبد الملك بن عمير (م ، 3 ، ص 340)، ونافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم الليثي (م،3، ص 349)، وعائشة بنت أبي بكر زوجة الرسول (م ، 3 ، ص 382)، وعكرمة مولى عبد الله بن العباس (م ،3، ص 400)، وعامر بن شراحل الشعبي (م ، 3 ، ص 401)، وجد المسعودي أحد صحابة النبي عبد

الله بن مسعود ، وجابر بن زيد (م ، 4 ، ص 8)، وجعفر الطيار بن أبي طالب (م ،4، ص 148)، وأبو موسى الأشعري (م ، 4 ، ص 207)، وقُثم بن العباس بن عبد المطلب (م ، 4 ، ص 334) الذي لا يزال ضريحه في سمرقند موضع تقديس حتى الآن ، وأخيرا أبو هريرة أحد أهم علماء الحديث الأولين (م ،4، ص 368).

ويرى الباحث أحمد شبول أن تيار المعتزلة كان الأكثر تأثيرا، من بين الاتجاهات الإسلامية، على عقيدة المسعودي(16). ومع تقديرنا لتحليل شبول لتأثير المعتزلة على المسعودي ، فإننا نرى رأياً آخر في هذه المسألة نعرضه في ما يلي .

يمكننا القول إن موضوع الاعتزال يبدأ في «مروج الذهب ...» بخبر وفاة أحد أكبر علماء الدين في مرحلة الإسلام الباكرة وهو الحسن البصري الذي اعتبره المعتزلة سلفا لهم (17) .

والمسعودي يورد خبر وفاته في فصل عن الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك بن مروان (م ، 3 ، ص 214 ـ 215).

يورد المسعودي في الفصل المخصص للخليفة العباسي المتوكل خبر وفاة مؤسس مذهب المعتزلة واصل بن عطاء (18) مع عرض موجز لانجازاته العلمية . ويذكر هذه المعلومات في سياق خبر عن وفاة من يصفه المسعودي بأحد كبار المعتزلة «أبي موسى الفراء ، وكان من شيوخ العدلية وكبار المتكلمين من البغداديين » (م ، 4 ، ص 104).

ويقرن المسعودي ما لقيه مذهب المعتزلة من قبول واستحسان عند جزء من أبناء الأوساط المتعلمة في المجتمع العربي الإسلامي ، وضمنا النخبة الحاكمة ، باسم الخليفة الأموي يزيد بن عبد الوليد بن عبد الملك بن مروان (حكم عام 744). ويضيف أن هذا الحاكم اعتنق المبادئ الخمسة

التي قال بها المعتزلة. ثم يتوقف المسعودي عند مبدأ التوحيد الذي التزم به المعتزلة ، مشيرا إلى الطابع المنهجي للعناصر الأخرى في نظرية الاعتزال . وبعد ذلك يحيل القارئ إلى مؤلفاته السابقة التي تتضمن معلومات عن المعتزلة ، وغيرهم من ممثلي اتجاهات الفكر الإسلامي. وأخيرا يسجل أن المعتزلة التزموا مبدأ اختيار الإمام (م ، 3 ، ص 234ـ 236).

وعند التعرض لأحداث تاريخية معينة يلاحظ المؤلف أن المعتزلة كانوا بين أنصار يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وبدعم منهم أطاح سلفه الوليد بن يزيد بن عبد الملك (م ، 3، ص 239).

وفي ختام نبذته عن المعتزلة في عهد الأمويين يخبرنا المسعودي أن «المعتزلة تفضل في الديانة يزيد بن الوليد على عمر بن عبد العزيز» .

ومن الواضح ، كما يقول أحمد شبول ، أن هذه النبذة هي أبكر عرض في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية لتعاليم المعتزلة (19) .

وبعد ذلك ، وعند عرضه تاريخ حكم هارون الرشيد ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثق ، الذين ساد في عهد كل منهم مذهب المعتزلة رسميا ، يتحدث المسعودي مرارا عن اضطهاد التقليديين الإسلاميين على أيدي هؤلاء الخلفاء. أما في بداية الفصل المكرس للمتوكل فيخبرنا عن عودة هذا الخليفة إلى السنة . « ولما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدال، والترك لما كان عليه الناس في أيام المعتصم والواثق والمأمون، وأمر الناس بالتسليم والتقليد، وأمر شيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة » (م ، 4 ، ص 86).

وفي القسم المخصص لتاريخ بني العباس ثمة معلومات أيضا عن علماء المعتزلة. وبصدد أحد أوائل المعتزلة عمرو بن عبيد (20) يروي المسعودي أولا قصة تغلبه في الجدال على عالم شيعي كبير هو هشام بن الحكم

الكوفي «شيخ الإمامية في وقته وكبير الصنعة في عصره»، ومن ثم يورد خبر وفاته (م ،3، ص 313ـ 314). ويوصف المسعودي أيضا مجادلة بين العالم الشيعي المذكور و محمد بن الهذيل العلاف «وكان معتزلي المذهب وشيخ البصريين »(21) (م ، 4 ، ص 349) . و شارك العلاف أيضا في مناظرة عن طبيعة العشق جرت في مجلس عند يحيى بن خالد البرمكي (م ، 3 ، ص 380)؛ وشارك في هذه المناظرة أيضا النظّام ابراهيم بن سيار المعتزلي « وكان من نظار البصريين في عصره» (22) (م ، 3 ، ص 381) . ويرد ذكر النظام مرة أخرى بمناسبة وفاة الكاتب العربي الإسلامي العظيم الجاحظ الذي كان «غلام ابراهيم بن سيار وعنه أخذ، ومنه تعلم» (م ،4، ص 169) .

و يحدثنا المسعودي عن الجدل بين المتكلم المعتزلي ثمامة بن أشرس ذي الحظوة عند هارون الرشيد، والفقيه السني يحيى بن أكثم الذي مر ذكره (م ،4، ص 8).

إن المجادلات المذكورة أعلاه (باستثناء الجدل عن طبيعة العشق حيث لم ينتصر أي رأي من الآراء) نرى أن المعتزلة يتغلبون دائما على مجادليهم . غير أن الفقيه المعتزلي البارز وجامع الحديث أحمد بن دُواد المقرب من المأمون والمعتصم (23) ينهزم في الجدل مع فقيه سني غير معروف عن مسألة أصل القرآن، وذلك حسب ما ورد في قصة يرويها الخليفة المهتدي (م ،4، ص 190).

وترد في «مروج الذهب ...» أخبار وفيات علماء معتزلة بارزين أمثال محمد بن عبد الله بن محمد الإسكافي «وكان من أهل النظر والبحث في علية أهل العدل»، وجعفر بن المبشر «وكان من كبار أهل العدلية وأهل الديانة البغداديين »(24)، وجعفر بن حرب (25)»وهو رجل من همدان ووجوه قحطان »(م ،4، ص 103).

كان المعتزلة إحدى المدارس الرئيسية، ولكن ليست الوحيدة، للاهوت

الإسلامي التأملي (علم الكلام) . يذكر المسعودي خبر وفاة العالم البارز في هذا الاتجاه الفكري الإسلامي وهو أحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندي (م، 4، ص 105- 106) .

كان زمن المسعودي «زمن تزايد كبير في شعبية نمط الحياة الصوفي والعقيدة الصوفية» (26)، ومع ذلك لا نجد في « مروج الذهب...» كثرة من الدلائل على هذه الظاهرة في الحياة العربية الإسلامية الثقافية والدينية ، ولكننا نتعرف على بعض المتصوفة النساك.

ترد عند المسعودي أخبار وفاة ثلاثة من هؤلاء هم المحدث والصوفي الفُضيل بن عياض(27) الذي «كان مولده بخراسان، وقدم الكوفة، وسمع من المنصور بن المعتمر ، ثم تعبد وانتقل إلى مكة فأقام فيها إلى أن مات» (م ، 3 ، ص 364) ؛ والصوفي الشهير بشر الحافي « وكان من بلاد مرو » (28) (م ، 4، ص 63)؛ وصاحب العديد من المؤلفات في الزهد الإسلامي والمحدث ومؤدب المكتفي بالله – عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي (م ، 4، ص 272).

ويورد المؤلف خبر وفاة المحدث والزاهد وسلف الصوفيين سفيان الثوري (29) (م ، 3 ، ص 332- 333).

ومن شخصيات المجالس أيضا : عبد الله بن عمرو بن عتبة الذي «دخل على المهدي يعزيه بالمنصور ، ويهنئه ببداية خلافته فقال : اقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية واحتسب عند الله أفضل الرزية» (م ، 3 ، ص 325) ؛ والزاهد الواعظ المحدث ابن السماك الذي « دخل على الرشيد يوما وبين يده حمامة تلتقط حبا فقال يصفها للرشيد: كأنما تنظر من ياقوتتين، وتلتقط من بدرتين، وتطأ على عقيقتين» (م ، 3، ص 359) ؛ والتقي المعروف العالم بالموروث الديني أبان القاري (30) الذي يتحدث الأديب والنحوي نفطويه عن لقائه هارون الرشيد (م ، 4 ، ص 289 – 290) .

ويخبرنا المسعودي في «مروج الذهب ...» عن مقتل الصوفي ابن مشاد عندما استولت على مدينة الدينور الإيرانية قوات مؤسس سلالة الزيارين – مرداويج بن زيار(31) (م ،4، ص 380 ـ381).

يُعَدُّ المسعودي مؤلفا شيعي الهوى ، إذ إن ما يورده عن التشيع في «مروج الذهب ..» واسع جدا. وهذه المواد تتطرق بالدرجة الأولى للشخصية الأساسية عند الشيعة علي بن ابي طالب، الذي يظهر أول ذكر له في النص المتعلق بحياة النبي محمد (انظر على سبيل المثال مختلف آراء العلماء العرب المسلمين عن إسلام علي (م، 2، ص 283)، وكذلك لمآثر الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل (انظر خاصة خبر مشاورة عمر بن الخطاب عليا بشأن الحرب (م ، 3 ، ص 317 – 318) . إن الفصل عن مآثر علي بن أبي طالب هو الأكبر (م ، 2 ، ص 358ـ 438).

ويخصص المسعودي فصلا صغيرا (من سبع صفحات) لحكم الحسن بن على بن أبي طالب الذي كان قصيرا واسميا (م ، 3، ص 10ـ4).

ويرى المؤلف أن أحد أكثر المشاهد تراجيدية في التاريخ العربي الإسلامي هو مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب عام 680 على أيدي جيش الخليفة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. يفرد المسعودي لهذا الحدث مكانا خاصا في فصل عن عهد هذا الحاكم الأموي (م ، 4 ، ص 64 ـ 72). وفي هذا الفصل أيضا فقرة تحت عنوان«ذكر أسماء ولد علي بن أبي طالب » (م ، 3 ، ص 73ـ 74) .

وفي القسم المخصص لحكم الأمويين يحدثنا المسعودي عن أول تمرد علوي بدأه في مسجد الكوفة حجر بن عدي عام 671 (32) (م ، 3 ، ص ـ12 13)، وعن انتفاضة المختار بن أبي عبيد الثقفي تحت غطاء الولاء لبني هاشم عام 685ـ687 (33) (م،3، 83 – 84، 100 – 108) ، وعن وفاة محمد بن الحنفية (34) – ابن علي بن أبي طالب (م ، 3، ص 123) . ويورد المسعودي

معلومات عن «الشيعة الكيسانية (35) القائلة بإمامة محمد بن الحنفية ، فمنهم من قطع بموته، ومنهم من زعم أنه حي في جبال رضوى». ويشير المؤلف إلى أنه تحدث بالتفصيل عن الكيسانيين في كتاب لم يصلنا هو « المقالات في أصول الديانات» (م، 3، ص 86-87) .

ويحدثنا المسعودي أيضا عن انتفاضة أكبر قام بها الشيعة، وذلك عام 740 في الكوفة بقيادة حفيد الحسين بن علي بن ابي طالب – زيد بن علي بن الحسين (36) (م،3 ص 217 - 218). وبعد ذلك يحيلنا المؤلف إلى أحد كتبه (لم يصلنا) الذي يعرض فيه المبادئ الأساسية لعقيدة الزيدية (م،3، ص 220-221) . ويلي ذلك خبر عن انتفاضة يحيى بن زيد بن علي بن الحسين الذي « ظهر بالجوزجان من بلاد خراسان منكرا للظلم وما عمَّ الناس من الجور » ، وقُتل في المعركة. وكان ذلك في عهد الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك (م، 3، ص 225).

وفي إطار الإضاءة على تاريخ العصر الأموي يورد المسعودي خبر وفاة إمام الشيعة الخامس محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (م ،3، ص 232).

وفي معرض حديثه عن ظروف سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية (م،3، ص 252- 265)، يذكر المسعودي «الراوندية (37)، وهم شيعة ولد العباس بن عبد المطلب، من أهل خراسان وغيرهم » .. « قالوا إن أحق الناس بالإمامة بعد الرسول عمه العباس ». ومنهم من قال أن ابن محمد بن الحنفية – عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب أوصى بالإمامة لولد العباس بن عبد المطلب (م،3، ص 252- 254).

تعود بداية النزاع بين الفرعين الهاشميين : بني العباس وبني علي – كما يصورها المسعودي – إلى القصة التي تقول إن أحد أبرز أصحاب العباسيين أبا سلمة حفص بن سليمان (38) كان ميالا نحو أحقية بني

علي بالسلطة العليا من بني العباس، وقد أرسل كتابا إلى اثنين من أبرز بني علي هما الإمام السادس جعفر الصادق (39) ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن النفس الزكية «يدعو كلا منهما الشخوص إليه ليصرف الدعوة إليه، ويجتهد في بيعة أهل خراسان له ». فأما جعفر الصادق فقد أحرق الكتاب ورفض الدعوة. وأما محمد النفس الزكية فابتهج بالكتاب فلامه الصادق على ما بدر منه (م،3، ص 268ـ 269).

وبعد ذلك يرد خبر كبير بني علي ـ عبد الله بن الحسن بن الحسن، والد محمد بن عبد الله بن الحسن النفس الزكية وابراهيم بن عبد الله (40) ، بأنه تنبأ لداود بن علي عم الخليفتين العباسيين الأول والثاني، السفاح والمنصور، بانتفاضة ولديه ضد حكم العباسيين (م ،3 ، ص 274).

والمرحلة التالية من الصراع بين بني العباس وبني علي تتمثل بخروج كل من الأخوين عام 762/63 : فمحمد بن عبد الله النفس الزكية ينظم تمردا في المدينة، أما ابراهيم بن عبد الله، وبعد مقتل أخيه، فينظم انتفاضة في البصرة. وبعد سحق هاتين الانتفاضتين «تفرق أخوة محمد وولده في البلدان يدعون إلى إمامته » . وبعد ذلك أمر الخليفة العباسي المنصور باعتقال البعض من ذرية علي بن أبي طالب وحبسهم في سرداب حت الأرض في الكوفة ، حيث ماتوا (م ،3، ص 306 – 311).

ويصف المسعودي استمرار بني هاشم في صراعهم ضد العباسيين ، فيتوقف عند انتفاضة فخ الفاشلة عام 786 التي قادها بالقرب من مكة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وشارك « فيها جماعة من بني هاشم منهم : سليمان بن أبي جعفر، ومحمد بن سليمان بن علي، وموسى بن عيسى، والعباس بن محمد بن علي، في أربعة آلاف فارس، فقتل الحسين ومن كان معه » (م ، 3، ص 337ـ336).

وفي القسم المخصص للعباسيين يرد مرارا ذكر انتفاضات العلويين

(م، 4، ص 26 ، 147،27ـ 148، 154ـ153، 177، 180 ـ181، 244، 307، 308، 372) التي سحقت كافة دون رحمة. ومنها «خروج ابن السرايا وابن طباطبا وقوم من العلويين بالعراق سنة تسع وتسعين ومائة، وظهور ابن الأفطس بالمدينة في أيام المأمون، وظهور بن يحيى الطالبي سنة ثمان وأربعين ومائتين بالكوفة حيث قتل وحمل رأسه إلى بغداد وصلب ، فضج الناس من ذلك؛ وظهور الحسين بن زيد العلوي في خلافة المعتمد وفي خلافة المستعين ببلاد طبرستان فغلب عليها وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وما زالت في يده حتى مات سنة سبعين ومائتين؛ وظهور محمد بن جعفر في السنة نفسها – سنة خمسين ومائتين- بالري داعيا للحسن بن زيد صاحب طبرستان .

اسر وحمل إلى نيسابور فمات في محبسه هناك. وظهر أحمد بن عيسى العلوي بعده بالري فانهزم حاكمها محمد بن طاهر، فدخلها العلوي . وفي هذه السنة أيضا ظهر الكركي بقزوين وهو الحسن بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن على بن أبي طالب ، فحاربه موسى بن بغا، وصار الكركي إلى الديلم، ثم وقع إلى الحسن بن زيد الحسيني فهلك قبله. وظهر بالكوفة الحسين بن محمد العلوي فهزمه ابن خاقان وذلك في سنة إحدى وخمسين ومائتين. وفي سنة خمس وخمسين ومائتين ظهر بالكوفة علي بن زيد وعيسى بن جعفر العلويان فهزمهما سعيد بن صالح المعروف بالحاجب. وظهر بصعيد مصر أحمد بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب، فقتله أحمد بن طولون. وظهر ابن الرضا في أعمال دمشق سنة ثلثمائة . وظهر ببلاد طبرستان والديلم الأطروش- وهو الحسن بن علي- وأخرج منها المسودة، وذلك في سنة إحدى وثلثمائة. وظهور محمد بن جعفر بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي الذي سار إلى مصر، فطُلب ، فدخل المغرب واتصل ببلاد تاهرت السفلى، واجتمع إليه خلق من الناس فظهر

فيهم بعدل وحسن استقامة، فمات هنالك مسموما» (م ، 3 ، ص 353).

ومن ناحية أخرى يأتي المسعودي على ذكر علويين أكثر حظا، إذ تسنى لبعض منهم إقامة دول لهم في أماكن ما من أطراف العالم العربي الإسلامي ، أو السيطرة لمدد طويلة على مناطق ما. ومنهم مؤسس الدولة العلوية في طبرستان الحسن بن زيد (م ، 4 ، ص 153، 154، 177، 183، 200، 245، 266، 270، 272، 321، 343، 375)؛ والحسن بن علي الأطروش (41) (م ، 4، ص 153، 308، 373، 384)؛ ومحمد بن يوسف بن ابراهيم الذي استولى على اليمامة والبحرين (م،4، ص 177، 180)؛ ومؤسس الإمامة الزيدية في اليمن يحيى بن الحسين الحسني الرسي ونزوله مدينة صعدة ، وقام بعده ولده الحسن بن يحيى (م ، 4، ص 266، 308).

كما ان حركة الزنج (868 – 883 ميلادية) التي سيطرت على مناطق واسعة من جنوب العراق (42) كانت حركة شيعية من حيث الإديولوجيا. ولقد أعلن زعيمها علي بن محمد (43) أنه العلوي علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي كان في ذاك الوقت مسجونا مع أبيه بأمر الخليفة المستعين. «وأكثر الناس يقول إنه دَعِيُّ آل أبي طالب... وظهر من فعله ما دل على تصديق ما رمي به من أنه كان يرى رأي الأزارقة من الخوارج».

وربما كان انتشار الإديولوجيا الشيعية ، كما يبين المسعودي، مقتصرا على على عدد قليل هم علية هذه الحركة (م، 4، ص 208). ويتضمن "مروج الذهب..." غير قليل من الأخبار عن ثورة الزنج (م ،4، ص 194ـ 195، 207، 208، 243).

ويذكر المسعودي أخبار قيام الحكم الفاطمي في شمال أفريقيا سنة 909)، وكذلك أخبار حركة القرامطة (44) التي كانت على صلة بهم (م،4، ص 103،265، 270، 280، 340، 408).

كان بعض العلويين ، ممن هم في حالة ضعف، وعجز عن الثورة في وجه العباسيين، يفرون منهم باللجوء إلى مناطق نائية في دولة الخلافة . ومن هؤلاء ، كما يقول المسعودي، محمد بن جعفر بن يحيى بن عبد الله بن الحسن الذي هرب في زمن الرشيد إلى مصر أولا، ومن ثم إلى المغرب (م ،3، ص 353)، ومحمد بن القاسم بن علي الذي كان يعيش في الكوفة زاهدا، وتخوف من اضطهاد الخليفة المعتصم آنذاك، فهرب إلى خراسان ، حيث اعتقل وأرسل إلى الخليفة فسجن ، ولكنه تمكن من الهرب مرة أخرى واختفى ."وفي سنة تسع عشرة ومائتين أخاف المعتصمُ محمدَ بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وكان بالكوفة من العبادة والزهد والورع في نهاية الوصف، فلما خاف على نفسه هرب فصار إلى خراسان ، فتنقل في مواضع كثيرة من كوَرها كمرو وسرخس والطالقان ونسا، فكانت له هناك حروب وكوائن، وانقاد إليه وإلى إمامته خلق كثير من الناس، ثم حمله عبد الله بن الطاهر إلى المعتصم ، فحبسه. .. وقد تنوزع في محمد بن القاسم، فمن قائل إنه قتل بالسم، ومنهم من يقول إن ناسا من شيعته من الطالقان .... أخرجوه من الحبس ، فذهبوا به ، فلم يعرف له خبر إلى هذه الغاية" (م ، 4، ص 52-53).

وفي زمن المعتضد اكتشفت في بغداد مؤامرة للعلويين تورط فيها من بين كثيرين محمد بن الحسن بن سهل الملقب بشميلة (له تصنيفات في أخبار المبيضة، وله كتاب مؤلف في أخبار علي بن محمد صاحب الزنج)، وحتى الأمير العباسي عبيد الله بن المهتدي . وقد قتل الأول وغيره من المتآمرين بأمر من الخليفة ، بينما خلي الثاني (م ،4، ص 243).

ومع ذلك كان من المحتمل أن تأخذ العلاقة بين العلويين وسلالة الخليفة شكلا أقل عداء كما يبين لنا المسعودي . ففي سنة 867، في عهد الخليفة المعتز جاءه القائد العسكري ورجل الدولة عيسى بن الشيخ الشيباني بمن كانوا هربوا إلى مصر، فأمر الخليفة بالعناية بأحفاد علي

بن أبي طالب . " وفي هذه السنة قدم إلى سامرا عيسى بن الشيخ الشيباني من مصر، ومعه مال كثير ، وستة وسبعون رجلا من سائر ولد أبي طالب من ولد علي وجعفر وعقيل كانوا قد خرجوا من الحجاز خوف الفتنة والجهد النازل بالحجاز إلى مصر ، فحملوا منها ، فأمر المعتز بتكفيلهم والتخلية عنهم ؛ لما وقف عليه من أمرهم " (م ،4، ص 177) .

وفي عهد المأمون الذي سعى للتقرب من الشيعة المعتدلين ، كان أحد العلويين وهو عبيد الله بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب واليا على المدينة ومكة وعكا ومسؤولا عن الحج سنة 820 ـ 822 (م،4، ص 404).

ويقول المسعودي إن بعض العلويين كانوا من العلماء في الفقه والحديث، ومنهم موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، وهو أخو محمد وابراهيم اللذين قادا انتفاضة ضد العباسيين (م،3، ص 351)؛ وكذلك أحد أبناء الإمام الشيعي جعفر الصادق – محمد بن جعفر (م،3، ص 297؛ م،4، 26)؛ وأبو هاشم الجعفري ـ وهو "داود بن القاسم بن اسحاق بن ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وبينه وبين جعفر الطيار ثلاثة آباء... وكان ذا زهد وورع ونسك وعلم ، صحيح العقل سليم الحواس، منتصب القامة، وقبره مشهور" (م ،4، ص 148)؛ وموسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن علي بن أبي طالب (م، 4 ، ص 180ـ 181).

ويمكننا العثور في "مروج الذهب ..." على ذكر فقهاء شيعة لا ينتمون إلى سلالة العلويين، ففي الجدل الشهير الذي دار في مجلس يحيى بن خالد البرمكي حول طبيعة العشق شارك هشام بن الحكم الكوفي " شيخ الإمامية في وقته وكبير الصنعة في عصره "(45) (م،3، ص 380) . وفي سياق الحديث عن الشاعر الكبير ابن الرومي يرد ذكر أحد قادة الشيعة الإمامية العالم الديني الكبير أبي سهل اسماعيل بن علي النوبختي (46) (م،4، ص 284) .

وإضافة إلى ذلك يبرز المسعودي تعاطف الأمير والشاعر المعروف أبي دلف مع الشيعة (م، 4، ص 62) (47).

وفي القسم المخصص للعباسيين ترد معلومات عن أئمة الشيعة الإثني عشرية ، وذلك في أخبار مختلفة الأجناس .

يورد المسعودي أخبار وفاة الإمام الرابع علي زين العابدين السجاد (48) (م،3، ص 297) ؛ والإمام الخامس محمد الباقر؛ والسابع موسى الكاظم (49) (م ،3، ص 365)؛ والثامن علي الرضا (50) (م ،4، ص 5)؛ والتاسع محمد التقي(الجواد) (51) (م،4، ص 52) ؛ والعاشر علي النقي الهادي العسكري (52) (م،4، ص 169)؛ والحادي عشر الحسن العسكري الزكي (م،4، ص 199).

وترد في جنس الأخبار التاريخية معلومات عن اثنين من الأئمة هما: موسى الكاظم بن جعفر (م ،4، ص 52 ـ 53)، الذي "كان موضع تبجيل عند فرقة الممطورة، أو الواقفية ، وهي طائفة تتألف من أتباعه الذين لم يصدقوا موته ، وظلوا ينتظرون عودته . ونشير إلى أن حفيده الإمام التاسع محمد التقي مدفون معه" (53). والآخر هو الإمام الثامن علي الرضا (م ،4، ص 27 ـ 28) الذي أرسل المأمون في طلبه. "وصل إلى المأمون علي بن موسى الرضا، وهو بمدينة مرو، فأنزله أحسن إنزال ، وأمر المأمون بجميع خواص الأولياء ، وأخبرهم أنه نظر في ولد العباس ، وولد علي رضي الله عنهم ، فلم يجد في وقته أحدا أفضل ولا أحق بالأمر من علي بن موسى الرضا ، فبايع له بولاية العهد، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم ، وزوج محمد بن علي بن موسى الرضا بابنته أم الفضل ، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام ، وأظهر بدلا من ذلك الخضرة في اللباس والأعلام وغير ذلك، ونمى ذلك إلى من بالعراق من ولد العباس، فأعظموه إذ علموا أن في ذلك خروجا بالأمر عنهم ، وحج بالناس ابراهيم بن موسى بن جعفر أخو الرضا بأمر من المأمون،

واجتمع بمدينة السلام من ولد العباس ومواليهم وشيعتهم على خلع المأمون ومبايعة ابراهيم بن المهدي المعروف بابن شنكلة، فبويع له".

كما أن الإمامين الشيعيين السابع والعاشر من شخصيات القصص والأحاديث ، فالإمام السابع موسى الكاظم كان محبوسا عند هارون الرشيد الذي يرى في منامه كأن حبشيا قد أتاه ومعه حربة وقال له أن يخلي عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحره بالحربة ... فأمر الرشيد بإطلاق موسى وإعطائه ثلاثين ألف درهم . وفي الوقت نفسه كان موسى قد رأى النبي في منامه فأسر له بكلمات ما أن قالها حتى أخلي سبيله، وهي هذا الدعاء "يا سامع كل صوت، ويا سابق الفَوت ، ويا كاسي العظام لحما ومنشرها بعد الموت، أسألك باسمائك الحسنى وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ، يا حليما ذا أناة لا يُقوى على أناته ، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا، ولا يُحصى عددا، فرج عني". (م ،3، ص 357) . والإمام العاشر علي بن محمد بن علي بن موسى النقي الهادي العسكري سأله المتوكل مرة ما يقول ولد أبيه في العباس بن عبد المطلب، فقال : "وما يقول ولد أبي في رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقه وافترض طاعته على بنيه؟" فأمر له الخليفة بمائة ألف درهم . وفيما بعد افتري عليه أمام الخليفة الذي قيل له أن في منزل علي بن محمد سلاحا وكتبا وغيرها من شيعته ، فوجه إليه ليلا الأتراك وغيرهم ممن هجم عليه في منزله على غفلة ممن في داره، فوجدوه متوجها إلى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد . فحملوه إلى المتوكل، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جانبه ، وأمر برده إلى داره مكرما (م ،4، ص 93) .

ويورد المسعودي أن الإمام التاسع محمد بن علي بن موسى التقي كتب إلى الخليفة الواثق يقول "يا أمير المؤمنين ! ليس من أحد وإن ساعدته المقادير بمستخلص غضارة عيش إلا من خلال مكروه، ومَن ترك معاجلة

الدرك انتظار مؤاجلة الأشياء سلبته الأيام فرصته ، فإن شرط الزمان الآفات ، وحكم الدهر السلب" (م ، 4، ص 77).

لا يتضمن " مروج الذهب .." معلومات عن الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن الحجة الذي اختفى حسب الموروث الشيعي بعد وفاة والده ، ولا يزال الشيعة الإمامية حتى أيامنا هذه يتوقعون ظهوره على أنه المهدي المنتظر(54) . يبدو لنا أن الاعتقاد بقصة الإمام الثاني عشر لم يكن قد ترسخ بعد في زمن المسعودي الذي على الرغم من تعاطفه مع الشيعة يحاول أن ينأى بنفسه عن كافة التيارات الإسلامية ، وبالتالي لم ير ضرورة إيراد معلومات -ربما كانت بحوزته- عن هذا الإمام .

يولي المسعودي قدرا من الاهتمام بالإمامين الشيعيين السابع موسى الكاظم والعاشر علي الهادي يفوق ما يوليه لغيرهما من الأئمة . فالإمام الهادي يحظى بأكبر عدد من الأخبار (الأحاديث والقصص) يبدو فيها شجاعا وتقيا.

وفي سياق عرضه تاريخ الدولة العباسية يذكر المسعودي مرارا وفي مناسبات مختلفة شخصيات شيعية من المرحلة المبكرة. وهذا يعني بطبيعة الحال ذكر علي بن أبي طالب (م،3، ص 268، 311، 337، 350)؛ والحسن بن علي (م،3، ص 271، 111، 311 والجزء 4، ص 103، 135، 151، 171، 208)؛ ومحمد بن الحنفية (م،4، ص 53)؛ وابنه عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب الذي أوصى قبيل وفاته- حسب بعض المصادر المشكوك فيها- لصالح العباسيين (م ،4، ص 180)؛ وزيد بن علي بن الحسين (م ،3، ص 271، 312)؛ وأحد أبناء علي بن أبي طالب وهو العباس الذي قتل في عام 680 مع الحسين (م، 4، ص 35).

والأكثر إثارة للاهتمام من بين هذه المعلومات خبر ما أمر به المتوكل لمنع زيارة قبري علي بن أبي طالب والحسين بن علي ، وتهديم قبر الأخير "ومحو

أرضه وإزالة أثره ، وأن يعاقب من وجد به"(م ،4، ص 135) وذلك مرتبط بنهج هذا الخليفة المعادي للشيعة. ولكن الخليفة المنتصر "أمَّن الناس، وتقدم بالكف عن آل أبي طالب، وترك البحث عن أخبارهم ، وألا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين، ولا قبر غيره من آل أبي طالب ... وأطلق أوقاف آل أبي طالب، وترك التعرض لشيعتهم ودفع الأذى عنهم ".

كان تيار الخوارج أحد الاتجاهات الإسلامية التي لعبت دورا هاما في الحياة الاجتماعية – السياسية والسيوسيو ـ ثقافية للخلافة . والخوارج واحدة من أقدم الفرق الإسلامية ، وضع أسسها في البداية أنصار علي بن أبي طالب الذين رفضوا التحكيم (بينه وبين معاوية) عام 657 . وكانوا يقولون بضرورة انتخاب الخليفة، وشنوا حروبا عديدة ضد الأمويين والعباسيين (55). وغالبا جدا ما يرد ذكرهم في "مروج الذهب ..".

يخصص المسعودي حيزا مهما لظهور الخوارج وحروب علي بن ابي طالب ضدهم، وذلك في الفصل المكرس لمآثر الخليفة الراشدي الرابع (م،2، ص 415 – 422). وفي الفصل المخصص لحكم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان يذكر المؤلفُ نافعَ بن الأزرق الذي تنسب إليه الإزارقة من الخوارج. ويذكر "الأباضية وهم شُراة عمان من الأزد وغيرهم من الأزارقة والنجدات والحمزية والجابية والصفرية وغيرهم من فرق الخوارج" (م ،3، ص 107ـ 108).

ويرد ذكر الخوارج أيضا بضع مرات ضمن المواد المتعلقة بالوالي الأموي على العراق الحجاج بن يوسف، وذلك في الفصل عن عبد الملك. و يخبرنا المؤلف على وجه الخصوص عن مختلف فرق هذه الحركة الدينية السياسية، ويعرض جوهر المذهب الخارجي ، ويحيلنا إلى مؤلفات له (لم تصلنا كماهو معروف)، يتحدث فيها عن هذه المواضيع بالتفصيل ، و"إكفارهم عثمان وعليا، الخروج على الإمام الجائر، وتكفير مرتكب

الكبائر. ثم اختلفوا في مواضع عن التوحيد، والوعد والوعيد، والإمامة، وغير ذلك .." (م ،3، ص 145ـ 146). وفي الفصل عن عمر بن عبد العزيز يورد المسعودي أسماء عدد من علماء الخوارج ، مثل اليمان بن رباب ، وعبد الله بن الأباضي، وأبي مالك الحضرمي، وقعنب ، وغيرهم (م،3، ص 204).

وكان من بين المشاركين في الجدل الشهير(الذي سبق ذكره مرارا) حول طبيعة العشق العالمُ الخارجي أبو مالك الحضرمي (م، 3، ص 380) الذي تفيد بعض المصادر الأخرى أنه كان شيعيا . يقول في العشق إنه"نفث السحر، وهو أخفى وأحر من الجمر، ولا يكون إلا بازدواج الطبعين ، وامتزاج الشكلين، وله نفوذ في القلب كنفوذ صيِّب المزن في خلل الرمل، وهو ملك على الخصال تنقاد له العقول، وتستكين له الآراء". أما ما يرد ذكره في مواضع أخرى عن الخوارج فيتعلق بمجابهاتهم مع قوات الخليفة في أطراف الدولة العربية الإسلامية (م، 4، ص 36، 53، 177، 137، 185، 194، 200، 7ـ2، 237).

كانت الخرمية أحد مظاهر الجمع بين العقيدة الإسلامية والديانات التقليدية للشعوب الإيرانية التي فتح بلادها العرب المسلمون .

وهي تيار ديني سياسي أنصاره من معارضي مذهب الدولة العباسية السني، وقادوا مرارا في القرنين الثامن والتاسع حركات شعبية في إيران وأذربيجان وآسيا الوسطى . واعتقد الخرميون بأفكار ثنوية في ما يتعلق بالصراع الكوني بين النور والظلام ، وآمنوا بالحلولية ، ورأوا أن الروح الإلهية تتجسد في الأنبياء وغيرهم من الأشخاص الكبار. وكان لتقديس أحد قادة الحركة الهادفة لإقامة سلطة بني العباس أبي مسلم وابنته فاطمة دور كبير في الميثولوجيا الخرمية . ومن الجوانب المهمة في تعاليم الخرمية مبادئ المساواة الاجتماعية التي كانت وراء اجتذاب هذا التيار عددا كبيرا من الأتباع (56).

يرد ذكر الخرمية في كتاب المسعودي أول مرة في الفصل عن قيام الدولة العباسية ودور أبي مسلم (م،3، ص 258). وفي معرض رواية مقتل أبي مسلم بأمر الخليفة المنصور يقول المؤلف إن الخرميين إذ علموا بموت أبي مسلم ، انتفضوا وثارت ثائرتهم . وبعد ذلك يعرض المسعودي جوهر مذهب الخرمية ويشير إلى عدد من تفرعات هذه الحركة الدينية - السياسية، ثم يتحدث عن ظروف قمع انتقاضتها (م،3، ص 305 – 306).

وترد معلومات أخرى عن الخرمية في سياق الحديث عن انتفاضة بابك الخرمي (57) . "وفي سنة أربع ومائتين كان القحط العظيم ببلاد المشرق والوباء بخراسان وغيرها، وفيها كان خروج بابك الخرمي ببلاد البدين من أصحاب جاويذان بن شهرك"، "واشتد أمر بابك الخرمي ببلاد الران والبيلقان، وسار عساكره نحو تلك الأمصار، ففرق الجيوش ، وهزم العساكر وقتل الولاة، وأفنى الناس، فسير إليه المعتصم الجيوش وعليها الأفشين، وكثرت حروبه واتصلت، وضاق بابك في بلاده حتى انفض جمعه، وقتل رجاله، وامتنع بالجبل المعروف بالبدين من أرض الران، وهي بلاد بابك، فلما استشعر بابك ما نزل به واشرف عليه هرب من موضعه، وزال عن مكانه..." (م ،4، ص 29، 55ـ 59، 61) .

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن المسعودي يتطرق عدة مرات عرضا إلى الزرادشتية (م،4، ص 146، 214، 308).

وإذا كانت الخرمية ظاهرة من ظواهر التوليف بين العقائد الإسلامية من جهة والعقائد التقليدية للشعوب الإيرانية على مستوى الوعي الجماهيري من جهة ثانية، فقد دُعي أتباع هذا التيار في أوساط النخبة الثقافية بالزنادقة ، أي أتباع العقائد الثنوية . وقد تعرضوا للملاحقة من طرف الدولة العربية الإسلامية (58) .

ويذكر المسعودي بعضا منهم دون التوقف عند مذهبهم. ومنهم علي بن

يقطين الذي كان من أنصار الإمام الشيعي السابع موسى الكاظم، وفي الوقت نفسه خدم الخليفتين العباسيين المهدي والهادي الأمر الذي يسعفه في تفادي الإعدام عام 785/86 بتهمة الزندقة . وفي "مروج الذهب .." نجد ابن يقطين يلعب دور راوي الأخبار (م،3، ص 332).

كما يرد ذكر اثنين من الزنادقة المعروفين بكونهما من أبرز الشخصيات الثقافية في زمن الخليفة المهدي، وهما ابن أبي العرجاء، ويحيى بن زياد . " وما صنفه في ذلك ابن أبي العرجاء، وحماد بن عجرد، ويحيى بن زياد، ومطيع بن إياس: من تأييد المذاهب المانية، والديصانية، والمرقيونية، فكثر بذلك الزنادقة، وظهرت آراؤهم في الناس"(59) (م ،4، ص 315ـ 316).

كانت المانية (المانوية) ـ حسب علماء الدين المسلمين- أحد تفرعات الزندقة . وهذا المذهب ومؤسسه يرد ذكرهما مرتين في فصل من"مروج الذهب ..." مخصص لتاريخ العباسيين. المرة الأولى في قصة عن طفيلي وعشرة من الزنادقة ممن يذهب إلى قول ماني (60)، ويقول بالظلمة والنور، وكانوا مساقين إلى محكمة المأمون (م ، 4، ص 10ـ9)؛ والمرة الثانية في مقطع من فصل عن الخليفة القاهر حيث يدور الحديث عن تطور الثقافة العربية الإسلامية في عهد العباسيين ، فيرد ذكر ترجمة مؤلفات ماني في عهد الخليفة المهدي (م،4، ص 315).

وفي هذا المقطع أيضا يرد ذكر ترجمة كتب الغنوصيين المتأخرين من العصر القديم ، ومنهم السرياني ابن ديصان والتاجر الماليزي مرقيون (المرقيونية) الذي أنشأ طائفة غنوصية منتشرة على نطاق واسع في كل أرجاء الامبراطورية الرومانية (61) .

يبدو حضور التراث القديم (اليوناني القديم) التقليدي في "مروج الذهب ..." على النحو التالي :

سقراط. يورد رأيا له أحد المشاركين في نقاش دار في مجلس الخليفة الواثق حول طبيعة القضايا الفلسفية (م،4، ص 83).

ويورد المؤلف رأي افلاطون في الجدل حول طبيعة العشق: "ما أدرى ما الهوى ، غير أنه جنون إلهي، والهوى لا محمود ولامذموم" (م،3 ، ص 383)، وحول طبيعة الرؤى بصدد ما انتاب الخليفة المعتضد من هلوسات (م،4، ص 261).

ويرد اسم أرسطوطاليس عند الحديث عن ترجمة مؤلفاته في عهد الخليفة المنصور. "وترجمت له كتب أرسطاطاليس من المنطقيات وغيرها، وترجم له كتاب "المجسطي" لبطليموس، وكتاب "الارتماطيقى"، وكتاب لإقليدس وسائر الكتب القديمة ..."" (م،4، ص 314).

ويـرد اقتبـاس من ديـوجانيس عند الجـدل حـول طبيعة القضايا الفلسفية (م ،4 ، ص 83) .

واقليديس يرد ذكر ترجمة مؤلفاته في عهد المنصور (م، 4، ص 314).

أبقراط . يرد ذكره في مجلس الواثق وحديثه عن الطب وواجبات الطبيب (م،4 ، ص 80).

جالينوس. يورد رأيه عن العشق (م،3 ، ص 383): "المحبة تقع بين العاقلين لتشاكلهما في العقل ، ولا تقع بين الأحمقين وإن كانا في شملين من الحمق، لأن العقل يجري على ترتيب، فيجوز أن يتفق فيه اثنان على طريق واحدة ، والحمق لا يجري على ترتيب، ولا يجوز أن يتفق فيه اثنان" ، وكذلك عن وظائف الطب (م، 4، 80) .

بطليموس. يرد ذكر ترجمة مؤلفه "المجسطي" (62) في عهد المنصور (م،4، ص 314).

وهكذا نرى أن ذكر المفكرين القدماء (الإغريق) يرد في"مروج الذهب ..." بصدد أمرين : إما للإشارة إلى ترجمة مؤلفاتهم ، أو كمرجع لرأي سديد . وربما كان تأويل التراث القديم على هذا النحو بالذات من السمات المميزة للثقافة العربية الإسلامية .

ومن الفلاسفة العرب المسلمين الذين يرد ذكرهم في القسم المخصص للعباسيين نجد يعقوب بن اسحاق الكندي(63) الذي حكى عما عرف به المعتصم من حسن السيرة واستقامة الطريقة في لمع أوردها في رسالته المترجمة بسير الفضائل. كما اهتم الكندي بصنعة أهل الكيمياء من الذهب والفضة وأنواع الجوهر وحيلهم وخدعهم فصنف رسالة يبطل فيها ما ادعوه (م، 4 ، ص 64، 258). وكذلك زكريا الرازي (64) الذي يرد ذكره في إطار الأخبار عن الكيمياء ، فيرى أن ما ذهب إليه الكندي فاسد (م ،4، ص 285).

كانت الفلسفة العربية الإسلامية على صلة وثيقة بالطب الذي كان يعد مجالا هاما من الناحية الحضارية والسوسيو-ثقافية . وكان النسطوري حنين بن اسحاق (65) شخصية بارزة في ميدان الفلسفة والطب ، ومترجما عظيما من اللغة الإغريقية. ويرد ذكره في "مروج الذهب ..." كواحد من المشاركين في الجدل حول مسائل الطب وذلك في مجلس الخليفة الواثق ، وكذلك في الحوار مع الواثق نفسه حول "المسائل الطبيعية" ، والأشياء المغيرة للهواء وهي "أوقات السنة، وطلوع الكواكب وغروبها، والرياح، والبلدان، والبحار" (م،4، ص 78، 81- 83).

ويشارك في الجدل حول الطب أطباء بارزون في ذاك العصر منهم ابن بختيشوع (66)، وسلمويه(67) ، وابن ماسويه (78) (يحيا ، يوحنا) وأحد أقربائه – ربما أخوه ميخائيل. واثنان منهما هما ابن بختيشوع وابن ماسويه يرد ذكرهما في أخبار نثرية أدبية عن وفاة المأمون (م،4، ص 44 - 48).

وبالإضافة إلى ذلك نجد ابن بختيشوع في قصة حيث يمنع على الخليفة الرشيد أكل سمكة "منعوتة بالسمن" قدمها له العبادي وكان صاحب الحيرة، فحاول الرشيد أكل شيء منها، فمنعه جبريل بن بختيشوع ، وأشار إلى صاحب المائدة أن يشيلها عن المائدة"، وذلك لعلمه بضررها على صحة الخليفة (م ،3، ص 355ـ 356). ويرد ذكره أيضا في خبر لص ظريف "يعرف بالعقاب، ويكنى بأبي الباز، وله أخبار عجيبة وحيل لطيفة وهو الذي احتال للمتوكل ، حين بايعه بختيشوع الطبيب أنه إن سرق من داره شيئا يعرفه في ثلاث ليال ...." فسرقه نفسه ووضعه في صندوق وأتى به إلى المتوكل (م ،4، ص 257).

ومن بين أهل العلم الذين نصادفهم عند المسعودي المنجم في بلاط المنصور - نوبخت المجوسي (69) ، الذي يرد ذكره أيضا في حديث مع الخليفة القاهر كأحد رجالات الثقافة البارزين في عهد الخليفة العباسي الثاني (م ،4، ص 314) .

وترد في المؤلف نبذة موجزة عن الكيمياء (70) التي كانت تشكل اتجاها آخر للتعاليم الغيبية التي لعبت دورا هاما في الثقافة العربية الإسلامية . " ولطلاب صنعة الكيمياء من الذهب والفضة وأنواع الجوهر من اللؤلؤ وغيره وصنعة أنواع الإكسيرات من الإكسير المعروف بالفرار وغيره وإقامة الزئبق وصنعته فضة وغير ذلك من خدعهم وحيلهم في القرع والمغناطيس والتقطير والتكليس والبوادق والحطب والفحم والمنافخ أخبارٌ عجيبة وحيل قد أتينا على ذكرها ووجوه الخدع فيها وكيفية الاحتيال بها..." (م ،4 ، ص 257ـ 258). وبالإضافة إلى الكندي والرازي اللذين مر ذكرهما أعلاه، يشير المسعودي إلى من يصفهم بالكيميائيين : ملكة مصر كليوباطرة، وامرأة تدعى مارية، والأمير الأموي أحد أبرز متعلمي عصره خالد بن يزيد بن معاوية، علما بأن مصادر أخرى تقول إنه لم يمارس الكيمياء (71) أبدا (م ،4، ص 257 ـ258).

يتضح من عرضنا أعلاه أن الإشكالية الدينية - الفلسفية تطرح في "مروج الذهب ومعادن الجوهر" أساسا كذكر لهذه أو تلك من شخصيات الكتاب.

إن توزيع المادة من حيث الكم يبين أن حصة الأسد من اهتمام المسعودي هي للاتجاهين السني والشيعي في الإسلام، الأمر الذي يتناسب ووزنهما النوعي في الثقافة العربية الإسلامية في ذاك الزمن.

هوامش الفصل الثالث

1- يورد المسعودي في "مروج الذهب .." تاريخا آخر لوفاة الأصبهاني، فيرى أنه في العام 887/888

2_ Al_Zahiriya._ Shorter El,p. 649_650 و بروزوروف س. الظاهرية، ص 76_77 /بالروسية/

3_ Shboul Ahmad M.H. Al_Mas'udi …, p. 35

4_ Pellat. Index, p. 566

5_ Heffening. Al_shafi'I, S 271_273

6_ Pellat. Index, p. 84

7_ Ibn Challikani, № 232

8_ بوغولوبوف أ. الشافعي، ص 259 / بالروسية/

9_ Shaboul Ahmad M. N. Al_Mas'udi…p. 36

10_ Ibn Challikani, № 863

11_ Schacht J. Malik b. Anas, S 223_227

12 ـ الخطيب البغدادي، الجزء الثامن، ص 216 ـ 218 /بالروسية/

13_ Schacht J. Abu Yusuf, p. 164 _165

14_ Soberheim M. Khumarawaih, S. 1045 – 1046

15_ Becker C. H. Ikhshididen, S. 488

16_ Shboul Ahmed M. N. Al_Mas'udi … p. 36 – 39

17ـ توفيق كامل ابراهيم، سغدييف أ. الحسن البصري، ص 276_275 /بالروسية/.

18_ Wensinck A.J. Wasil b. 'Ata',s.1220_1221

19_ Shboul Ahmed M. N. Al_Masudi…, p.

20_ Montgomery Watt. ;Amr b.'Ubayd, p. 454

21_ Nyberg H. S. Abu'l_Hudhayl al_'Allaf, p. 127 _128

22_ Nyberg H. S. Al_Nazzam, S. 963 _964

23_ Zettersteen K.V., Pellat Ch.Ahmed b. Abi Du'ad, p.

24_ Nader A.N. and Schacht J. Dja'far b. Mubashshir, p. 373

25_ Nader A. N. Dja'far b. Harb, p.373

26_ كنيش أ. التصوف، ص 228 /بالروسية/

27_ Smith M. Al_Fudayl b. 'Iyad, p.

28_ Meier F. Bishr al_Hafi, p. 1244 – 1246
29_ Plessner M. Sufyan al_Thwri, S. 540 _543
30_ الجاحظ ، الجزء الثالث، ص 361 / بالروسية/
31_ Nazim M. Mardawidj, S. 296 – 297
32_ بروزوروف س. م. المقدمة، ص 23 – 24
33_ بولشاكوف أو. غ. تاريخ الهلافة. الجزء الثالث، ص 247 – 255
34_ Buhl Fr. Muhammad b. Al_Hanafya,S. 722 – 723
35_ Kaisaniya. – Shorter EI, p. 208 – 209
36_ Al_Zaidiya. – Shorter EI, p. 651
37_ الحسن بن موسى التوبختي. فرق الشيعة، ص 212 – 213
38_ Moscati S. Abu Salama, p. 149
39_ Dja'far b. Muhammad. – Shorter EI, p. 80
40_ Zettersteen K. V. p.45; Pellat. Index, p. 82
41_ Strothmann R. Al_Uterush, S. 1147 _1149
42_ فون غريونيباوم غ. ي. الإسلام الكلاسيكي... ص 100 /بالروسية/
43_ Lewis B. 'ali b. Muhammad al_ Zandji, p. 388 – 389
44_ Karmatians. – Shorter EI, p. 218 – 222
45_ Hisham b. al_ Hakam, s. 338
46_ Massignon L. Nawbakhti, S.958
47_ Marin F. Dulafids, p. 620
48_ Ibn Coteiba, S. 110
49_ Strothmann R. Mussa al_Kazim, S. 800 – 801
50_ Jewis B. 'Ali al_Rida, p. 399 – 400
51_ Steothmann R. Muhammad b. 'Ali al_Rida, S. 721 – 722
52_ Pellat. Index, p. 518
53_ الحسن بن موسى النوبختي . فرق الشيعة. ص 221 / بالروسية/
54_ بروزوروف س. الإثنا عشرية، ص 114
55_ Levi Della Vida G. Kharodjiten, S. 970 – 974
56_ بيتروشيفسكي إ. ب. تاريخ المزدكية...، ص 71 – 81؛ /بالروسية/
و كوليسنيكوف أ. الخرمية ـ ص 283 ـ 284 ؛ /بالروسية/
و Moscati S. Abu Muslim, p. 141
57_ Sourdel D. Babek, p. 844

58ـ بروزوروف س. الزنج ، ص 78؛
و Zindik. – Shorter EI, p. 659 – 660
59ـ Vajda G. Ibn Abi'l_Awdja', p. 682;
Pellat. Index, p. 765
60ـ كاتس أ.، ب. مان ـ الموسوعة التاريخية السوفيتية. الجزء 9 ـ موسكو 1966، ص 26
61ـ Huart Cl. Ibn Daisan, S. 393;
ماركيونز – قاموس التاريخ القديم. موسكو، 1989، ص 332
62ـ كراتشكوفسكي إ. يو. الأدب الجغرافي العربي ، ص 76
63ـ De Boer Tj. Al_Kindi, S. 1095 – 1096
64ـ Kraus P. und Pines S. Al_Razi, S. 1221 _1227
65ـ Ruska J. Hunain b. Ishak, S. 357
66ـ Sourdel D. Bukhtishu, p. 1298
67ـ ابن النديم. الفهرست، ص 412ـ413
68ـ Ibn Masawih, S. 428
69ـ Massignon L. Nawbakht, S. 958
70ـ Ullmann M. Al_Kimiya, p. 110 – 114
71ـ Ibn Coteiba, S. 179; Pellat. Index, p. 299 – 300



الفصل الرابع

الأدب العربي في مؤلفات المسعودي

يحتل الأدب الحيز الأكبر في "مروج الذهب ..."، وهذا أمر مفهوم لأن المسعودي، الأديب الكبير في زمنه ، لم يكن بوسعه أن يمر مرور الكرام أمام هذا المجال الهام من مجالات حياة العرب المسلمين الثقافية.

لا نجد في مؤلفات المستعربين إلا النزر اليسير المخصص لجوانب إبداع المسعودي المتعددة، وخاصة اهتماماته الأدبية، وكذلك للحيز الذي تشغله المادة الأدبية في "مروج الذهب...". إن الوحيد من بين المستعربين، الذي يولي اهتماما معينا لهذا الموضوع هو أحمد شبول الذي سبق أن رجعنا إليه مرارا، ففي كتابه المكرس للمسعودي يقول إن صاحب "مروج الذهب ..." كان كما يبدو على معرفة بمعظم أدباء عصره من النسَّابة والنحويين والشعراء". ويشير شبول إلى أن المسعودي يورد في مقدمة "مروج الذهب .." قائمة من 85 مؤلفا انتقاهم بنفسه. كما لا تفوته الإشادة بأعمال عدد من المؤرخين ومصنفي المجاميع / الرسائل / الأدبية ، والجغرافيين أمثال الطبري، والبلاذري ، والدينوري، وابن قتيبة، والجاحظ، والمدائني، وبن خردذبة، وقدامة بن جعفر. وتجلت اهتمامات المسعودي الأدبية أيضا في تضمينه "مروج الذهب ..." العديد جدا من

الطرائف الأدبية، والالتفاتات التي تتصف بطابع نحوي ونقدي أدبي (1).

إن المقاطع التي اقتبسناها من شبول لا تعكس كل ملاءة المادة المتعلقة بمشاكل الأدب العربي الإسلامي التي يتناولها المسعودي في كتابه، ولذلك اعتمدنا عند إبرازنا اهتمامات المسعودي الأدبية، على بحوثنا ومتابعاتنا الخاصة وما توصلنا إليه نتيجة عملنا على النص.

ذكرنا في نهاية الفصل السابق أن المسعودي ينظر إلى المشكلات الدينية – الفلسفية عبر موشور القص عن أشخاص معينين، الأمر الذي ينطبق أيضا على مجال آخر من مجالات الثقافة العربية، ألا وهو الأدب.

وبغية تسهيل مادة هذا الفصل، سواء لجهة عرضها من قبلنا أو لجهة تلقيها من طرف القارئ، عمدنا إلى تقسيم شخوص الكتاب ممن لهم علاقة بالأدب بشكل أو بآخر، إلى مجموعات ندرسها وفق ترتيب معين.

وثمة بعض الشخصيات التي ندرسها في السياقات التي وضعناها.

نعدد في ما يلي هذه السياقات (مطروحة وفق ترتيب عشوائي) ، أي أننا نبين في أية صفة، أو في أية حالة، تَمْثُل هذه الشخصية أو تلك من الشخصيات المذكورة في "مروج الذهب ...":

- مصدر الخبر.
- شخصية القص.
- نموذج من إبداع الشاعر.
- صاحب مؤلَف ورد ذكره.
- المكانة الثقافية للشخص المعني.
- اسم المتوفى (المعني بالرثاء أو النعي).
- الشخص المقصود بالأبيات الشعرية.
- مؤلف أبيات رثاء.

- مؤلف أبيات مقتبسة في النص.
- مؤلف أبيات في الشأن العام.
- صاحب قول مأثور.
- مؤلف التفاتة تاريخية.
- مؤلف أبيات عن الدنيا الفانية.

الأخباريون ـ حملة المعارف التاريخية

إن الأقدم من بين ممثلي هذه المجموعة الفرعية هو مطر بن دراج الذي عاصر معاوية بن أبي سفيان (م،4، ص 348ـ347). ويليه زمنيا جليس الحجاج بن يوسف الذي هرب منه فيما بعد – سميرة بن الجعد (م ،3، ص 143ـ 144، 145) (لم نتمكن من التثبت من هويته عبر مراجع أخرى).

وعدا ذلك يرد ذكر معاصري خلفاء بني العباس الأوائل : الشهير عيسى بن دأب (م،3، ص 58، 282، 302، 329، 335، 338ـ 341) ؛ وابن عياش المنتوف (م،3، ص 299ـ 300 ،329). ولهذا الزمن ينتسب الشرقي بن القطامي (م،3، ص 329)، والطوسي (م ،3، ص 199ـ 200) وعبد الله بن الضحاك (م ،3، ص 347ـ345).

والجيل المتأخر من الأخباريين يمثله محمد بن سليمان الجوهري (م،4، ص 16) و الزبير بن بكار (م، 3، ص 87، 199ـ 200؛ 4، 40).

وأخيرا، ينتمي لجيل معاصري المسعودي كل من محمد بن علي العبدي الخراساني الأخباري (م ،4، ص 313ـ 320)، وابن أبي الأزهر (م،4، ص 33، 73 0 74، 170).

في ما يلي عدد مرات ذكر 11 من الإخباريين في السياقات (تصنيف المجموعات) الواردة أعلاه :

مطر بن دراج	1 في السياق الثاني.
سميرة بن الجعد	8 في السياق الثاني، و1 في الثالث.
عيسى بن دأب	8 في السياق الأول، و1 في الخامس.
ابن عياش المنتوف	2 في السياق الأول.
الشرقي بن القطامي	1 في السياق الأول.
الطوسي	1 في السياق الأول.
عبد الله بن الضحاك	1 في السياق الأول.
الجوهري	1 في السياق الأول .
الزبير بن بكار	2 في السياق الأولى، و1 في الرابع.
محمد بن علي الأخباري	1 في السياق الأول .
ابن أبي الأزهر	3 في السيلق الأول.
المجموع	25 مرة

وبذلك يكون مجموع المرات التي ذكر فيها الأخباريون خمسة وعشرون مرة . عشرون منها في السياق الأول .

وكما نرى فإن المسعودي غالبا ما يذكر عيسى بن دأب (تسع مرات) . ومن الأرجح أن يكون ذلك بسبب الإشارة إلى المكانة المميزة التي كان يشغلها في مجالس الخليفة الهادي. «وكان عيسى بن دأب يجالسه ، وكان من أهل الحجاز، وكان أكثر أهل عصره أدبا وعلما ومعرفة بأخبار الناس، وأيامهم ، وكان الهادي يدعو له متكئا، ولم يكن غيره يطمع منه في ذلك ، وكان يقول له : يا عيسى، ما استطلت بك يوما ولا ليلة، ولا غِبتَ عني إلا ظننت أنى لا أرى غيرك». (م ،3، ص 335).

ونلاحظ أن شخصيتي القص (السياق الثاني) هما مطر بن دراج، وسيمرة بن الجعد، ما يدل بوضوح على دورهما كضليعين بمعرفة الموروث . ويرد ذكر سميرة كشاعر (السياق الثالث) الأمر الذي كان من السمات المميزة لكل من تمتع بقدر من الشهرة في عصر الأمويين .

الإحالة إلى مؤلفات الزبير بن بكار (م ، 4 ، ص 40) تشير ، على الأرجح ، إلى الطابع التدويني لنشاطه في مجال الثقافة.

وهكذا، فإن الأكثر تكرارا (20 مرة) هو السياق الأول (الشخص المعني هو مصدر الخبر).

رواة الشعر

الإخباريون قريبون تصنيفيا من رواة الشعر.

لعل الأسبق زمنيا (النصف الأول من القرن الثامن) هو أبو الحويرث الثقفي (م، 3، ص 209 – 210) . وبعده ينبغي ذكر المشهور حماد الراوية (2) (م ، 3 ، ص 143- 145، 149-148)، ثم معاصر الخليفتين المنصور والمهدي – اسحاق بن الفضل (3) (م ، 3 ، ص 315). وفي النصف الثاني من القرن الثامن – الربع الأخير من القرن التاسع عاش الراوية المعروف الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد الذي يدعوه المسعودي بالهيثم بن عدي بن هشام (4) (م ، 4 ، ص 157). وشهد النصف الثاني من القرن التاسع تألق نشاط علي بن يحيى المنجم (5) (م ،4، ص 137- 138).

إن دور الرواة الخمسة هؤلاء الوارد ذكرهم في «مروج الذهب..» يقتصر على كونهم مصدر الخبر (السياق الأول). ويأتي المسعودي على ذكرهم في كتابه ست مرات : مرتان لحماد الراوية ، ومرة واحدة لكل من الأربعة الباقين .

المؤرخون

نجد عند المسعودي أسماء كبيرة مثل : مؤلف «السيرة» ابن إسحاق (محمد بن اسحاق) (6) (م، 3، ص 58، 315، ؛ 4، 314)؛ والمؤرخ الأكبر في أواخر عهد خلفاء بني أمية – أبو محنف لوط بن يحيى (7) (م ،3 ، 29ـ 30، 58، 104ـ103)؛ والمؤرخ المعروف وعالم الأنساب هشام بن محمد بن السائب الكلبي (م ، 4 ، ص 24)؛ وصاحب العديد من المؤلفات التاريخية التي لم تصلنا الهيثم بن عدي الطائي (م، 3، ص 58، 285) ؛ والمؤرخ العربي الإسلامي الفذ في الربع الأخير من القرن الثامن والربع الأول من القرن التاسع – الواقدي «وهو محمد بن عمرو بن واقد مولى بني هاشم ، وهو صاحب السير والمغازي» (8) (م ،4، ص 33ـ 34) ؛ والشهير علي بن محمد بن عبد الله المدائني (9) (م ، 3 ، ص 55ـ52، 148، 169)؛ ومجايله محمد بن عبيد الله العتبي (م،3، ص 169) ؛ والمؤرخ المعروف خليفة بن خياط الذي يطلق عليه المسعودي شباب بن خليفة العصفري (م، 4، ص 128)؛ وكذلك عبد الله بن الحسن بن سعد الكاتب القطربلي صديق كل من النحوي الشهير المبرد والشاعر العظيم البحتري (م، 4 ، ص 69ـ 72) ؛ ومصنف أول مؤلف تاريخي عن صاحب الزنج محمد بن الحسن بن سهل الذي أعدمه الخليفة المعتضد بتهمة التآمر عام 893 (م ، 4 ، ص 195، 243 ـ 244) ؛ والطبري (10) المؤرخ العربي الإسلامي الكبير (م، 4، ص 296 ، 308) ؛ والدمشقي الذي كان المسعودي على معرفة به (م ،4 ، ص 42) ؛ والمؤرخ المعروف الجهشياري (م، 4 ، ص 293).

فيما يلي أدناه عدد المرات التي يرد بها ذكر هؤلاء الثلاثة عشر من هذه المجموعة في السياقات المشار إليها:

ابن اسحاق	1 في كل من الأول والخامس والسادس.

أبو محنف	3 في الأول.
هشام بن محمد	1 في السادس.
الهيثم بن عدي	4 في الأول ، و1 في السادس.
الواقدي	1 في كل من الأول والثاني والخامس والسادس.
المدائني	9 في الأول، و 1 في كل من الخامس والسادس.
العتبي	4 في الأول، و 1 في السادس.
خليفة بن خياط	1 في السادس.
عبد الله بن الحسن	1 في كل من الأول والثامن.
محمد بن الحسن بن سهل	1 في كل من الخامس والسادس.
الطبري	1 في كل من الخامس والسادس.
الدمشقي	1 في الأول.
الجهشياري	1 في الرابع.

وهكذا نرى أن المسعودي يذكر أكثر ما يذكر المدائني (11مرة) ، يليه الهيثم بن عدي والعتبي (5 مرات)، ثم الواقدي (4 مرات) ، وأقل من ذلك بالنسبة لعدد مرات ذكر المؤرخين التسعة الآخرين إذ يتراوح بين 3 و 1 .

ويحتل السياق الأول (مصدر الخبر) المرتبة الأولى لجهة تكرار ذكره (24 مرة)، منها 9 مرات تخص المدائني. وفي هذه القائمة سبعة مؤرخين يرد ذكرهم أقل بكثير، بينما خمسة منهم لا يرد لهم ذكر في هذا الحقل .

أما المرتبة الثانية فيحتلها السياق الرابع «اسم المتوفى» ، إذ يرد خبر وفاة سبعة من بين المؤرخين الثلاثة عشر.

ويشار إلى خمسة منهم لجهة المكانة الثقافية (السياق الخامس) وهم : ابن اسحاق ، والواقدي ، المدائني ، محمد بن الحسن ، والطبري .

ومن شخصيات القص (السياق الثاني) يرد الواقدي فقط.

و يورد المسعودي ذكر الجهشياري فقط كصاحب مؤلَف ورد ذكره (السياق الرابع)

ويرد ذكر واحد في السياق الثامن، حيث يورد المسعودي أشعار عبد الله بن الحسن في وفاة الوزير القاسم بن عبيد الله (11) في عهد الخليفة المكتفي.

شخصيات لم يتم التحقق من هويتهم :

أدرجنا في قائمة حملة المعارف التاريخية أسماء شخصيات لم نتمكن من التحقق من هويتهم في مراجع أخرى. ويرد هؤلاء عند المسعودي في دور مصدر الخبر (السياق الأول). لقد تسنى لنا تسجيل أحد عشر اسما تنتمي لهذه المجموعة، وهم عبد الله بن أحمد المديني (المزني) (م،3، 199 – 200) ؛ وأبو البيضاء (م، 4، ص 154، 158)؛ وأبو الهياج بن سابق النجدي (م ، 4 ، ص 158ـ 160)؛ ويزيد بن رجاء الغنوي (م ، 3 ، ص 52) ؛ وعلي بن محمد الفقيه الوراق الانطاكي (م، 4، ص 279ـ 280) ؛ وزيد بن طليح الذهلي الشيباني (م ، 3 ، ص 55ـ52)؛ وابراهيم بن إسحاق ابن الوكيل البغدادي (م ، 4 ، ص 358) ؛ وابراهيم بن عقيل البصري (م ، 3 ، ص 52)؛ ومحمد بن عبد الله الدمشقي (م، 4، ص 343 ـ 346)؛ ومحمد بن بشر الفزاري (م، 3، ص 52) ؛ وأبو عبد الله محمد بن ابراهيم (م ، 3 ، ص 209ـ 210).

وكل هؤلاء ، يردون في السياق الأول مرة واحدة ، باستثناء ابراهيم بن إسحاق بن الوكيل البغدادي الذي يرد مرتين، أي أن العدد الإجمالي لمرات ذكرهم يبلغ 12 مرة.

وهكذا يرد عند المسعودي ذكر الإخباريين 25 مرة، والرواة 6 مرات، والمؤرخين 41 مرة. أما الأشخاص مصادر الخبر الذين لم نتمكن من تدقيق هويتهم، فيرد ذكرهم 12 مرة. والمجموع 48 مرة لذكر مجمل حملة المعارف التاريخية (الإخباريين).

وفي ما يلي أرقام عن مرات الذكر هذه حسب السياق الأول والخامس والثامن من حيث العدد والنسبة المئوية :

السياق الأول (مصدر الخبر)	62 مرة	73،8%
السياق الثاني (شخصية القص)	3 مرات	3،6%
السياق الثالث (نماذج من إبداع الشاعر)	1 مرة	1،2%
السياق الرابع (صاحب مؤلف يرد ذكره)	2 مرتان	2،4%
السياق الخامس (المكانة الثقافية)	6 مرات	7،1%
السياق السادس (اسم المتوفي)	9	10،7%

السياق الثامن (مؤلف أبيات رثاء)	1	1،2%
المجموع	84	100%

يتضح من الأرقام أعلاه أن حصة الأسد من مرات الذكر تعود للسياق الأول . وهذا يعني أن حملة المعارف التاريخية يحظون باهتمام المسعودي بالدرجة الأولى كأشخاص يمكنه الركون إلى مكانتهم عندما يُضمِّن النص هذا الخبر أو ذاك. وأكثر ما يرد في السياق الأول المؤرخون (24 مرة)، يليهم أشخاص لم يتم التحقق من هويتهم عبر مراجع أخرى (12 مرة)، ثم يأتي الرواة (6 مرات). وبين الأشخاص أصحاب الأخبار يحتل موقع الصدارة عند المسعودي المؤرخ المعروف المدائني إذ يستشهد به 9 مرات، والعالم بالموروث التاريخي عيسى بن دأب (8 مرات). وبتعبير آخر، فإن المسعودي يربط التقليد التاريخي بهذين الشخصين.

ويأتي في المرتبة الثانية السياقُ الخامس (اسم المتوفي) . لا يوجد في هذا السياق إلا المؤرخون الأكثر شهرة من وجهة نظر المسعودي ، وهم : ابن إسحاق ، وهشام بن محمد الكلبي، والهيثم بن عدي الطائي ، والواقدي، والمدائني ، والعتبي ، وخليفة بن خياط، ومحمد بن الحسن بن سهل، والطبري. ومن الجدير بالاهتمام أن هشام بن محمد الكلبي ، وخليفة بن الخياط ، والطبري لا يردون في دور مصدر الخبر (السياق الأول) . وهذا ما يؤكد مرة أخرى الدلالة محض الثقافو - تاريخية للسياق السادس .

وفي السياق الخامس (المكانة الثقافية) نجد أيضا المؤرخين البارزين إياهم ، ابن إسحاق، والواقدي ، والمدائني ، ومحمد بن الحسن، والطبري، وكذلك العالم المعروف بالموروث التاريخي عيسى بن دأب .

ونجد في السياق الثاني (شخصية القص) مطر بن دراج ، وسميرة

بن جعد - خصم الحجاج بن يوسف (في هذه القصص خاصة يتجلى دورهما بوصفهما من حملة المعارف التاريخية، اي إخباريين) ، والواقدي .

وفي السياق الرابع (صاحب مؤلف يرد ذكره) نجد العالم بالموروث التاريخي الزبير بن بكار والمؤرخ الجهشياري.

وأخيرا ، يستخدم المسعودي السياقين الثالث والثامن مرة واحدة فقط، إذ يرد ذكر سميرة بن جعد كشاعر (السياق الثالث) ، والمؤرخ عبد الله بن الحسن كمؤلف أبيات رثاء (السياق الثامن).

يرد ذكر المجموعات الفرعية الأربع لحملة المعارف التاريخية ، كما تبين الأرقام أعلاه، في توليفات مختلفة من السياقات: الرواة والأشخاص غير المتحقق من هويتهم نجدهم فقط في السياق الأول ، و نجد الإخباريين في السياقات من الأول وحتى الخامس، والمؤرخين في السياقات الأول والثاني والرابع والخامس والسادس والثامن .

وبذلك يكون الأخباريون والمؤرخون ممثلون عند المسعودي تمثيلا تاما غير منقوص مقارنة بحملة المعارف التاريخية في المجموعتين الفرعيتين الأخريين .

حملة المعارف الأدبية
اللغويون

إن أقدم من يرد ذكره (أوائل القرن التاسع) ضمن هذه المجموعة الفرعية في «مروج الذهب ...» هو مؤدب الأمين - الأحمر النحوي (علي بن الحسن الأحمر - أوائل القرن التاسع) (م ، 3 ، ص 362) . ومن معاصريه أبو عبيدة معمر بن المثنى مصنف العديد من المؤلفات ، الذي « كان من

رأي الخوارج ، وله مصنفات حسان في أيام العرب وغيرها، منها كتاب المثالب ، ويذكر فيه أنساب العرب وفسادها ويرميهم بما يسيء الناسَ ذكرُه ، ولا يحسن وصفه » (12) (م ، 4، ص 36)، والشهير أبو سعيد بن عبد الملك الأصمعي (13) (م، 3 ، ص 325، 354 ـ 355 ، 392، 376، 379، 389، 4ـ 346ـ 347) ؛ وكذلك المقرب من الأمير العباسي والشاعر ابراهيم بن المهدي وقريبه من ناحية الأم وواضع أول سيرة لراعيه – يوسف بن ابراهيم الكاتب الذي « صنف كتبا منها كتابه في أخبار المتطببين مع الملوك في المآكل والمشارب والملابس ، وغير ذلك ، وكتابه المعروف بكتاب ابراهيم المهدي في أنواع الأخبار »(14) (م ، 3، ص 335 ، 404 ، 4ـ 31) . والمعاصر الأصغر سنا لجميع هؤلاء اللغويين هو محمد بن سلام الجمحي الذي وضع كتاب « طبقات الشعراء » (م ، 3، ص 208ـ 209، 4، 160ـ158).

وإلى الجيل التالي من اللغويين العرب ينتمي تلميذ الأصمعي وتلميذ غيره من فحول الأدب العربي العباس بن الفرج الرياشي (م ،3، ص 325) ؛ وتلميذ الأصمعي الآخر، تلميذ أبي عبيدة أيضا ، ومعلم المبرد – بكر بن محمد (بن عدي بن حبيب) المازني (م ،4، ص 111). واللغوي العربي الكبير محمد بن يزيد المبرد (15) (م ، 3 ، ص 229) الذي كان أصغر سنا بكثير من الرياشي والمازني . ثم النحوي البصري أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحي (م ، 4، ص 110).

وكان عالم اللغة الشهير ابن دريد «قد برع في الشعر، وانتهى في اللغة ، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين، وكان يذهب في الشعر كل مذهب»، وهو (16) (م ، 4 ، ص 137) من أتراب آخر أقل منه شهرة بكثير هو أبو الحسن جحظة البرمكي المغني (17) (م ، 4 ، ص 299) . ومن معاصريهما الأصغر سنا كان أبو الحسن بن أبي البغل الكاتب (غير المعروف في مراجع أخرى)،

«وكان من جلة الكتاب وكبار العمال وممن اشتهروا بمعرفتها – الشطرنج ـ واللعب بها»(م ، 4 ، ص 326 ـ 327).

ونختتم هذه القائمة بالمعاصر الأكبر سنا للمسعودي نفسه تلميذ المبرد، اللغوي المعروف ومصنف العديد من المؤلفات محمد بن اسماعيل العسكري مبرمان اللغوي (م ،4، ص 239).

في مايلي عدد مرات ذكر كل من ممثلي هذه المجموعة الفرعية الثلاثة عشر:

الأحمر	1 في كل من الثاني والسادس.
أبو عبيدة	1 في كل من الثاني والسادس.
الأصمعي	6 في الأول، و1 في الثاني.
يوسف بن ابراهيم	2 في الأول، و 1 في الخامس.
محمد بن الجمحي	2 في الأول.
الرياشي	3 في الأول.
المازني	1 في الأول
المبرد	11 في الأول، و 1 في كل من الثاني والثالث والسادس، و4 في الخامس.
ابو خليفة الجمحي	2 في كل من الأول والثاني، و1 في كل من الخامس والسادس.
ابن دريد	2 في الأول، و 1 في كل من الثالث والسادس.

جحظة المغني	1 في السابع.
أبو الحسن الكاتب	1 في الثالث
مبرمان النحوي	1 في الثاني.
المجموع 51 مرة	- 29 في الأول ، و 7 في الثاني، و3 في الثالث، و 6 في الخامس، و5 في السادس، ومرة واحدة في السابع.

تبين الأرقام أن اللغويين أكثر ما يؤدون دور مصدر الخبر- السياق الأول - (29 مرة)، علما بأن خمسة منهم لم يندرجوا في هذا الحقل عموما. و يحتل المرتبة الأولى هنا المبرد (يرد ذكره 11 مرة)، ويأتي في المرتبة الثانية الأصمعي (6 مرات). يليهما الآخرون بفارق كبير.

في السياق الثاني (شخصية القص) يرد ذكر ستة أسماء، منهم أبو خليفة الجمحي الذي يرد ذكره مرتين ، وخمسة أخرون يرد ذكر كل منهم مرة واحدة .

وفي السياق الثالث (نموذج من إبداع الشاعر) نجد ثلاثة فقط، كل واحد منهم يرد ذكره مرة واحدة .

وفي السياق الخامس (المكانة الثقافية) يرد ذكر المبرد أربع مرات، وذكر كل من يوسف بن ابراهيم وأبي خليفة الجمحي مرة واحدة.

أما الذين يرد ذكرهم في أخبار النعي (السياق السادس) فهم خمسة لغويين ، يرد ذكر كل منهم مرة واحدة .

وفي السياق السابع (الشخص المقصود بالأبيات الشعرية) نجد واحدا فقط هو جحظة المغني .

نجمل الحصيلة مرة أخرى ، فنقول إن الأكثر تكرارا (29 مرة) هو السياق الأول (مصدر الخبر= حدثنا فلان=)، يليه السياق الثاني (شخصية القص) بواقع سبع مرات ، فالسياق الخامس (المكانة الثقافية) بواقع ست مرات . وفي حقل السياق السادس نجد أخبار وفاة خمسة لغويين . وثمة ثلاثة أشخاص يرد ذكرهم كشعراء (السياق الثالث) مرة واحدة لكل منهم، أي أن العدد الإجمالي لمرات ذكر اللغويين في السياق الثالث هو ثلاث مرات . وأخيرا مرة واحدة في السياق السابع (الشخص المقصود بالأبيات الشعرية) .

ومن حيث عدد مرات ذكر اللغويين في مختلف السياقات نجد الترتيب التالي: المبرد (18 مرة)، الأصمعي (7 مرات)، أبو خليفة الجمحي (6 مرات)، ابن دريد (4 مرات)، يوسف بن ابراهيم (3 مرات) ، الرياشي (3مرات أيضا) . أما السبعة الباقون فيرد ذكر كل منهم مرة واحدة ، أو مرتين. وهكذا، نجد أن «صاحب الحظوة » بين هؤلاء الأشخاص في هذه المجموعة الفرعية هو المبرد الذي يرد ذكره أيضا في أكبر عدد من السياقات .

النحويون

لعبت دراسة قواعد اللغة العربية دورا جوهريا في الثقافة العربية الإسلامية، ولذا ليس ثمة ما يدعو للاستغراب أن نكتشف في «مروج الذهب...» ذكرا لعدد من علماء النحو.

وفي طليعة هؤلاء زمنيا أبو الأسود الدؤلي الذي يعد أول من وضع قواعد النحو العربي، وأدخل الحركات على النص القرآني (18) (م، 2 ، ص 428 ؛ 3،78، 419). وبعد مئة سنة ونيف على وفاته توفي مؤسس مدرسة البصرة في النحو المقرئ الشهير أبو عمرو بن العلاء (أ بو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين التميمي المازني

البصري) (19) (م ، 3 ، ص 315) . وبعد قرابة العقدين من الزمن (حوالي 790 م) توفي الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي مؤسس علم العروض ومعلم سيبويه وواضع أول معجم للغة العربية (20) (م ،4، ص 324-325؛ م ، 4، ص 39) . وكان من معاصريه مؤلف أول مبحث بقواعد اللغة العربية باسم «كتاب سيبويه» (21) (م ، 4 ، ص 285). وعلى أغلب الظن كان علي بن حمزة الكسائي «صاحب القراءات إمام الكوفيين في اللغة والنحو وسابع القراء السبعة» (22) الأصغر سنا ضمن هذا الجيل من النحويين (م ،3، ص 354، 391-360).

وعلى رأس الجيل التالي من ممثلي هذه المجموعة الفرعية يأتي الفراء (م، 4 ، ص 348) ، وهو الإمام أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي الديلمي الكوفي ، مولى بني أسد، المعروف بالفراء .

بعد ذلك يلي ذكر أشخاص كانت ذروة نشاطهم في النصف الثاني من القرن التاسع، وفي طليعتهم أحد ممثلي مدرسة الكوفة في النحو العربي أحمد بن يحيى عبد الله ثعلب (م ، 3 ، ص 366؛ م ، 4، ص 14-15، 284 - 287)، وصهره أبو عبد الله الدينوري (م ، 4 ، ص 285) . ونذكر بعد هؤلاء عبد الله بن محمد الناشي (م ،4، ص 361) ، وعبد الله بن شرشير (م ،4، ص 296)، وكلاب بن حمزة العقيلي (م ،4، ص 249-348). وفي مطلع القرن العاشر أيضا عاش النحوي البصري أبو عبد الله المفجع (م ،4، ص 321).

ونختم هذه القائمة باثنين من النحويين هما أبو إسحاق الزجاج النحوي، (م ،4، ص ص110، 284، 298) ، وأبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري النحوي (م ، 4 ، ص ، 285).

وفي يلي جدول يبين مرات ذكر النحويين الأربعة عشر هؤلاء في

السياقات المشار إليها آنفا :

أبو الأسود الدؤلي	2 في الثامن، و1 في التاسع.
أبو عمر بن العلاء	1 في كل من الأول والسادس.
الخليل بن أحمد	2 في الخامس.
سيبويه	1 في الخامس.
الكسائي	1 في كل من الأول والسادس.
الفراء	1 في الخامس.
ثعلب	3 في الأول، و1 في كل من الثالث والخامس ، و3 في السادس.
أبو عبد الله الدينوري	1 في الخامس.
عبد الله بن محمد الناشي	1 في كل من الأول والخامس.
عبد الله بن شرشير	1 في الخامس.
كلاب بن حمزة العقيلي	1 في الثالث.
المفجع أبو عبد الله	1 في كل من الثالث والسادس.
الزجاج	2 في الأول ، و1 في الخامس.
الأنباري	1 في الأول.
المجموع	30

ومن الجدير بالملاحظة في هذا الجدول أن السياق الأول (مصدر الخبر) يتساوى لأول مرة مع السياق الخامس (المكانة الثقافية) من حيث عدد مرات الذكر، وذلك خلافا للأرقام المتعلقة بكل المجموعات الفرعية

المذكورة أعلاه. والأكثر من ذلك أن السياق الخامس احتل من حيث عدد الأشخاص المرتبة الأولى، أي ثمانية نحويين مقابل ستة في السياق الأول. ونلاحظ أن في السياق الخامس لا يرد ذكر شخصيات من الفحول (المرجعيات الكبيرة) مثل أبي الأسود الدؤلي والكسائي.

إن ثعلب والزجاج هما الأكثر أهمية من بين الشخصيات التي يرد ذكرها في السياق الأول.

وفي ما يتعلق بالسياق السادس نجد أخبار وفاة أربعة من النحويين، بل إن المسعودي يورد ثلاثة روايات عن وفاة ثعلب.

و نجد كلا من ثعلب والمفجع وكلاب العقيلي في دور من يقول شعرا (نموذج من إبداع الشاعر)، أي في السياق الثالث.

وترد عند المسعودي أشعار أبي الأسود الدؤلي (السياق الثامن) مرتين: مرة عند ذكر وفاة علي بن أبي طالب، والثانية عند ذكر مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب.

وللسياق التاسع أيضا صلة باسم أبي الأسود الدؤلي، إذ أن الأمين المحاصر من قبل الأعداء يردد شعرا من نظم مؤسس النحو العربي.

وبذلك، يبدو أبو الأسود الدؤلي مهما للمسعودي لا بوصفه نحويا، بل كشاعر. وبالتالي لا نجده في «مروج الذهب ...» بذاك الدور الذي اشتهر به في الثقافة العربية الإسلامية .

وكما نرى ، فإن ثعلب بالنسبة للمسعودي هو أهم شخصية بين النحويين ، إذ يرد ذكره بأكبر عدد من المرات (ثمانية من أصل ثلاثين) في أربعة سياقات من ستة. ومما يدل على ذلك أيضا إيراد ثلاثة أخبار عن وفاته ، كما سبق وذكرنا.

الأدباء

إن المصادر والمراجع التي في متناول أيدينا تصف الشخصيات التي يذكرها المسعودي كأدباء (23) ، أي شخصيات متعددة المواهب والإطلاعات والمعارف .

ومن هؤلاء ، في المقام الأول ، سليط اللسان المشهور صعصعة بن صوحان العبدي الذي كان من أوائل المسلمين . قال عنه عقيل بن أبي طالب : « عظيم الشأن ، عضب اللسان، قائد فرسان، قاتل أقران ، يرتق ما فتق، ويفتق من رتق ، قليل النظر». وقال عنه معاوية «هذا أحد سهام علي وخطباء العرب ». وقال المسعودي « لصعصعة بن صوحان أخبار حسان ، وكلام في نهاية البلاغة والفصاحة والإيضاح عن المعاني، على إيجاز واختصار » . وقال له عبد الله بن العباس « أنت يا ابن صوحان باقر علم العرب » (م ، 3، ص 46 ، 52ـ 56) .

ولعل بوسعنا أن ننسب إلى هذه المجموعة الفرعية الوليد بن حصن الكلبي (م ،4، ص 349) الذي لا ذكر له في مراجع أخرى. وهو إلى جانب صعصعة بن صوحان يمثل المرحلة الباكرة في تطور الثقافة العربية الإسلامية .

وإلى مرحلة لاحقة ينتمي كل من : محمد بن الوزير الحافظ الدمشقي (م، 4 ، ص 367ـ 370) ؛ وموسى بن صالح بن شيخ بن عميرة الأسدي (م ، 4، ص 95، 273) ؛ والمقربون من الخليفة المتوكل – يزيد بن محمد المهلبي (م ، 4، ص 114 ، 135 ـ 136) وأبو العنبس الصيمري (24) (م ، 4، ص 91، 92) ؛ وعلي بن يحيى بن أبي المنصور (م ،4، ص 281) ، واثنان لا ذكر لهما في مراجع أخرى هما محمد بن المغيث (م ،4، ص 123 – 124) ؛ والمقرب إلى الخليفة المهتدي – صالح بن علي الهاشمي

(م، 4، ص 193 192) والأمير العباسي عبد الواحد بن الموفق (م ،4، ص 282) ؛ وآخر غير معروف في مراجع أخرى ، صديق الجاحظ ، هو محمد بن سليمان المروزي (م ،4، ص 309)؛ وابن أخ هذا الكاتب العربي العظيم يموت بن المزرع (م ، 3 ، ص 354، 365ـ 366؛ م ،4 ، ص 197ـ196) ؛ والمقرب من الخليفة المعتضد نديمه ومن خاصته - عبد الله بن حمدون (م ،4، ص 232)؛ وابن المرزبان (محمد بن خلف بن المرزبان) (م ، 4، ص 302)؛ والشهير الصولي (25) الذي صادقه المسعودي (م ،4، ص 75)؛ وأخيرا العليم بالعروض أحمد بن محمد الذي لقب بالعروضي (26) وهو مؤدب الراضي وغيره من الخلفاء وأولاد الخلفاء (م ،4، ص 328...).

في ما يلي أرقام عن عدد مرات ذكر 16 أديبا في السياقات إيــاهــا:

صعصعة بن صوحان	3 في الثاني.
الوليد بن الكلبي	1 في الثالث.
محمد الدمشقي	1 في الثالث.
موسى الأسدي	1 في كل من الأول والسادس.
المهلبي	2 في العاشر.
ابو العنبس	2 في كل من الأول والثاني.
علي بن يحيى	1 في السابع.
محمد بن المغيث	1 في الثاني.
صالح الهاشمي	1 في الأول.
عبد الواحد بن الموفق	1 في الثاني.
المروزي	1 في السادس.

يموت بن المزرع	4 في الأول .
عبد الله بن حمدون	2 في الأول.
ابن المرزبان	1 في السابع.
الصولي	3 في كل من الأول والخامس.
العروضي	3 في الأول ، و1 في الخامس.
المجموع	33 مرة

وهنا، كما في الحالات السابقة ، نجد أن السياق الأول هو الأكثر تكرارا (15 مرة). ومن بين سبعة أدباء يرد ذكرهم في هذا السياق يتكرر أكثر من سواه ذكر يموت بن المزرع (4 مرات)؛ يليه الصولي والعروضي (3 مرات لكل منهما)؛ ومن ثم عبد الله بن حمدون (مرتين)، والباقون الثلاثة يرد ذكر كل منهم مرة واحدة فقط .

ويحتل المرتبة الثانية من حيث التكرارا (6 مرات) السياق الثاني (شخصية القص) . والشخصية الأكثر شعبية عند المسعودي هو صعصعة بن صوحان (3 مرات). أما الثلاثة الآخرون في هذا السياق فيرد ذكر كل منهم مرة واحدة فقط .

وعن المكانة الثقافية لهذا أو ذاك من الأدباء (السياق الخامس) يتحدث المسعودي 4 مرات، ثلاث منها تتعلق بالصولي، والرابعة بالعروضي .

أما السياقات الأربع الأخرى فتأخذ مجراها في «مروج الذهب...» مرتين لكل منها: ففي السياق الثالث نجد شعر الوليد الكاتب ومحمد الدمشقي .

وفي السياق السادس خبران عن وفاة كل من موسى الأسدي والمروزي .

وفي السياق السابع يورد المسعودي كلاما من علي بن يحيى وابن المرزبان كشخصين مقصودين بالأبيات الشعرية؛ وفي السياق العاشر نجد يزيد بن محمد المهلبي كصاحب قصيدتين حول أمرين من أمور الشأن العام.

والعدد الأكبر من مرات الذكر كان من نصيب الصولي (6 مرات)، ويموت بن المزرع ، والعروضي (4 مرات) لكل منهما، وصعصعة بن صوحان (3 مرت). أما الإثنا عشر أديبا الباقون فيرد ذكر كل منهم مرة واحدة أو مرتين.

وهكذا فإن حملة المعارف اللغوية إجمالا يرد ذكرهم عند المسعودي 114 مرة (اللغويون 51 مرة، والنحويون 30 مرة، والأدباء 33 مرة) .

في ما يلي أرقام عن توزع هذه المرات حسب السياقات الخاصة بهذه المجموعة من الأول وحتى الثالث، و من الخامس حتى العاشر ، وذلك من حيث العدد والنسبة :

الأول – مصدر الخبر	53 مرة	46،50%
الثاني- شخصية القص	13 مرة	11،40%
الثالث – نماذج من إبداع الشاعر	8 مرات	% 7،02
الخامس- المكانة في الثقافة	19 مرة	16،67%
السادس – اسم المتوفي	13 مرة	% 11،40

السابع - المقصود بالأبيات الشعرية	3 مرات	2،63%
الثامن - مؤلف أبيات رثاء	مرتان	1،75%
التاسع - مؤلف أبيات مقتبسة في النص	مرة واحدة	0،88%
العاشر - مؤلف أبيات في الشأن العام	مرتان	1،75%
المجموع	114	100%

من حيث عدد مرات الذكر يحتل اللغوي المبرد المرتبة الأولى من بين جميع حملة المعارف اللغوية كمصدر للخبر (السياق الأول)، حيث يرد ذكره 11 مرة . يليه اللغوي الأصمعي (6 مرات)، ومن ثم الأديب يموت المزرع (4 مرات) . أما الباقون فيرد ذكر كل منهم مرة أو مرتين في هذا السياق . ومن الجدير بالملاحظة أن الفرق في عدد مرات ذكر النحويين والأدباء زهيد (مرة، مرتان، أو ثلاث مرات) في هذا السياق الأكثر تكرارا، في حين نجد أن هذه المؤشرات تتباين بشدة في المجموعة الفرعية للغويين.

يتسم السياق الخامس (المكانة الثقافية) بتردد ذكر الشخص المعني أكثر من مرة، كاللغوي المبرد (4 مرات)، والأديب الصولي (3 مرات) ، والنحوي الخليل (مرتان) .

وبين حملة المعارف اللغوية نجد في السياق السادس (اسم المتوفي) كلا من النحوي ثعلب الذي يرد ذكره في هذا الباب ثلاث مرات، والأديب المروزي الذي يرد ذكره في هذا السياق مرة واحدة فقط . والعدد الأكبر من مرات الذكر في هذا السياق هو من نصيب مجموعة

النحويين (6 مرات) ، تليها مجموعة اللغويين (5 مرات) ، ثم مجموعة الأدباء (مرتان) .

وفي السياق الثاني (شخصية القص) فإن أكبر عدد مرات الذكر (3 مرات) هو من نصيب الأديب صعصعة بن صوحان، في حين يرد ذكر البقية من مجموعة اللغويين والأدباء الفرعية في هذا السياق مرة واحدة لكل منهم ، باستثناء اللغوي أبي خليفة الجمحي الذي يرد ذكره مرتين . ولابد من الإشارة إلى أن السياق الثاني لا وجود له عموما في قائمة النحويين .

وفي السياق الثالث (نموذج من إبداع الشاعر) نجد أسماء لا ترد في غير هذا السياق ، منها اللغوي أبو الحسن الكاتب، والنحوي كلاب بن حمزة العقيلي ، وكذلك الأديبان الوليد الكلبي، ومحمد الدمشقي. وعلى هذا النحو يبرز المسعودي شخصيات ثقافية أقل شهرة مقارنة بغيرها. وبخصوص عدد مرات الذكر في السياق الثالث فقد تساوت هنا مجموعتان فرعيتان ، أي اللغويون والنحويون (3 مرات لكل منهما)، بينما حلت مجموعة الأدباء بعدهما (مرتان) .

ويسترعي الانتباه ورود المقصود بالأبيات الشعرية (السياق السابع) عند تسجيل الأحداث التاريخية. فهذه الشخصيات الثلاث التي يتعلق هذا الأمر بها يرد ذكرها مرة واحدة فقط. والمقصود بذلك اللغوي جحظة بن المغني ، وكذلك الأديبان علي بن يحيى وابن المرزبان . أما في الجدول الخاص بالنحويين فلا وجود للسياق السابع .

إن كلتا الحالتين اللتين يستخدم فيهما السياق الثامن (مؤلف أبيات رثاء) مرتبطتان باسم النحوي الشهير أبي الأسود الدؤلي.

وكذلك الأمر بالنسبة للسياق العاشر (مؤلف أبيات في الشأن العام)

ففي الحالتين اللتين يستخدم فيهما يتعلق الأمر بالأديب المهلبي .

وأخيرا ، وفي السياق التاسع (مؤلف أبيات مقتبسة في النص) نجد أيضا النحوي أبا الأسود الدؤلي.

وبصدد حملة المعارف اللغوية الذين يذكرهم المسعودي في أكبر عدد من السياقات، نشير إلى اللغويين المبرد (خمسة سياقات) وأبي خليفة الجمحي (4 سياقات) ، وكذلك إلى النحوي ثعلب (4 سياقات) .

كُتَّاب النثر

ابتداء من هذه الفقرة نكون قد وصلنا مباشرة إلى تلك الفئة التي تضم شخصيات ثقافية هم في جوهر الأمر أدباء .

الأقدم زمنيا من بين هؤلاء عند المسعودي هم مؤسس أدب الرسائل عند العرب عبد الحميد بن يحيى بن سعد الكاتب «صاحب الرسائل والبلاغات ، وهو أول من أطال الرسائل، واستعمل التحميدات في فصول الكتب » (م ، 3 ، ص 263)، وابن عصره الكاتب الشهير عبد الله بن المقفع (27) (م ، 4 ، ص 315).

ويليه في «مروج الذهب...» الكاتب العربي الكبير في القرون الوسطى عمرو بن بحر الجاحظ (28) (م ،3، ص 252- 254، 366-365، 379؛ م ،4 ، ص 101-100، 195 - 197، 309، 342، 331)

وإضافة إلى ذلك يذكر المسعودي ابن أبي الدنيا (29) (م ، 4 ، ص 134) ومعاصره الأكبر منه سنا أبا الحسن أحمد بن يحيى المنجم المعروف بابن النديم (م،4، ص 137، 281) (وهو غير صاحب «الفهرست»).

ونورد أدناه عدد مرات ذكر ممثلي هذه المجموعة الخمسة في السياقات إياها.

إن الأكثر ذكرا عند المسعودي هو الجاحظ (16 مرة) من 21 مرة يرد فيها ذكر كتاب النثر المدرجين في الجدول، بل أن الجاحظ يرد في جميع سياقات الجدول، وفي معظمها يرد أكثر من مرة . ويشير المسعودي إلى الجاحظ كمصدر للخبر (6 مرات)، وكشخصية القص (مرتين)، وكصاحب مؤلف مذكور (4 مرات)، واسم المتوفي (مرة واحدة). ويرد ذكره مرتين في معرض الحديث عن مكانته الثقافية (السياق الخامس) . وباسمه يرتبط أول ظهور للسياق الحادي عشر (المؤلف المفترض لقول مأثور) .

عبد الحميد الكاتب	1 في السياق الخامس
ابن المقفع	==========
الجاحظ	6 في السياق الأول ، و2 في الثاني ، و4 في الرابع ، 2 في الخامس ، 1 في كل من السادس والحادي عشر.
ابن أبي الدنيا	1 في الأول
ابن النديم	2 في الأول
المجموع	21 مرة

يرد ذكر ابن النديم مرتين فقط ، وكلتاهما في السياق الأول (مصدر الخبر) . وفي هذا السياق فقط يرد ذكر ابن أبي الدنيا مرة واحدة .

ويرد مرة واحدة في السياق الخامس (المكانة الثقافية) ذكر كل من عبد الحميد الكاتب وابن المقفع رائدي النثر العربي .

في ما يلي جدول بعدد مرات ، ونسبة ، ذكر الكتَّاب حسب السياقات إياها .

الأول ـ مصدر الخبر	9 مرات	42،86%
الثاني ـ شخصية القص	مرتان	9،52%
الرابع ـ صاحب مؤلف	4 مرات	19،05%
الخامس ـ المكانة الثقافية	4 مرات	= = = =
السادس ـ اسم المتوفى	مرة واحدة	% 4،76
الحادي عشر ـ صاحب قول مأثور	= = = =	
المجموع	21 مرة	100%

الشعر والشعراء

من الواضح تماما لكل ذي اطلاع على تاريخ الأدب العربي، مهما كان هذا الإطلاع متواضعا، أن الشعر يحتل مكان الصدارة في هذا الأدب.

يفرد المسعودي مكانا هاما في كتابه لفن الشعر، فإلى جانب المعلومات المتعلقة بالشعراء وإبداعهم، نصادف في "مروج الذهب" بعض مفاهيم الشعر العربي في القرون الوسطى :

العروض ، مصطلح يعني نظام الشعر العربي التقليدي (30) (م ، 4 ، ص 39).

الوزن ، حجم بيت الشعر .

المعنى، وهو موضوع القصيدة، الصورة – الفكرة، التي يعبر عنها ببيت أو أكثر من الشعر (م ، 3 ، ص 283؛ م ،4، ص 70-69).

القصيدة، نص وجداني – شاعري كبير الحجم. (م ، 4 ، ص، 40، 59)

الأرجوزة، شعر في حجم / بحر/ الرجز هو الأبسط في الشعر العربي (م ، 4 ، ص 73).

المقصورة ، شعر مقفى على الألف المقصورة . وربما كان المسعودي أول مؤلف يذكر هذا النوع من الشعر .

يقول فرولوف د. ف. إن المسعودي هو الثاني بين المؤلفين الذين يوردون معلومات عن العروض .

يشير المسعودي أيضا إلى مرحلة خاصة في الشعر العربي (النصف الثاني من القرن الثامن - الربع الأول من القرن التاسع)، التي تميزت بإبداع من أطلق عليهم وصف "الشعراء المحدثون" (م ، 4 ، ص 70 ....)

غير أن مؤلف "مروج الذهب ..." يعير انتباهه الأساسي لا للمحاكمات النظرية، بل للشعراء وأشعارهم.

شعراء الجاهلية وفجر الإسلام

إن الشعراء الذين أبدعوا في مرحلة ما قبل الإسلام ، أو في فترة ظهور الدين الجديد ، ينتمون لأبكر مجموعة فرعية من حملة الثقافة الشعرية العربية الذين يرد ذكرهم في "مروج الذهب ...". وهؤلاء هم:الشاعر الكبير ، صاحب إحدى المعلقات زهير بن أبي سلمى (31)

(م ، 4 ، ص 70) ؛ وكذلك لبيد (م، 3 ، ص 354 ـ 355) أيضا صاحب إحدى المعلقات؛ والنابغة الجعدي (أبو ليلي عبدالله بن قيس بن جعدة بن كعب بن ربيعة) (م ، 3، ص 140 ـ141) ؛ وأول شاعر مداح في الشعر العربي الأعشى ـ ميمون بن قيس ـ (م ، 3 ، ص 103 – 104)؛ والشاعرة الشهيرة الخنساء (م، 3 ، ص 372 ـ 373) ؛ وشاعر الرسول حسان بن ثابت (م،2، ص 355 ـ 356) ؛ وغيرهم من معاصري النبي وأوائل خلفائه – النجاشي الشاعر (م ، 3، ص 5ـ 6)، والحارث بن مالك الطائي (م ، 2 ، ص 308)، وأبو محجن الثقفي (م ، 2، ص 325ـ323) ، والفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب (م ، 2 ، ص 356).

وفي ما يلي عدد مرات ذكر عشرة من شعراء هذه المجموعة الفرعية، في السياقات إياها :

زهير	1 في كل من السياقين الخامس والتاسع
لبيد	1 في السياق التاسع
النابغة الجعدي	1 في السياق التاسع
الأعشى	= = = = = = = = = = =
الخنساء	= = = = = = = = = = =
حسان بن ثابت	1 في السياق الثامن
النجاشي الشاعر	= = = = = = = = = = = =
الحارث بن مالك	1 في السياق العاشر
أبو محجن	1 في السياق الأول
الفضل بن العباس	1 في السياق العاشر

تجدر الملاحظة إلى أن جميع هؤلاء(باستثناء زهير) يرد ذكرهم مرة واحدة في أحد السياقات.

وأكثر السياقات تكرارا هو السياق التاسع (مؤلف أبيات مقتبسة) إذ يرد خمس مرات. وهذا يدل على شهرة الشعراء الخمسة الوارد ذكرهم في هذا الحقل .

ويلي ذلك كل من السياقين الثامن (صاحب أبيات رثاء)، والعاشر (صاحب أبيات شعر في الشأن العام) حيث يتكرر الذكر مرتين في كل منهما. إن طابع شعر هؤلاء الأربعة المذكورين في هذين السياقين يشير ، على الأرجح، إلى اهتماماتهم السياسية وانخراطهم في الحياة الاجتماعية السياسية ذاك الزمن .

أما السياقان الباقيان (الثاني والخامس) فقد استخدما مرة واحدة لكل منهما. ونشير هنا إلى أن السياق الخامس (المكانة الثقافية) يتعلق بزهير فقط الذي يذكر مرتين، في حين أن الشعراء الآخرين ، كما سبق وأشرنا، يرد ذكرهم مرة واحدة فقط . وهذا ما يدل على الدور الخاص لزهير ، الشاعر الكبير ماقبل الإسلام ، بالنسبة للثقافة العربية الإسلامية، ولو أن هذا الدور يتجلى بشكل ضعيف جدا من حيث الكم (عدد المرات) .

شعراء العصر الأموي

من بين شعراء هذا العصر الذين يرد ذكرهم عند المسعودي لا بد من الإشارة إلى ثلاثة مشاهير من شعراء البلاط المداحين هم الأخطل (غياث بن غوث بن الصلت (م ، 3 ، ص 63 ، 256) ؛ وجرير (م ، 3 ، ص 160)؛

والفرزدق ـ همام بن غالب (32) (م ،3، ص 205)، وكذلك شبة بن عقال (م، 3 ، ص 323) ، ابن اخت الفرذدق وصهره ، ولو أنه أقل شهرة منه .

والاتجاه الثاني في الشعر العربي ذاك الزمن ، أي الغزل، يمثله في "مروج الذهب..." ذائع الصيت عمر بن أبي ربيعة (م ، 3 ، ص 107)، وكوكبة من الشعراء العذريين : جميل بن عبد الله بن مَعمَر العذري ، الذي اشتهر بأشعاره عن حبه لبثينة (33) (م، 3 ، ص 383) ؛ وقيس بن ذريح الذي تغنى بحب لبنى (34) (م، 4، ص 160ـ159)؛ وقيس بن الملوح (مجنون ليلي) (م ، 4 ، ص 160ـ158)؛ وكثير (35) الذي تغنى بعزة (م ، 3 ، ص 85، 87، 211، 401)؛ وعروة بن حزام المتيم بعفراء (36) (م ،4، ص 156ـ157).

يذكر المسعودي اثنين من كبار شعراء هذا العصر هما عبد الله (عبيد الله) بن قيس الرقَيَات (ابن قيس الرقيات) (م ، 3 ، ص 116، 207)، والكميت بن زيد 37 الأسدي (م ، 3 ، ص 242 ـ 246، 268ـ 269) .

وإلى ذلك يذكر المؤلف اثنين من شعراء الخوارج هما قطري بن الفجاءة التميمي (38) (م ،3، ص 143) ومصقلة بن عتبان الشيباني (م ، 3 ، ص 203).

المسعودي يذكر أيضا عددا من الشعراء الأقل شهرة في عصر الأمويين، والذين ربما يمثلون المستوى الجماهيري للإبداع الشعري في ذاك الزمن . ومن هؤلاء عبد الله بن الزبير الأسدي (م،3، ص 137،32)؛ وعبد الرحمن بن همام (هشام) السلولي (م، 3 ، ص 37) ؛ و عبد الرحمن بن الحكم أخو الخليفة مروان بن الحكم (م، 3 ، ص 95) ؛ والشاعر الكوفي أعشى ربيعة (م ، 3 ، ص 407ـ406)؛ وأعشى همدان (عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني) 39 (م ، 3، ص 103ـ 104، 162ـ 163)؛ ومسلم بن قتيبة مولى بني هاشم (م ،3 ، ص ، 72) ومحمد

بن أسلم الأنصاري (م ، 3، ص 79)؛ والسيد بن محمد الحميري (م ، 3 ، ص 24، 88)؛ ومحمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان الذي لم نتمكن من إيجاد ذكر له في المراجع المتاحة لنا، وربما كان من بني أمية (م ، 4، ص 349 ـ 352) .

في ما يلي بعض المعطيات عن مرات الذكر في السياقات إياها لثلاثة وعشرين شاعرا من هذه المجموعة الفرعية :

الأخطل	1 في كل من السياقين 8، 9
جرير	1 في كل من السياقات 2، 3 ، 5، 8، 10
الفرزدق	1 في كل من السياقين 7، 8
شبة بن عقال	1 في السياق 12
عمر بن أبي ربيعة	1 في السياق 8
جميل	1 في السياق 3
قيس بن ذريح	1 في السياق 2
قيس بن الملوح	= = = = = =
كُثير	= = = = = 6، و2 في السياق 10
عروة بن حزام	3 في السياق 2
ابن قيس الرقيات	2 في السياق 2
الكميت	5 في السياق 2، و1 في السياق 9
قطري بن فجاءة	2 في السياق 10
مصقلة بن عتبان	1 في السياق 10

عبد الله بن الزبير الأسدي	===== 3
عبد الرحمن السلولي	====== 10
عبد الرحمن بن الحكم	2 في السياق 10
أعشى ربيعة	1 في السياق 10
أعشى همدان	1 في كل من السياقين 2، 10
مسلم بن قتيبة	== السياق 8
محمد بن أسلم	1 في كل من السياقين 8، 10
السيد بن محمد	2 في السياق العاشر
محمد بن يزيد بن مسلمة	1 في السياق العاشر

نرى أن السياق الثاني (شخصية القص) هو الأكثر تكرارا بالنسبة لشعراء هذه المجموعة الفرعية، فقد استخدم 14 مرة. والأكثر شعبية بين الشخوص هو الكميت (ورد ذكره 5 مرات) وعروة بن حزام (3 مرات). أما الباقون الذين وردوا في هذا الحقل فيأتي كل واحد منهم في هذا الدور مرة واحدة . ومن بين سبعة شعراء يرد ذكرهم عند المسعودي كشخوص القص نجد أن ثلاثة (قيس بن ذريح ، وقيس بن الملوح، وعروة بن حزام) يمثلون ما يعرف باتجاه الحب العذري في الشعر العربي في العصر الوسيط الباكر. إن الشعراء العذريين أبطالُ قصص حب يكتنفها الحزن والأسى . أما جرير وأعشى همدان فهما شخصا قص يتعلق بالحجاج ، بينما الكميت يبدي مشايعته لبني علي ومعاداة بني أمية، ما يدل على اهتمام هؤلاء الثلاثة بالصراع السياسي الاجتماعي في عصر بني أمية.

أما السياق العاشر (مؤلف أبيات في الشأن العام) فيعادل السياق الثاني من حيث عدد مرات الاستخدام (14 مرة) . يرد ذكر عشرة شعراء في

هذا السياق : أربعة منهم - كُثير، والقطري بن الفجاءة، وعبد الرحمن بن الحكم، والسيد بن محمد - يذكرون مرتين، والباقون مرة واحدة لكل منهم .

السياق الثامن (مؤلف أبيات رثاء) يستخدم هنا 6 مرات ، وبالتساوي (مرة واحدة) بين جميع الشعراء المذكورين فيه.

يورد المسعودي مرة واحد شعر كل من ثلاثة هم : جرير، وجميل ، وعبد الله بن الزبير الأسدي ، وذلك كنماذج عن إبداعاتهم (السياق الثالث) .

ويستخدم ثلاث مرات أيضا السياق التاسع ، الذي ترد فيه مقتطفات من شعر كل من الأخطل والكميت وأعشى همدان.

ويستخدم مرة واحدة كل من السياقات الأخرى، وهي: الخامس (المكانة الثقافية لجرير) ، والسادس (خبر وفاة كثير) ، والسابع (المقصود بالأبيات الشعرية - الفرزدق) ، والثاني عشر (شبة بن عقال صاحب قول مأثور) .

ومن بين الشعراء الأمويين نجد أن الكميت هو أكثر من ترد أخباره، إذ يذكر 6 مرات إجمالا، خمسة منها كشخصية القص (السياق الثاني) ، ومرة واحدة يقتبس شعره شخص آخر (السياق التاسع) .

يليه جرير الذي يرد ذكره 5 مرات في خمسة سياقات .

وثمة شاعران يرد ذكر كل منهما 3 مرات ، هما: كثير في سياقين (اسم المتوفى - السياق السادس) ، ويورد المسعودي مقطعين من شعره في الشأن العام (السياق العاشر). أما الآخر فهو عروة بن حزام الذي يرد ذكره ثلاث مرات في سياق واحد هو السياق الثاني (سبق وأشرنا

إلى أنه أحد الشخوص الأكثر شعبية في القص) .

ثمانية شعراء يرد ذكر كل منهم مرتين، و11 شاعرا يرد ذكر كل منهم مرة واحدة .

شعراء مرحلة " التجديد"

وفقا للتحقيب المتبع في الدراسات الروسية عن الأدب العربي، والشعر في المقام الأول ، فإن مرحلة ما يسمى بالتجديد (أواسط القرن الثامن - نهاية الربع الأول من القرن التاسع) تعتبر أول مرحلة للتطور الأدبي الناضج . ويرد في "مروج الذهب... " ذكر الشعراء الذين أبدعوا في هذه المرحلة. والأكثر شهرة من بينهم : الشاعر العراقي العباس بن الأحنف 40 (م ، 4 ، ص 11ـ109)، والشاعر البارز أبوالعتاهية 41 (م ، 3 ، ص 319، 325 ـ239....)، وشاعر ذاك العصر الكبير وأحد أسطع رموزه أبو نواس 42 (م ،3، ص 327...)، والشاعر المعروف كلثوم بن عمرو بن أيوب العتابي 43 (م ، 3، ص 365 ...) .

ويرد عند المسعودي ذكر جملة من الشخصيات الشعرية في ذاك العصر، كصديق الأصمعي - الحسن بن علي الحرمازي (م ، 4، ص 142) ؛ ومعاصر هارون الرشيد - أبو الغول الشاعر (م ، 3 ، ص 377...)؛ وأبو جزرة (أبو حرة) الأعرابي (لم نجد له ذكرا في مراجع أخرى)، (م ، 3 ، ص 391) ؛ أبو يعقوب الخريمي (م ،4، ص 414) ؛ ومعاصر الخليفة الهادي- أبو المعافي (م ،3، ص 337) ؛ وأبو نخيلة الذي بدأ سيرته الأدبية في عهد الأمويين (م ، 3 ، ص 278) ؛ ومعاصر المأمون - أبو سعيد المخزومي (م، 4 ، ص 45) ؛ وعلي بن أبي معاذ (م، 3، ص 389) الذي لم نستطع التحقق من هويته عبر مصادر أخرى؛ ومحمد بن عطية العطوي (م، 4، ص 226) الذي يبدو أنه عاش في عهد هارون الرشيد؛ وأشجع السلمي (م،

3 ، ص 390 ـ392) أحد ذوي الحظوة عند جعفر بن يحيى البرمكي؛ ومعاصر هارون الرشيد - بكر بن النطاح (م ، 4 ، ص 62) ؛ ومعاصر الخليفتين الهادي والمهدي ومداح البرامكة ابن أبي حفصة (م، 3، ص 299، 332)؛ وابن العذافر القمي (م، 4، ص 238) ؛ وابن يامين البصري (م ، 3 ، ص 345 ـ 346) الذي عاش في عهد الخليفة الهادي؛ ومعاصر الخليفة المأمون- ابن أبي نعيم (م ،4، ص 22) ؛ ومعاصر هارون الرشيد ابن أبي عُيينة (م ، 3 ، ص 349) ؛ وابراهيم بن المهاجر البجليّ الذي عاش في عهد الخليفة أبي العباس السفاح (م ،3، ص 43) ؛ وابراهيم بن حرملة الذي عاصر الخليفة المنصور(م ، 3 ، ص 329) ؛ ومداح هارون الرشيد - منصور النمري (م، 3، ص 391) ؛ ومداح الخليفتين المنصور والمهدي - مطيع بن إياس الكوفي (م،4، ص 315) ؛ ومعاصر المأمون- محمد بن حازم الباهلي (م، 4، ص 30ـ 31) ؛ وصالح بن عبد القدوس (م ،4، ص ص175 - 176) ؛ والقريب من البرامكة صالح بن طريف الأعرابي (م ، 3 ، ص 390 - 391) ؛ ومعاصر هارون الرشسد - الشاعر العماني الذي لم نجد له ذكرا في مراجع أخرى (م ، 3 ، ص 362)؛ واسماعيل بن ابراهيم بن حمدويه الحمدوني (م ،4، ص 220) الذي عاش تقريبا في الفترة ذاتها، وحماد عجرد (م ، 4 ، ص 315) الذي بدأ مسيرته في عهد الأمويين وذاعت شهرته في عهد الخليفة العباسي المهدي؛ وأخيرا معاصر أبي النواس ـ شوسة الفقعسي الذي لم نستطع التحقق من هويته عبر مراجع أخرى (م ، 3 ، ص 366).

في ما يلي عدد مرات ذكر ممثلي هذه المجموعة الفرعية في السياقات إياها :

الشعراء "المجددون"

العباس بن الأحنف	مرة واحدة في كل من 2، 3، 5
أبو العتاهية	عشرمرات في 2، وخمس في 3، ومرتان في 5، ومرة واحدة في كل من 6 و 8
أبو نواس	أربع مرات في 2، ومرتان في 3، ومرة واحدة في كل من 5 و 8
العتابي	مرتان في 2 ، ومرة واحدة في كل من 5، 8، 10
الحرمازي	مرة واحدة في 1
أبو الغول الشاعر	مرتان في 10
ابو جزرة(حرة) الأعرابي	مرة واحدة في 8
الخريمي	مرة واحدة في 10
ابو المعافي	= = = = = = =
أبو نخيلة	مرة واحدة في 2
المخزومي	مرة واحدة في 10
العطوي	مرة واحدة في 3
أشجع	ثلاث مرات في 8
بكر بن النطاح	مرة واحدة في 3
ابن أبي نعيم	مرة واحدة في 10

ابن أبي عيينة	= = = = = = =
ابن أبي حفصة	مرة واحدة في كل من 2، 3
ابن العذافر القمي	مرة واحدة في 10
ابن يامين البصري	مرة واحدة في 2
ابراهيم بن مهاجر البجليّ	مرة واحدة في 10
ابراهين بن حرملة	= = = = = = =
منصور النمري	مرة واحدة في 8
مطيع بن إياس	= = = = 5
محمد الباهلي	= = = = 10
صالح بن عبد القدوس	= = = = 9
صالح الأعرابي	= = = = 10
العماني	= = = = 2
الحمدوني	= = = = 3
حماد عجرد	= = = = 5
شوسة الفقعسي	= = = = 5
المجموع	67

إن السياق الثاني (شخصية القص) هو الأكثر استخداما (21 مرة). والأكثر شعبية في هذا السياق هو أبو العتاهية الذي يرد ذكره كبطل الخبر 10 مرات . ويليه ابو نواس (شخصية القص 4 مرات)، ثم العتابي (يرد ذكره مرتين). أما الشعراء الخمسة الآخرون في هذا الحقل فيرد ذكر كل منهم مرة واحدة .

والسياق التالي من حيث التكرار هو السياق العاشر (مؤلف أبيات شعرية في الشأن العام) ، فيستخدم 13 مرة . وفيه يرد ذكر أبو الغول الشاعر مرتين ، ومرة واحدة لكل من 11 شاعرا .

ويستخدم السياق الثالث (نموذج من إبداع الشاعر) 12 مرة. وهنا أيضا يتصدر أبو العتاهية الذي يرد ذكره 5 مرات؛ يليه أبو النواس (مرتين) . أما الآخرون وعددهم خمسة فيرد ذكر كل منهم مرة واحدة.

ويستخدم السياق الثامن (مؤلف أبيات رثاء) 9 مرات، فيرد ذكر أشجع ثلاث مرات، وعلي بن أبي معاذ مرتين، ومرة واحدة يرد ذكر أربعة شعراء آخرين هم : أبو العتاهية ، أبو نواس ، أبو جدرة الأعرابي، ومنصور النمري . إن أغلبية القصائد المذكورة في السياق الثامن مكرسة لمصرع سلالة البرامكة وبعض أبنائها، وربما كان هذا الموضوع أحد الأحداث التاريخية الهامة بالنسبة لشعراء مرحلة "التجديد".

يشير المسعودي ثماني مرات إلى المكانة الثقافية لهذا الشاعر أو ذاك من شعراء هذه المجموعة الفرعية (السياق الخامس)، فيذكر أبا العتاهية مرتين، ومرة واحدة كلا من ستة شعراء آخرين.

ويستخدم السياق التاسع (مؤلف أبيات مقتبسة) في "مروج الذهب ..." مرتين ، وذلك عند توصيف أبا العتاهية وصالح بن عبد القدوس .

وينطبق الأمر نفسه على السياق السادس (اسم المتوفى)، فيرد ذكر أبي العتاهية مرة واحدة.

والسياق الأول (مصدر الخبر) يستخدم مرة واحدة ، حيث يرد ذكر الحرمازي . ومن حيث عدد مرات الذكر نجد أن ترتيب شعراء التجديد هو على النحو التالي : أبو العتاهية (19 مرة في خمسة سياقات)؛ أبو نواس (8 مرات في 4 سياقات)؛ العتابي (5 مرات في 4 سياقات)؛ العباس

بن الأحنف (3 مرات في 3 سياقات)؛ أشجع (3 مرات في سياق واحد)؛ أبو الغول الشاعر (مرتين في سياق واحد)؛ علي بن أبي معاذ (مرتين في سياق واحد)؛ وابن أبي حفصة (مرتين في سياقين) . أما الثلاثة والعشرون الآخرون فيرد ذكر كل منهم مرة واحدة فقط.

شعراء مرحلة نشوء الكلاسيكية العربية

إن المرحلة الثانية في تطور الشعر العربي هي مرحلة نشوء الكلاسيكية العربية التي تمتد زمنيا من عشرينات القرن التاسع حتى أواخره .

وتتمثل هذه المرحلة في "مروج الذهب ..." بكبار الشعراء، مثل أبي تمام ، والبحتري ، وابن المعتز ، وابن الرومي. وبشعراء أقل مكانة من بينهم دعبل بن علي الخزاعي ، وأبوالعيناء، وأبو علي البصير ، وعلي بن الجهم الشامي ، ومعاصر الخليفة المكتفي - علي بن بسام، والشاعر الحجازي ابن ميادة ، وشاعر الغزل الذي ولد في البصرة أو في مصر ماني الموسوس الذي سمي كذلك بسبب سلكوه الغريب، وشاعر البلاط عند المتوكل - مروان بن أبي الجنوب ، والبصري الذي اشتهر بعد انتقاله إلى بغداد الحسين بن الضحاك الخليع.

وثمة عدد من الشعراء أقل شهرة يمثلون هذه المرحلة منهم : أبو فرعون التميمي الذي عاش في الكوفة ؛ وأبو هفان المخزومي معاصر الخليفة المعتصم؛ والشاعر الشيعي علي بن محمد بن جعفر العلوي الحماني ؛ وأحمد بن يحيى الفران (العراف) الكوفي ؛ وأحمد بن طاهر الكاتب ؛ وإدريس بن أبي حفصة ؛ ويعقوب التمار المقرب من الخليفة المنتصر ؛ والشاعر المعروف بالسلمي معاصر الخليفة المتوكل؛ والشاعر الحكم بن قنبرة المازني البصري ؛ والشاعر الحارثي البدوي.

وأخيرا ، ثمة شاعران لم نستطع التحقق من هويتهما عبر مراجع أخرى، هما : الكناني ، والحسن بن محمد بن فهم .

فيما يلي عدد مرات ذكر هؤلاء الشعراء الخمسة والعشرين في السياقات إياها:

شعراء بداية مرحلة الكلاسيكية

أبو تمام	5 مرات في كل من السياقين الثاني والخامس . ومرة واحدة في السياق 6، ومرتان في السياق 10
البحتري	مرتان في كل من السياقين الأول والثاني ، ومرة في كل من الثالث والخامس ، وثلاث مرات في العاشر
ابن المعتز	3 مرات في السياق الثالث، ومرتان في الخامس
ابن الرومي	6 مرات في السياق الثالث، و3 مرات في السياق لخامس، ومرة واحدة في السياق السادس
دعبل	مرة واحدة في كل من السياقين الثامن والعاشر
أبو العيناء	3 مرات في السياق الثاني، ومرة واحدة في كل من الخامس والسادس

أبو علي البصير	مرة واحدة في كل من السياقات الثاني والثالث والعاشر ، ومرتين في الخامس
علي بن الجهم	مرة واحدة في كل من الأول والخامس والسادس والثامن، ومرتين في كل من الثاني والثالث ، و3مرات في العاشر
ابن بسام	مرة واحدة في كل من الثالث والسادس، ومرتان في الخامس ، خمس مرات في العاشر
ابن ميادة	مرة واحدة في الأول
ماني الموسوس	مرة واحدة في الثاني
مروان بن أبي الجنوب	مرتان في العاشر
الحسن الخليع	مرة واحدة في كل من الثاني والثامن والعاشر
أبو فرعون	مرة واحدة في الثالث
أبوهفان	مرة واحدة في كل من الثالث والعاشر
علي الحماني	3 مرات في الثاني ، ومرتان في الثامن، ومرة واحدة في العاشر
أحمد الكوفي	مرتان في الثالث

أحمد الكاتب	مرة واحدة في كل من السادس والثامن
ادريس بن أبي حفصة	مرة واحدة في العاشر
يعقوب التمار	=======
السلمي	=======
الحكم بن قنبرة	مرة واحدة في كل من الخامس والثالث
الحارث	مرة واحدة في كل من الثاني والسابع
الكناني	مرة واحدة في العاشر
الحسن بن محمد الفهم	=======

إن السياق الأكثر تكرارا (26 مرة) هو السياق العاشر (مؤلف أبيات في الشأن العام) . ولعل في ذلك دليلا على المستوى العالي لانخراط شعراء مرحلة تشكُل الكلاسيكية العربية في الحياة الاجتماعية السياسية لذاك العصر . والأول في هذا السياق هو ابن بسام (5 مرات)، يليه البحتري وعلي بن الجهم (3 مرات لكل منهما). أما الشعراء الثلاثة عشر الباقون في هذا الحقل فيرد ذكر كل منهم مرة ، أو مرتين .

والسياق التالي من حيث الاستخدام (19 مرة) هو السياق الثاني (شخصية القص)، ثم الثالث (نموذج من إبداع الشاعر).

في السياق الثاني يفوز أبو تمام بالعدد الأكبر من مرات الذكر (5مرات) ، يليه البحتري و علي الحماني (3 مرات لكل منهما)، ثم أخيرا أبو علي البصير ، وماني الموسوس، والحسن الخليع ، والحارث (مرة واحدة لكل منهم) .

ومن حيث عدد مرات الذكر في السياق الثالث يحتل المركز الأول ابن الرومي (6 مرات) . وفي المرتبة الثانية يأتي ابن المعتز (3 مرات) . ثم علي بن الجهم وأحمد الكوفي فيرد ذكر كل منهما مرتين . وستة في هذا السياق يرد ذكرهم مرة واحدة لكل منهم وهم : البحتري ، وأبو علي البصير، وابن بسام، وأبو فرعون ، وأبو هفان ، والحكم بن قنبرة .

وفي السياق الخامس (المكانة الثقافية) الذي يستخدم 18 مرة، يرد ذكر أبي تمام 5 مرات، وابن الرومي 3 مرات، وابن المعتز و أبو علي البصير وابن بسام مرتين لكل منهم، والبحتري وأبو العيناء وعلي بن الجهم والحكم بن قنبرة مرة واحدة لكل منهم .

أما السياقات الأخرى فهي أقل استخداما.

وهكذا نجد أن السياق السادس (اسم المتوفى) والسياق الثامن (مؤلف أبيات رثاء) استخدم 6 مرات (لكل منهما) . وفي السياق السادس يرد ذكر 6 شعراء مرة واحدة لكل منهم. ومن بين خمسة أشخاص في السياق الثامن يرد ذكر علي الحماني مرتين. أما الباقون فمرة واحدة لكل منهم .

في السياق الأول (مصدر الخبر) الذي استخدم إجمالا 4 مرات يرد ذكر البحتري مرتين ، بينما يرد مرة واحدة ذكر كل من علي بن الجهم، وابن ميادة .

وأخيرا يرد في السياق السابع (المقصود بالأبيات الشعرية) ذكر الحارث مرة واحدة .

ومن حيث عدد مرات الذكر نضع قائمة الأسماء على النحو التالي : أبو تمام 13 مرة ؛ ابن الرومي وأبو علي الجهم 11 مرة لكل منهما؛ البحتري وابن بسام 9 مرات لكل منهما؛ علي الحماني 6 مرات؛ ابن المعتز وأبو

العيناء وأبو علي البصير خمس مرات لكل منهم؛ الحسن الخليع 3 مرات؛ دعبل ومروان بن أبي الجنوب وأبو هفان ، وأحمد الكوفي ، وأحمد الكاتب والحكم بن قنبرة والحارث مرتان لكل منهم، ومرة واحدة لكل من الباقين.

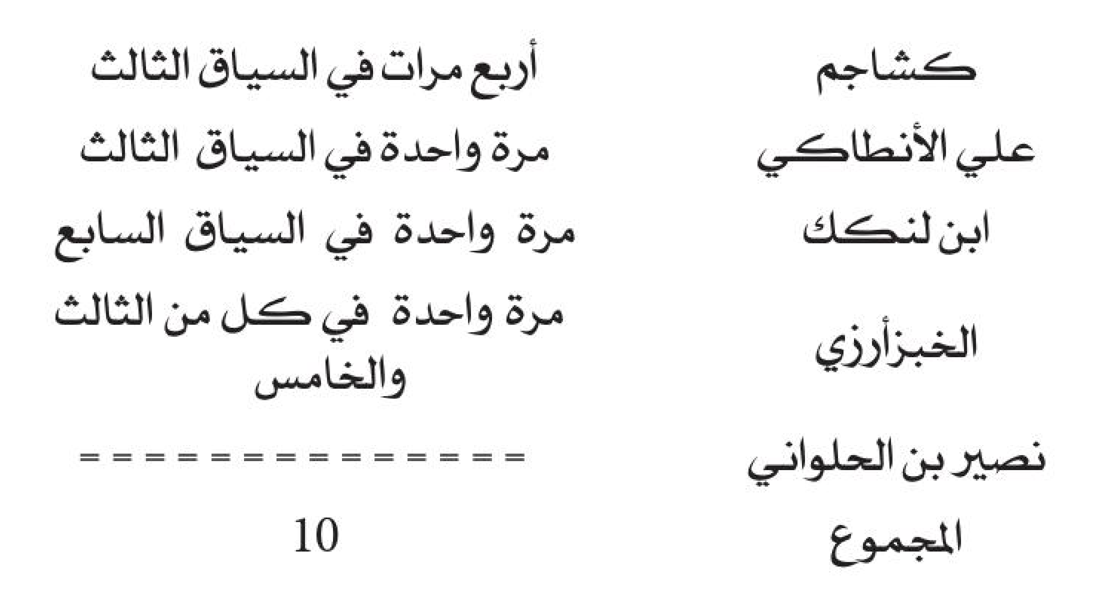
شعراء مرحلة ازدهار الكلاسيكية العربية

إن هذه المرحلة الأدبية التي تحظى باهتمام كبير من قبل علم الاستشراق الروسي تمتد ثلاثة قرون (العاشر - الثاني عشر). لم يعاصر المسعودي الذي توفي عام 965 إلا بداية هذه المرحلة، ولذلك لا يرد في مؤلفه سوى عدد قليل من شعراء ذاك العصر، الأكثر شهرة بينهم هو محمود بن الحسين الكاتب المعروف بكُشاجم (م ، 4 ، ص 363 ...)

والشعراء الأقل شهرة في النصف الأول من القرن العاشر هم : معاصر المسعودي ـ علي بن محمد التنوخي الأنطاكي المولود في البصرة (م، 4 ص 321ـ320) ؛ وكذلك البصري ابن لنكك (أبو الحسين محمد بن محمد بن جعفر (م، 4، ص 352) ؛ ومعاصر الخليفة المتقي – نصر بن أحمد الخبزأرزي (م ، 4 ، ص 352، 353)؛ والشاعر الشيعي الضرير نصر بن نصير الحلواني (م ، 4 ، ص 321) .

في ما يلي عدد مرات ذكر خمسة من شعراء هذه المجموعة الفرعية في بعض السياقات :

شعراء ازدهار الكلاسيكية



كشاجم	أربع مرات في السياق الثالث
علي الأنطاكي	مرة واحدة في السياق الثالث
ابن لنكك	مرة واحدة في السياق السابع
الخبزأرزي	مرة واحدة في كل من الثالث والخامس
نصير بن الحلواني	= = = = = = = = = = = = = = =
المجموع	10

ومن بين ثلاثة سياقات يرد فيها عند المسعودي ذكر شعراء هذه المرحلة، نجد أن الأكثر استخداما هو السياق الثالث (نموذج من إبداع الشاعر). يرد في هذا السياق ذكر كشاجم أربع مرات من أصل سبع ، بينما المرات الثلاث الأخرى هي من نصيب علي الأنطاكي ، والخبزأرزي، ونصير الحلواني .

ويستخدم مرتين السياق الخامس (المكانة الثقافية) ، وهو موزع بين الخبزأرزي ونصير بن الحلواني .

وأخيرا، نجد في السياق الخامس (المقصود بالأبيات الشعرية) ابن لنكك مرة واحدة فقط .

وهكذا، فإن الشاعر الأكثر ذكرا من بين شعراء مرحلة ازدهار الكلاسيكية هو كشاجم (4 مرات)، يليه الخبزأرزي ونصير بن الحلواني (مرتان لكل منهما) ، ويشغل ابن لنكك وعلي الأنطاكي المرتبة الأخيرة في هذه القائمة (يرد مرة واحدة ذكر كل منهما).

الشعراء الموسيقيون

تلعب الموسيقى والغناء دورا هاما في مرحلة نضج الثقافة العربية الإسلامية ، بل لا يندر أن يقوم المغنون والموسيقيون بدور الشعراء (44). ولذا رأينا ادراجهم في مجموعة فرعية ضمن المجموعة العامة لممثلي الثقافة الشعرية العربية .

هنا، لا بد بادئ ذي بدء من الإشارة إلى أبناء عائلة الموصلي الموسيقية الشعرية الشهيرة . ومنهم الموسيقي والشاعر ابراهيم بن ماهان الموصلي الذي احتل مكانة بارزة في بلاط هارون الرشيد 45 (م، 3، ص 348 ، 370) ؛ وابنه اسحاق بن ابراهيم الموصلي الموسيقي المعروف الذي كان من مقربي وسمار الخليفتين هارون الرشيد والمأمون (م ، 3 ، ص 208 ...) ؛ وحماد بن اسحاق بن ابراهيم الموصلي الذي كان في الأساس من علماء الحديث ، دون أن تنقصه مواهب الأدب والموسيقى (م ، 3 ، ص 257).

وفي ميدان الموسيقى والغناء وقرض الشعر اشتهر عم المأمون، ابراهيم ابن الخليفة المهدي من الجارية السوداء شكلة، الذي ادعى الخلافة في عام 817، وفي الفترة 819 ـ 826 توارى عن أنظار أصحاب بن أخيه، ثم ألقي القبض عليه ، وفي ما بعد عُفيَ عنه 46.

ويرد في «مروج الذهب ...» أيضا شعراء موسيقيون اشتهروا أيام هارون الرشيد، ومنهم : أبو زكار الطنبوري 47 ، وابن جامع، ومسكين المدني (أصله من المدينة) .

ومن الشعراء الموسيقيين في مراحل لاحقة يذكر المسعودي معاصر المنتصر – بنًان بن الحارث العواد ، وأحمد بن سعيد المكي. وكان يحيى بن علي المنجم النديم مشهورا بمعرفة نظريات الموسيقى 48.

في ما يلي عدد مرات ذكر عشرة من ممثلي هذه المجموعة الفرعية في السياقات إياها :

ابراهيم الموصلي	مرة واحدة في كل من الأول والعاشر
اسحاق الموصلي	4 مرات في الأول، ومرتان في الثاني، ومرة واحدة في الثالث
حماد الموصلي	مرة واحدة في الأول
ابراهيم بن المهدي	4 مرات في الأول، وسبع مرات في الثاني،ومرة واحدة في كل من الخامس والعاشر
أبو زكار الطنبوري	مرة واحدة في الثالث
ابن جامع	مرة واحدة في الثاني
بنًان بن الحارث العواد	مرة واحدة في الثالث
المكي	مرة واحدة في الأول
يحيى بن علي المنجم النديم	مرتان في الثاني، ومرة واحدة في العاشر
المجموع	31

نلاحظ أن الأكثر تكرارا هو السياق الأول (مصدر الخبر)، وقد استخدم 13 مرة . ويرد ذكر إسحاق الموصلي وابراهيم بن المهدي في هذا السياق 4 مرات لكل منهما. بينما يرد ذكر يحيى بن علي المنجم النديم مرتين . ويرد ذكر ثلاثة آخرين في هذا السياق مرة واحدة لكل منهم .

يلي ذلك من حيث التكرار السياقُ الثاني (شخصية القص) إذ استخدم 11 مرة، كان العدد الأكبر منها لابراهيم بن المهدي (7 مرات)، يليه اسحاق الموصلي (مرتين) ، ثم ابن جامع ، ومسكين المدني (مرة واحدة لكل منهما) .

في السياق الثالث (نموذج من إبداع الشاعر) يرد مرة واحدة ذكر كل من : اسحاق الموصلي ، وأبي زكار الطنبوري، وبنان بن الحارث العواد .

ويستخم ثلاث مرات أيضا السياق العاشر (مؤلف أبيات في الشأن العام) .

والسياق الخامس (المكانة الثقافية) يستخدم مرة واحدة يرد فيها ذكر ابراهيم بن المهدي .

إن المغني والموسيقي الأكُر ذكرا هو ابراهيم بن المهدي (13 مرة)؛ يليه بفارق كبير إسحاق الموصلي (7 مرات)؛ ثم يحيى بن المنجم النديم (3 مرات)، وأخيرا ابراهيم الموصلي (مرتان) . أما الستة الباقون فيرد ذكرهم عند المسعودي مرة واحد لكل منهم .

إن الفقرات الواردة أدناه مكرسة لحملة الثقافة الشعرية العربية الذين تعاطوا الشأن الثقافي دون أن يتخذوا ذلك مهنة .

رجال الدين كهواة للشعر

نصادف في "مروج الذهب ..." شخصيات دينية لديهم اهتمامات شعرية واضحة كل الوضوح . ومن هؤلاء عالم الحديث سليمان بن قتة 49 (م، 3، ص 74...)، والداعية وناقل الموروث الديني ابن السماك (م، 3، ص 359)، والفقيه المعروف محمد بن داود الأصبهاني الزاهري 50 (م ،4، ص

296) والنحوي الشهير الفقيه والأديب نفطويه (م ، 4 ، ص 289ـ 294) .

في ما يلي مرات ذكر أربعة من ممثلي هذه المجموعة الفرعية في بعض السياقات :

علماء الدين الشعراء

سليمان بن قتة	مرة واحدة في كل من السياقين الثامن والعاشر
ابن السماك	مرة واحدة في الثالث
الأصبهاني	مرة واحدة في الأول، ومرتان في السادس
نفطويه	مرة واحدة في الأول
لمجموع	7

استخدم كل من السياقين الثالث (نموذج من إبداع الشاعر) والسادس (اسم المتوفى) مرتين ، أما السياقات الأخرى (الأول ، الثامن ، والعاشر) فقد استخدم كل منها مرة واحدة فقط .

تجدر الملاحظة هنا أن كلتا الحالتين اللتين استخدم فيهما السياق السادس تتعلقان بالشخص ذاته ـ أي الأصبهاني، ما يدل على الأهمية الخاصة لهذه الشخصية عند مؤلف "مروج الذهب ...". وبالإضافة إلى ذلك فإن الأصبهاني هو عالم الدين الشاعر الأكثر تكرارا في هذا المؤلف (ثلاث مرات) .

يرد ذكر سليمان بن قتة مرتين ، أما ابن السماك ونفطويه فيرد ذكر كل منهما مرة واحدة .

رجالات الدولة كهواة للشعر

أولا . تجدر الإشارة بين هذه المجموعة الفرعية إلى مخضرمين عاصروا الخلفاء الراشدين والأمويين ، ومنهم : علي بن أبي طالب؛ والمحارب الشهير عمرو بن معد يكرب الزبيدي ؛ التابعي الفارس زفر بن الحارث الكلابي الذي حارب في صفين (عام 657) إلى جانب معاوية بن أبي سفيان ؛ والقائد العسكري والشخصية السياسية الأحنف بن قيس ؛ وأحد أكبر رجالات الدولة والثقافة في عهد الأمويين الحجاج بن يوسف، ووالي خراسان أواخر عهد الأمويين نصر بن سيار.

في ما يلي السياقات وعدد مرات ما يرد فيها من ذكر ستة شخصيات من المجموعة الفرعية الأولى:

رجالات الدولة الأدباء المخضرمون

علي بن أبي طالب	عاشر، ومرتان في الحادي عشر، ومرة واحدة في الثالث عشر
عمرو بن معديكرب	مرة واحدة في السياق الثاني
زفر بن الحارث	مرة واحدة في السياق العاشر
لأحنف بن قيس	مرة واحدة في السياق الثاني
الحجاج بن يوسف	3 مرات في العاشر، ومرة واحدة في الثاني عشر
نصر بن سيار	ومرتان في العاشر
المجموع	19

يبين الجدول السابق أن الأكثر تكرارا هو السياق العاشر (مؤلف أبيات شعر في الشأن العام) ، حيث استخدم 9 مرات. (ذكر ثلاث مرات كل من علي بن أبي طالب والحجاج بن يوسف ، ومرتين نصر بن سيار، ومرة واحدة زفر بن الحارث الكلابي) .

والسياق التالي من حيث التكرار هو الثامن (مؤلف أبيات رثاء). إن مرات الذكر الأربع هنا تخص علي بن أبي طالب.

وكل من السياقين الثاني (شخصية القص) والحادي عشر (صاحب قول مأثور) يستخدم مرتين . وفي السياق الثاني يرد مرة واحدة ذكر كل من عمرو بن معد يكرب والأحنف بن قيس، بينما يرد في السياق الحادي عشر ذكر علي بن أبي طالب مرتين .

في السياق الثاني عشر نجد أن صاحب الخطبة البلاغية هو الحجاج بن يوسف ، بينما في السياق الثالث عشر نجد علي بن أبي طالب في دور الشاعر الذي يتحدث عن الدنيا الفانية. وكلاهما يرد ذكره مرة واحدة .

ومن بين أشخاص هذه المجموعة الفرعية نجد أن ذكر علي بن أبي طالب يتكرر أكثر من غيره (10 مرات) ، يليه الحجاج بن يوسف (4 مرات) ، ثم نصر بن سيار (مرتين) . أما الباقون من هذه القائمة ، وعددهم ثلاثة ، فيرد ذكر كل منهم مرة واحدة .

ثانيا . يمثل عصرَ السلالة العباسية عددٌ من رجالات الدولة الأدباء أمثال ابراهيم بن العباس الصولي الذي شغل مناصب رفيعة عند الخلفاء العباسيين من المأمون وحتى المتوكل ؛ وأخو المأمون الأمير العباسي أبو عيسى بن الرشيد والي الكوفة الذي اشتهر بالجمال والبراعة في نظم الشعر.

يلي هؤلاء كل من : صاحب منطقة الجبال شبه المستقل عن سلطة الخلافة أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي ؛ ووزير المعتصم والواثق – محمد بن عبد الملك بن الزيات 51 ؛ ومعاصر أبي تمام وصاحب المنصب الكبير الحسن بن وهب الكاتب ؛ والموظف البارز وراعي الأدب الحسن بن رجاء ؛ والفتح بن خاقان "كاتب الخليفة المتوكل ومولاه ، أغلب الناس عليه وأقربهم منه وأكثرهم تقدما عنده ، وكان له نصيب من العلم ومنزلة من الأدب"، شغل العديد من المناصب المهمة في إدارة الدولة ، وقتل وهو يدافع عن المتوكل أثناء تمرد الحرس التركي 52؛ وكاتب الجند وشاعر الديوان خالد بن يزيد الكاتب ؛ ورئيس ديوان الرسائل عند الخليفة المستعين – سعيد بن حميد، 53 "وكان حافظا لما يستحسن من الأخبار ، ويستجاد من الأشعار، متصرفا في فنون العلم"؛ والكاتب ابراهيم بن المدبر 54 ؛ ومحمد بن أبي عون ؛ ومحمد بن نصر بن بسام والد الشاعر الذي مر ذكره أعلاه؛ وأخيرا الخليفة العباسي المستكفي .

في ما يلي السياقات وعدد مرات ذكر 13 شخصية من المجموعة الفرعية الثانية :

رجال الدولة الأدباء في العصر العباسي

ابراهيم بن العباس	مرتان في كل من الثاني والثالث، ومرة واحدة في كل من الخامس والحادي عشر
أبو عيسى بن الرشيد	مرة واحدة في الخامس
أبو دلف	مرتان في الثاني، ومرة واحدة في كل من الثالث السادس والسابع

ابن الزيات	مرة واحدة في كل من الثالث والثالث عشر
الحسن بن وهب الكاتب	مرة واحدة في الثامن
الحسن بن رجاء	مرة واحدة في الأول
الفتح بن خاقان	مرة واحدة في كل من الثاني والخامس
خالد بن يزيد الكاتب	مرة واحدة في الثالث
سعيد بن حميد	مرة واحدة في كل من الثالث والسابع، ومرتان في الخامس
ابراهيم بن المدبر	مرة واحدة في الثاني والعاشر
محمد بن أبي عون	مرة واحدة في الأول
محمد بن بسام	===== كل من الثاني والسابع والعاشر، ومرتان في الخامس
المستكفي	مرة واحدة في الثالث
المجموع	32

ثمة ثلاثة سياقات جاءت في المرتبة الأولى من حيث تكرارها ، إذ أن كلا منها استخدم 7 مرات ، وهي : السياق الثاني (خمس أشخاص في دور شخصية القص) ، والسياق الثالث (أشعار ستة أشخاص كنماذج عن إبداعهم) ، والسياق الخامس (المكانة الثقافية). ويرد في هذا الحقل ذكر خمسة شعراء .

يرد في السياق الثاني ذكر ابراهيم بن العباس وأبي دلف (مرتين لكل منهما) ، والفتح بن خاقان ، وابراهيم بن المدبر ، ومحمد بن بسام

(مرة واحدة لكل منهم) .

وفي السياق الثالث يرد ذكر ابراهيم بن العباس مرتين . أما الباقون (أبو دلف ، ابن الزيات ، خالد بن يزيد الكاتب ، سعيد بن حميد، والمستكفي) فيرد ذكر كل منهم مرة واحدة فقط .

وفي السياق الخامس يرد مرتين ذكر سعيد بن حميد، ومحمد بن بسام . أما ابراهيم بن العباس ، وأبو عيسى بن الرشيد، والفتح بن خاقان فيرد ذكر كل منهم مرة واحدى فقط .

ويلي السياقات التي عددناها أعلاه السياق السابع الذي استخدم ثلاث مرات، وورد فيه ذكر كل من أبي دلف، وسعيد بن حميد، ومحمد بن بسام مرة واحدة لكل منهم كشخص قيل فيه شعر ما (المقصود بالأبيات الشعرية) .

السياق الأول (مصدر الخبر) يستخدم مرتين فقط، وكذلك السياق العاشر (مؤلف شعر في الشأن العام) .

أما السياقات الأخرى فتستخدم مرة واحدة لكل منها ، وهي: السادس (اسم المتوفى)، والثامن (مؤلف أبيات رثاء)، والحادي عشر (صاحب قول مأثور)، والثالث عشر (مؤلف شعر عن الدنيا الفانية) .

إن ابراهيم بن العباس رجل الدولة الشاعر في العصر العباسي هو الأكثر ذكرا في هذا المجال (6 مرات)، يليه أبو دلف ومحمد بن بسام (5 مرات)، ثم سعيد بن حميد (4 مرات). أما ابن الزيات ، والفتح بن خاقان، وابراهيم بن المدبر فيرد ذكر كل منهم مرتين فقط .

يتضح من الجدول أعلاه أن ستة من الأدباء – رجال الدولة يرد ذكرهم مرة واحدة لكل منهم.

عند مقارنة الجدولين السابقين نرى أن طيف السياقات في الثاني أوسع ، ويشمل عشرة مقابل ستة في الأول. غير أن سياقا واحدا ، هو الثاني عشر (خطبة بلاغية) المستخدم في الجدول الأول ، لا يستخدم في الثاني أبدا. وفي الجدول الأول حيث الأرقام عن شخصيات من العصرين الأموي والعباسي (المخضرمين) لا يستخدم السياق الأول (مصدر الخبر) والسياق الثالث (نموذج من إبداع الشاعر) والخامس (المكانة الثقافية)، والسادس (اسم المتوفى)، والسابع (الشخص المقصود بالأبيات الشعرية).

وهذا ما يدل على أن تصوير رجالات الدولة في دور أدباء هو أشمل وأكثر تنوعا في العصر العباسي مما كان عليه في العصرين السابقين (الراشدي والأموي).

ولتوصيف شخصيات هاتين المرحلتين الأقدم (المجموعة الفرعية1) فإن السياق الأكثر استخداما هو العاشر (مؤلف أشعار في الشأن العام)، أما في العصر العباسي (المجموعة الفرعية 2) فهو السياق الثاني (شخصية القص) والثالث (نموذج من إبداع الشاعر) والخامس (المكانة الثقافية). ومن ثم يأتي عند شخصيات المجموعة الأولى السياق الثامن (مؤلف أبيات رثاء)، وعند المجموعة الثانية السياق السابع (الشخص المقصود بالأبيات الشعرية). ويأتي في المرتبة الثالثة من حيث عدد مرات الذكر السياق الثاني (شخصية القص) والحادي عشر (صاحب قول مأثور)، وذلك بالنسبة للمجموعة الأولى. أما بالنسبة لشخصيات المجموعة الثانية فيأتي السياق الأول (مصدر الخبر) والعاشر (مؤلف أبيات شعرية في الشأن العام) .

إن معطيات الجدولين كليهما تدل أيضا على أن مرات ذكر شخصيات العصر العباسي أكثر تقاربا فيما بينها. أما إذا قارنا عدد مرات ذكر علي بن أبي طالب وابراهيم بن العباس نجد أن حصة الأول

تبلغ 52،63% من العدد الإجمالي، في حين أن هذا المؤشر يصل عند الثاني إلى 18،75% فقط .

إن التباينات التي أشرنا إليها في ما يتعلق بتصوير رجالات الدولة الأدباء في كل من العصرين تعود على الأرجح إلى أن اختيار المادة المتعلقة بشخصيات عهدي الخلفاء الراشدين والأمويين قد حكمته ، وبدرجة كبيرة، تقاليد ترسخت بمرور الزمن، في حين أن شخصيات العصر العباسي كانوا ما يزالون حديثي عهد ، ولم يكن يفصلهم عن مؤلف "مروج الذهب .." زمن بعيد (بل أن بعضهم كان من معاصريه)، وكان لا بد من مقاربتهم مقاربة جديدة غير مستندة إلى التقاليد .

هذا مع العلم بأن التباينات التي أشرنا إليها قد تلقي الضوء على طابع آخر للحياة الأدبية في زمن العباسيين مقارنة بالعصرين السابقين، وقد تدل كذلك على تغير كبير في توجهات الشعر العربي من الناحية الاجتماعية ومن حيث المواضيع التي يتناولها. فإذا كان الإبداع الشعري بالنسبة لرجالات الدولة في العهدين الراشدي والأموي شكلا من أشكال الخدمة المدنية والنضال السياسي (وظيفته هذه كانت موروثة عن عصر ما قبل الإسلام)، فقد صار هذا الإبداع - وإلى حد كبير - مسألة شخصية بالنسبة لهؤلاء في زمن العباسيين .

أهم رجالات الدولة والشخصيات التاريخية ضمن السياقات إياها

إشباع النص بالمقاطع الشعرية سمة خاصة من سمات المؤلفات التاريخية العربية في القرون الوسطى ، بما فيها كتاب المسعودي "مروج الذهب ومعادن الجوهر". إن جزءا كبيرا من هذه المقاطع الشعرية يأتي على ألسنة شخصيات تاريخية كبيرة لا يذكر المسعودي شيئا عن اهتماماتها الأدبية ، وذلك خلافا للشخصيات التي تعرضنا لها في المجموعتين الفرعيتين السابقتين .

ومن ناحية التتابع الزمني فإن الأقدم من بين هؤلاء الشخصيات في "مروج الذهب..." هو آخر ملوك الحيرة من سلالة اللخميين، النعمان بن المنذر الذي يتمثل معاوية بأبيات له لم يقل (النعمانُ) غيرها.

أولا. من كبار شخصيات عهد الخلفاء الراشدين والأمويين نجد عند المسعودي: خصوم علي بن أبي طالب في الصراع على حكم الجماعة الإسلامية: الزبير بن العوام 55؛ وطلحة بن عبيد الله؛ والقائد العسكري ورجل الدولة العربي الإسلامي البارز عمرو بن العاص 56؛ والخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان؛ ومؤسس السلالة الأموية الحاكمة معاوية بن أبي سفيان؛ وابنه الخليفة الأموي الثاني يزيد بن معاوية. وإلى جانب هؤلاء نجد إمام الشيعة الإمامية الثالث الحسين بن علي بن أبي طالب؛ والإمام الرابع علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب زين العابدين السجاد؛ والطامح إلى الخلافة عبد الله بن الزبير 57؛ وأحد أهم الخلفاء الأمويين عبد الملك بن مروان؛ ووالي خراسان الذي خرج على الأمويين وقتل في الصراع ضدهم يزيد بن المهلب 58؛ والخليفة الأموي (خامس الخلفاء الراشدين) عمرو بن عبد العزيز؛ والخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك بن مروان؛ والخليفة مروان بن محمد.

فيما يلي السياقات وعدد مرات الذكر فيها لستة عشر شخصا من المجموعة الفرعية الأولى.

النعمان بن المنذر	مرة واحدة في السياق التاسع
الزبير بن العوام	= = = = في كل من الخامس والعاشر
طلحة بين عبيد الله	مرة واحدة في العاشر
عمرو بن العاص	= = = = = = = =

عثمان بن عفان	مرة واحدة في الثالث عشر
معاوية بن أبي سفيان	3 مرات في العاشر، ومرتان في الثاني عشر
يزيد بن معاوية	مرة واحدة في الثاني، و3 مرات في العاشر
الحسين بن علي بن أبي طالب	مرة واحدة في كل من السايع والعاشر
علي بن الحسين بن علي	= = = = في العاشر
عبد الله بين الزبير	= = = = = = = =
عبد الملك بن مروان	5 مرات في العاشر
يزيد بن المهلب	مرة واحدة في التاسع
عمر بن عبد العزيز	مرة واحدة في الثاني
يزيد بن عبد الملك	مرتان في الثاني، ومرة واحدة في الثامن
الوليد بن يزيد بن عبد الملك	مرة واحدة في كل من الثاني والخامس، وثلاث مرات في الثالث
مروان بن محمد	مرة واحدة في الثاني
المجموع	35

وكما نرى ، فإن الأكثر تكرارا هو السياق العاشر (مؤلف أبيات في الشأن العام)، فقد استخدم 17 مرة ، منها 5 مرات يرد فيها ذكر عبد الملك بن مروان ، و3 مرات ذكر كل من معاوية بن أبي سفيان ويزيد

بن معاوية ، ومرة واحدة ذكر كل من الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، وعمرو بن العاص، والحسين بن علي بن أبي طالب ، وعلي بن الحسين بن علي ، وعبد الله بن الزبير .

والسياق الثاني (شخصية القص) استخدم 6 مرات، حيث يرد ذكر يزيد بن عبد الملك مرتين ، أما الأربعة الباقون فيرد ذكر كل منهم مرة واحدة .

المرتبة الثالثة يتقاسمها السياق الثالث (حيث يرد ذكر الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثلاث مرات كشاعر) ، والسياق الثالث عشر (كمؤلف أبيات عن الحياة الفانية يرد ذكر معاوية بن أبي سفيان مرتين ، وعثمان بن عفان مرة واحدة). يلي ذلك سياقان اثنان هما: الخامس الذي يدور فيه الحديث مرتين عن المكانة الثقافية لكل من الزبير بن العوام ،والوليد بن يزيد بن عبد الملك ، والسياق التاسع حيث يرد مرة واحدة ذكر كل من النعمان بن المنذر ويزيد بن المهلب كمؤلف أبيات مقتبسة في النص.

أما أدنى المؤشرات (أي الذكر مرة واحدة) فهي للسياق السابع (الشخص المقصود بالأبيات الشعرية - في هذه الحالة الحسين بن علي بن أبي طالب) والثامن (مؤلف أبيات رثاء - هو في هذه الحالة يزيد بن عبد الملك).

إن أكبر عدد من مرات الذكر (5 مرات) هو من نصيب ثلاثة شخصيات : معاوية بن أبي سفيان (3 مرات كمؤلف أبيات شعرية في الشأن العام ، ومرتين كمؤلف أبيات عن الحياة الفانية) ؛ وعبد الملك بن مروان (يرد ذكره خمس مرات في السياق العاشر) ؛ والوليد بن يزيد بن عبد الملك (ثلاث مرات كشاعر ، ومرة واحدة كشخصية القص ، وأخرى في السياق الخامس - مكانته الثقافية) .

ويرد أربع مرات ذكر يزيد بن معاوية ، ثلاث منها كصاحب أبيات شعر في الشأن العام ، أي في السياق العاشر .

ويرد ثلاث مرات ذكر يزيد بن عبد الملك ، اثنتان منها كشخصية قص (السياق الثاني) ومرة واحدة كمؤلف أبيات رثاء (السياق الثامن) .

ويرد مرتين ذكر كل من الزبير بن العوام (مرة عن مكانته الثقافية - السياق الخامس؛ ومرة كمؤلف شعر في الشأن العام - السياق العاشر)، وكذلك الحسين بن علي بن أبي طالب (مرة في السياق السابع ، ومرة في السياق العاشر) .

أما الشخصيات الأخرى فيرد ذكر كل منها مرة واحدة، وهي: النعمان بن المنذر (السياق التاسع - مؤلف أبيات مقتبسة)، وطلحة بن عبيد الله (السياق العاشر - مؤلف شعر في الشأن العام)؛ وعمرو بن العاص (السياق العاشر أيضا)، وعثمان بن عفان (السياق الثالث عشر - مؤلف شعر عن الحياة الفانية)، وعلي بن الحسين بن علي (السياق العاشر)، وعبد الله بن الزبير (السياق العاشر) ، ويزيد بن المهلب (السياق الحادي عشر)، وعمر بن عبد العزيز (السياق الثاني - شخصية القص) ومروان بن محمد (السياق الثاني ايضا) .

ثانيا. يتمثل العصر العباسي في "مروج الذهب .." بعدد من كبار الشخصيات كالخليفة العباسي الثاني المنصور، والشخصية الشيعية المعروفة ابراهيم العلوي ؛ والخليفة هارون الرشيد؛ وأحد أبرز البرامكة ومؤدب الأمين - الفضل بن يحيى البرمكي 59؛ والخليفة المأمون ؛ وعالم الدين الشهير الشافعي ؛ والخليفة الواثق ؛ وإمام الشيعة الإمامية العاشر علي بن محمد العلوي النقي الهادي ؛ والفقيه وعالم الحديث العلوي الأصل أبو هاشم الجعفري؛ والخليفة المعتز ؛ والقائد العسكري

المعروف مؤسس سلالة الصفاريين يعقوب بن الليث الصفار 60؛ والخليفة الراضي؛ والخليفة المتقي .

في ما يلي السياقات وعدد المرات التي يرد فيها ذكر الشخصيات الثلاث عشرة التي تتألف منها المجموعة الفرعية الثانية:

المنصور	مرة واحدة في كل من السياقين العاشر والثالث عشر
ابراهيم العلوي	مرة واحدة في السياق العاشر
الرشيد	= = = = = = = = =
الفضل البرمكي	= = = = = = = = =
المأمون	مرة واحدة في كل من الثالث و الثالث عشر
الشافعي	مرة واحدة في العاشر
الواثق	مرة واحدة في الثالث عشر
علي بن محمد العلوي	= = = = = = = = = = =
أبو هاشم الجعفري	مرة واحدة في العاشر
المعتز	مرة واحدة في كل من السابع والثالث عشر
الصفار	مرة واحدة في العاشر
الراضي	مرة واحدة في كل من الثالث والخامس

المتقي	مرة واحدة في الخامس
المجموع	17

إن السياق الأكثر تكرارا (7 مرات) هو السياق العاشر (مؤلف شعر في الشأن العام)، يليه بفارق بسيط السياق الثالث عشر (مؤلف شعر عن الحياة الفانية) حيث يستخدم 5 مرات .

في السياق العاشر يرد مرة واحدة ذكر كل من المنصور، وابراهيم العلوي ، والرشيد ، والفضل البرمكي، والشافعي، وأبو هاشم الجعفري، والصفار.

في السياق الثالث عشر يرد أيضا مرة واحدة ذكر كل من المنصور، والمأمون، والواثق وعلي بن محمد العلوي ، والمعتز.

يستخدم كل من السياقين : الثالث (نموذج من إبداع الشاعر)، والخامس (المكانة الثقافية) مرتين ، فيرد في الثالث ذكر المأمون والراضي ، وفي الخامس ذكر الراضي والمتقي .

وأخيرا ، السياق السابع يستخدم مرة واحدة حيث المعتز هو المقصود بالأبيات الشعرية .

وبالإجمال ، فإن أربعة من الشخصيات الثلاث عشرة يرد ذكرهم مرتين لكل منهم، وهم المنصور (في السياقين العاشر والثالث عشر) ، والمأمون (في السياقين الثالث والثالث عشر)، والمعتز (في السياقين السابع والثامن)، والراضي (في السياقين الثالث والخامس).

أما الباقون ، وعددهم تسعة، فيرد ذكر كل منهم مرة واحدة (ستة منهم في السياق العاشر، واثنان في السياق الثالث عشر، وواحد فقط في السياق الخامس) .

الشخصيات التاريخية من الدرجة الثانية في السياقات الأدبية

إلى جانب الشخصيات التاريخية البارزة يأتي المسعودي على ذكر آخرين كشخصيات أدبية أقل أهمية. ومن هؤلاء طالب بن أبي طالب (أخو علي بن أبي طالب) الذي «أخرجه المشركون لمحاربة الرسول يوم بدر كرها (عام 624)، ومضى ولم يُعرف له خبر» ؛ وزوجة الخليفة عثمان بن عفان النصرانية نائلة بنت الفرافصة التي بقيت معه ودافعت عنه أثناء محاصرته من قبل المتمردين ؛ وأخو عثمان بن عفان من أمه - الوليد بن عقبة ؛ وقاتل الزبير بن العوام - عمرو بن الجرموز التميمي؛ ومعاصر زياد بن أبيه 61 - عبد الله بن السائب ؛ والوجيه القرشي الفقيه المدني البارز أبو بكر بن الحارث بن هشام ؛ ومعاصر عبد الله بن الزبير - قضاعة الأسدي ؛ 62 و عبد الله بن الأحمر .

نشير إلى أن الشخصيات التاريخية في هذه المجموعة الفرعية ينتمون إلى مرحلة ظهور الإسلام وعهد الخلفاء الراشدين وعصر الأمويين .

فيما يلي عدد مرات ذكر ثمانية من هؤلاء والسياقات التي يرد فيها ذكرهم :

شخصيات تاريخية من الدرجة الثانية

طالب بن أبي طالب	مرة واحدة في السياق العاشر
نائلة بنت الفرافصة	= = = = = = = = = الثامن
الوليد بن عقبة	= = = = = = = = = = =

عمرو بن جرموز	مرة واحدة في السياق العاشر
عبد الله بن السائب	مرة واحدة في السياق الثامن
أبو بكر بن الحارث بن هشام	= = = = = = = = العاشر
قضاعة الأسدي	= = = == = = = = = =
عبد الله بن الأحمر	= = = === = = = = =
المجموع	8

من السياقين المستخدمين هنا نجد أن العاشر (مؤلف أبيات في الشأن العام) يستخدم أكثر بمرتين من الثامن (مؤلف أبيات رثاء).

وتجدر الملاحظة أن جميع الأسماء ذكرت مرة واحدة فقط لكل منها.

كما سبق وأشرنا أعلاه ، فإن كل المذكورين في هذه المجموعة الفرعية ينتمون إلى مراحل مبكرة ، ولا يسجل كتاب المسعودي مثلها في العصر العباسي. وهذا يعود إلى ترسخ التقاليد التاريخية بدرجة كبيرة بدءا من التاريخ المبكر للجماعة الإسلامية ، حيث تميز ذلك بإشباع النصوص بمقاطع شعرية .

أشعار لمؤلفين مجهولين

إن معظم حالات (13 حالة) ورود أشعار لمؤلفين مغفلي الاسم في «مروج الذهب..» موجودة في الأقسام التي تعرض تاريخ ظهور الإسلام ، ومرحلة حكم الخلفاء الراشدين والعصر الأموي .

أما القسم المكرس للسلالة العباسية فيسجل سبع حالات من هذا النوع ، ولعل في ذلك دليلا على أن دور الإبداع الأدبي في العصر

العباسي كعنصر من عناصر الثقافة السياسية والحياة الاجتماعية ، أقل بكثير مما كان عليه في الأزمنة السابقة .

إن الأبيات الشعرية التي يوردها المسعودي مغفلة من أسماء قائليها تتعلق فقط بسياقين ، هما الثامن (مؤلف أبيات رثاء) والعاشر (مؤلف أبيات في الشأن العام) . ومن المهم أن نلاحظ هنا، مع وجود فرق كمي في استخدام هذه الأبيات ، أن النسبة بين السياقين المذكورين للمرحلتين التاريخيتين تظل بلا تغير عمليا. وهكذا ، ففي أقسام الكتاب المكرسة لمرحلة الخلفاء الراشدين والأمويين ، يستخدم السياقان الثامن والعاشر 7 و 6 مرات على التوالي ، بينما في القسم المخصص للعباسسين يستخدم هذان السياقان 3 و 4 مرات على التوالي .

نستنتج مما سبق أعلاه أن ممثلي الثقافة الشعرية العربية يرد ذكرهم في كتاب المسعودي 400 مرة، منها:

شعراء ما قبل ، وفجر ، الإسلام	11 مرة (2،75%)
شعراء العصر الأموي	44 مرة (11%)
شعراء مرحلة «التجديد»	67 مرة (15،75%)
شعراء مرحلة نشوء الكلاسيكية العربية	99 مرة (24،75%)
شعراء مرحلة ازدهار	10 مرات (2،5%)
مغنون وموسيقيون	31 مرة (7،75%)
علماء دين	7 مرات (1،75%)
رجالات دولة	51 مرة (12،75%)
شخصيلت تاريخية من الدرجة الثانية	8 مرات (2%)

مؤلفو أشعار مجهولون	20 مرة (5%)

وهكذا نرى أن العدد الأكبر من مرات الذكر (وبالتالي الحصة الأكبر) هي من نصيب شعراء مرحلة نشوء الكلاسيكية العربية وشعراء مرحلة «التجديد».

في ما يلي بيان بتوزع عدد مرات الذكر على 12 سياقا (من السياقات الثلاثة عشر فثمة سياق واحد لم يستخدم هو السياق الرابع) وذلك من حيث العدد والنسبة المئوية :

السياق			
السياق	1(مصدر الخبر)	21 مرة	% 5،25
= =	2 (شخصية القص)	81 مرة	%20،25
= =	3 (شاعر، أو نموذج عن إبداعه)	58 مرة	%14،50
= =	5 (المكانة الثقافية)	42 مرة	% 10،50
= =	6 (اسم المتوفى)	11 مرة	% 2،75
= =	7 (المقصود بالأبيات)	8مرات	%2،00
= =	8 (مؤلف أبيات رثاء)	43 مرة	% 10،75
= =	9 (أبيات مقتبسة)	12مرة	%3،00

= =	10 (مؤلف شعر في الشأن العام)	109 مرات	% 27،25
= =	11 (صاحب قول مأثور)	3 مرات	% 0،75
= =	12 (مؤلف خطبة بلاغية)	مرتان	00،50%
= =	13 (مؤلف أبيات عن الحياة الفانية)	10 مرات	02،50%

يتضح من هذه الأرقام أن حصة السياق العاشر (27،25 %) هي الأكبر ضمن مجموعة ممثلي الثقافة الشعرية العربية. وهذا دليل على نسبة التسييس الكبيرة في الشعر العربي، على الأقل كما تبدو في «مروج الذهب ..». ونشير إلى أن هذا السياق يشمل أساسا شخصيات لم تتخذ من العمل الأدبي مهنة لها. والمسعودي عند توصيفه شعراء مرحلة ازدهار الكلاسيكية العربية لم يستخدم هذا السياق أبدا.

وفي المرتبة الثانية من حيث الاستعمال يأتي السياق الثاني (20،25%)، الذي يلعب دورا هاما في أنساق المغنين والموسيقيين وشعراء العصر الأموي وشعراء مرحلة «التجديد».

كما أن حصة السياق الثالث كبيرة نوعا ما، إذ تشكل 14،5 %، وبذلك يأتي هذا السياق في المرتبة الثالثة. وقد استعمل بشكل رئيسي في المجموعة الفرعية لشعراء فترة ازدهار الكلاسيكية العربية.

****

ننتقل الآن إلى إجراء تحليل مقارن لأرقام المجموعات الأربع ذات العلاقة بفن الكلمة العربي . وسنعرضها من ناحية الكم والنسبة المئوية :

حملة المعارف التاريخية	84 مرة	% 13،60
حملة المعارف اللغوية	114 مرة	% 18،41
كتاب النثر	21 مرة	%3،39
حملة الثقافة الشعرية	400 مرة	% 64،60
المجموع	619 مرة	% 100

وبذلك نرى أن حملة الثقافة الشعرية العربية يتمتعون بحصة الأسد من حيث عدد مرات الذكر ، أي إن أخبار المسعودي المتعلقة بالأدب العربي ، تدور أساسا حول التقاليد الشعرية . ومن الواضح تماما أن هذا الواقع يعكس الدور الرئيس للشعر في الثقافة العربية الإسلامية ، كما أشار الباحثون إلى ذلك مرارا.

إن المرتبة الثانية التي يشغلها حملة المعارف اللغوية تتوافق أيضا والوزن النوعي الفعلي لعلوم اللغة في منظومة الثقافة العربية الإسلامية .

ومما يدل على الأهمية الكبيرة للمعارف التاريخية في الثقافة العربية الإسلامية هو المؤشر العالي لعدد مرات ذكر ممثلي مجموعة هذا المجال في «مروج الذهب...».

أما حصة كتاب النثر المتدنية فتؤكد مقولة أن النثر الأدبي كان يحتل مكانة هامشية – إلى حد معلوم- في الثقافة العربية الإسلامية .

وهكذا نخلص إلى أن التناسب بين مواد كتاب المسعودي المتعلقة بمختلف جوانب الأدب العربي تؤكد تصوراتنا عن بنية الثقافة العربية الإسلامية بالإجمال.

هوامش الفصل الرابع

1_ Shboul ahmad M. H. Al_Mas'di..., p. 31 – 35
2_ Yver G. Hammad al_Rawiya, S. 266 – 267;
وفيلشتينيسكي إ. م. تاريخ الأدب العربي. القرن الخامس – بداية القرن العاشر ص 42 ، 167، 194، 465
3_ Pellat. Index. P. 145
4_ Ubn Chllikani, № 790
5ـ الخطيب االبغدادي، الجزء 12، ص 122
6_ Sezgin, S. 288 _289
7ـ بروزوروف س. م. الأدب التاريخي العربي ...، ص 51 – 57
8_ Horoviz J. Al_Wakidi, S. 1195 – 1196
9_ Brockelmann C. Al_Mada'ini, S.87
10_ Paret R. Al_Tabari, S. 625 – 627
11_ Sourdel D. Le vizirat Abbaside..., p. 345 – 357
12_ Gibb H. A. R. Abu 'Ubayda, p. 158
13_ Lewis B. Al_Asma'I, p. 717 – 718
14_ Pellat. Ibdex. P. 780
15_ Brockelmann C. Al_Mubrrad, S. 671 _672
16_ Pedersen J. Ubn Duraid, S. 398
17_ Pellat Ch. Djahza, p. 389
18_ Fuck J. W. Abu_l_Aswad al_Du'ali, p. 106_197
19_ Blachere R. Abu'Amr b. al_'Ala', p. 105 – 106
20_ Ben Cheheb M. Al_khalil b. Ahmed, S.952
21_ Krenkov F. Sibawaihi, S. 427 – 428
22_ Ben Cheheb M. Al_Kisa'I, S. 1113 – 1114
23ـعن مفهوم الأديب ودور الأدباء في الثقافة العربية راجع:
ميتس أ. النهضة الإسلامية، ص 147 /بالروسية/
24ـابن النديم ، الفهرست، ص 216
25_ Kratschkovsky Ugn. Al_Suli, S. 586 _587

As_Suli, p. 8 – 38sq; Pellat. Index, p.127 _26
Huart Cl. Ibn al_Mukaffa', S. 430 _27
Pellat Ch. Al_Djahiz, p. 385 – 387 _28
Brockelmann C. Ibn Abi'l_Dunya, S. 377 – 378 _29
Weil G. 'Arud, p. 667 – 677 _30
Krenkov F. Zuhair, S. _31
1338 – 1339
Blachere R. Al_Farazdak,p. 788 – 789 _32
Gabrieli F. Djamil, p. 427 – 428_ 33
Ibn Qotaiba. Liber poesis…, p. 362, 363, 399 – 400 _34
Arendonk C. Kuthaiyir, S. 1255 – 1256 _35
Ibn Qotaiba. Liber poesis…, p. 394 _399 _36
Horovitz J. Al_ Kumait b. Zaid, S. 1196 – 1197 – 37
Pellat. Index, p. 581 _38
Wensinck A.J. (Grunebaum G. E. von). A'sha _107 _39
Hamdan, p. 690
؛Blachere R. Al_ Abbas b. al_ Ahnaf, p. 9 – 10 – 111 _ 40
وفليشتينسكي ص 338_340
Guillaume A. Abul' 'Atahiya, p. 107 _108 – 41
Wagner E. Abu Nuwas, p. 143 – 144 – 42
Blachere R. al_ 'Attabi, p. 751 – 43
44_ فيلشتينسكي، ص 282 – 283 ؛ Farmer H.G. Ghin', p. 1072 1075
Torrey C.C. Ibrahim al – Mawsili, S. 467 – 45
Zettersteen K. V. Ibrahim b. al – Mahdi, S. 863 – 864 – 46
at_ Tabari, III, 678 – 47
Farmer H. G. Yahya b. 'Ali, S. 1244 – 1245 _ _48
Pellat. Index, P. 391 ; Ibn Qotaiba. Liber poesis…, p. 4 – 49
Massignon L. Al_ lasfahani, S. 567 _50
Zettersteen K. V. Muhammed b. ' Abd al_ Malik, S. 720 _51
Pinto. O. Al_ Fath b. Khakan, p. 837 – 838 _52
Sourdel D. Le Visirat Abbaside…, p. 735 – 53
Pellat. Index, p. 84 – 54

55_ Wensinck A. J. Ak_Zubair b. al_'Awwam, S. 1337 – 1338
56_ Wensinck A.J. 'Amr b. al_'As, p. 451
57_ Gibb H. A. R. 'Abd Allah b. al_Zubair, p. 54 – 55
58 – Zettersteen K. V. Yazid b. al_Muhallab, S. 1259 – 1260
59 – Sourdel D. Al_Fadl b. Yahya al_Barmaki, p. 732
60 – Saffariden, S. 59
61ـ فون غريونباوم غ. ي. الإسلام الكلاسيكي، ص 67 /بالروسية/
62ـ المرجع السابق ، ص 68 – 212



ديمترى ميكولسكى

ولد فى الاتحاد السوفيتيى فى الثالث عش من ديسمبر/كانون الأول عام 1954، لأسرة من- موسكو، وهوبذلك يعد من أبناء موسكو أباً عن جد.

هو عالم روسى سوفيتيى، مستشرق، مستعرب، دكتور وأستاذ العلوم التاريخية.

تخصص فى علوم الاستشراق ، الدراسات العربية، والتاريخ . حصل على درجة الدكتوراة فى العلوم التاريخية، حيث تخرج فى معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية بجامعة موسكو الحكومية .

وفى عام 1978 أنهى دراسته فى كلية التاريخ اللغوى، القسم الغوى بمعهد الدراسات الآسيوية والأفريقية بجامعة موسكو الحكومية (فى تخصص الآداب واللغة العربية).

أعماله الخاصة بالاستشراق:

فى عام 1981، ناقش أطروحته فى موضوع » نثر المسعودى :

الخصائص التاريخية والأدبية من التاريخ العربى فى القرن (الحادى عشر، العاشر) .

فى عام 2002 ناقش أطروحته فى موضوع (عالم الثقافة العربية فى مؤلفات المسعودى "القرن العاشر") "مناجم الذهب ومعادن الجوهر".

حتى عام 1991 عمل فى أكاديمية العلوم الإجتماعية التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعى ، حيث بدأ مسيرته فى عالم الترجمة وإنتهى كباحث بارز .

منذ عام 1993 باحث فى معهد الاستشراق (حاليا / عالم بارز بقسم المخطوطات التاريخية لشعوب الشرق) ومنذ 1994 - عمل بمعهد الدراسات الشرقية (ومنذ - 1997 أمين علمى) .

1994 أستاذ زائر لتدريس دورات عن الإسلام والإنثوجرافيا الشعوب الإسلامية لرابطة الدول المستقلة (بجامعة فيرمونت) بالولايات المتحدة الإمريكية .

عضو كامل العضوية فى الإمبراطورية الأرثوذكسية لجمعية فلسطين (1) .

قائمة بالمراجع المختارة :

له أكثر من 140 إصدار ،فضلاً عن العديد من التراجم الفنية لأعمال الأدباء العرب ، من بينها إميل حبيبى ، صخر خليفة ، غسان كنفانى .

الأوراق العلمية:

الجوانب السياسية الإجتماعية للمنظور الإسلامى فى صحيفة "الأهرام" المصرية (1982 - 1987) استعراض تحليلى ، موسكو/معهد الدراسات الأفريقية 39-1989 صفحة .

المشاكل الفعلية للفكر الإجتماعى الإسلامى المعاصر(الدول العربية) ـ موسكو : أكاديمية التراث الروحى للشرق ، البيت المركزى للمعرفة حول الأديان والإلحاد 102ـ1990 صفحة .

الدراسات الإجتماعية للتجديد الإسلامى(مجموعة مقالات) موسكو: أكاديمة الالعلوم الإجتماعية التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعى ، 1990 (التمهيد،الصياغة ، الترجمة والتعليق) .

الإسلام فى روسيا ووسط آسيا(تجميع)موسكو:لوتس 272ـ1993 صفحة (شارك فى تأليفه مع "برماكوفيم") .

«الثورة الطاجيكية» والحرب الأهلية (1989 ـ 1994) موسكو معهد الإثنولوجيا والإنثروبولوجيا) 310ـ1995 صفحة . (بالتعاون مع "بوشكوفيم").

تحليل الحرب الأهلية فى طاجكستان (العمليات العرقية والإجتماعية والنضال السياسى ، 1992 ـ 1995) تحليل الحرب الأهلية فى طاجكستان (العمليات العرقية والإجتماعية والنضال السياسى ، 1992 ـ 1995) موسكو معهد الإنثرولوجيا والإنثروبولوجيا.

الأبحاث العلمية:

شرح الجوانب الإجتماعية والسياسة للقضايا الإسلامية فى جريدة " الأهرام " المصرية (1982 ـ 1987)مرجع تحليلى ـ موسكو معهد الدراسات الأفريقية ، 1989 ـ 39 صفحة .
دراسة إجتماعية لعقيدة الإحياء الإسلامى (مجموعة مقالات) موسكو

أكاديمية العلوم الإجتماعية التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعى عام 1990 (التمهيد / الصياغة / الترجمة والتعليق) .

الإسلام فى روسيا ووسط آسيا (تجميع)-موسكو: لوتس ، ـ1993 272 صفحة (بالتعاون مع "برماكوفيم").

هيرودوت العربى/مراجعة وتعديل "سيرجينكا"ـ موسكو: أليتيا، 1998ـ232 صفحة،3000 نسخة ـ (باللغة العربية دمشق175ـ2006ـ).

قاعدة بيانات وتاريخ الأسر العربية فى القرنين الحادى عشر والعاشر (الجزء الأول) ومنشورة على الموقع الإلكترونى للدراسات الشرقية.القصيدة الشعبية الجزائرية"حيزية" ـ المحتوى الرئيس والبنية التشغيلية//الشرق - رقم 133،29ـ2010ـ1 صفحة. فوائد التعليم الشرقى .

الترجمات الأكاديمية :

أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى" مناجم الذهب ومعادن الجوهر "(تاريخ الخلافة العباسية : 947ـ794)/ مترجم من العربية، مقدمة والتعليقات ومؤشرات » ميكولسكى ـ موسكو : ناتاليس ،800ـ2002صفحة (المجموعة الشرقية) ـ 1200 نسخة.

ديمترى ميكولسكى



الفهرس



